347

الطبعة الثالثة

نسخة منسقة

مجلة الابتسامة

أنيس منصور

تعالوا نفكر

A.M.

مجلة الابتسامة

دار نهضة مصر للنشر

فريق العمل بقسم تحميل كتب مجانية





Dr. Ahmed Mady

د.أحمد ماضي



أنيس منصور

تعالوا نفكر..

دار نهضة مصر
للنشر

فـــوق فــــوق!

في التليفزيون برامج علمية ممتعة، ولأنها ممتعة فنحن في حاجة إلى المزيد منها. ولا نهاية لما يمكن أن يقوله صاحب أي برنامج علمي. وقد أمتعنا وأسعدنا المرحوم د. جوهر.

ولا يزال يمتعنا د. مظهر.. ولا أخفي سعادتي وأنا أتابع برنامج زميلي وبلدياتي حاتم نصر فريد، المحرر العلمي لمجلة (أكتوبر)، فقد اقترحت عليه أن يقدم للتلفزيون برنامجًا يأخذ فيه ومعه المشاهد إلى السماوات بين الكواكب والنجوم وفي سفن الفضاء، ووراء المراصد العلمية.. وقد كان برنامجه هذا عن (الكون)، بدأ البرنامج خجولاً، ولكن حاتم نصر فريد صار متمكنًا قادرًا على توضيح الصعب وتيسيره، وتجميله وتزويده بالصور والأفلام..

ولأنه متخصص، ولأنه صحفي فهو يمشي على أرض يعرفها جيدًا، وهو قادر على أن ينفذ بعبارة سهلة إلى عقول مشاهديه، دون أن يرهقهم بالنظريات والمعادلات.. فهو يجلس بينهم ويحكي في ود وتواضع..

فلا أحد أكبر من العلم، ولا أحد يعرف كل شيء عن أي شيء، ولذلك كان من الضروري أن ينحني للعلم ويشجع مشاهيره على ذلك...

فالوقت الذي يستغرقه البرنامج قصير..

فمثل هذه البرامج تحتاج إلى وقت أطول، وإلى توقيت أفضل. ومهما يطل، فالتشويق والإثارة والإبداع كلها قادرة على أن تجعل الوقت يمر بسرعة.. ويفاجأ المشاهد بأن صاحب البرنامج يستودعه إلى لقاء آخر..

وقد وجدت كثيرين مثلي ينتظرون هذا البرنامج الذي عودهم على أن يأتي كل مرة بجديد، ويضيف إليهم معلومات مفيدة.. ويعيد توطينهم في العصر الحديث، حلقة بعد حلقة.

وقد تأثر حاتم نصر فريد باثنين من كبار العلماء المصريين د. فاروق الباز والمرحوم د. محمد عبد الهادي الأب الشرعي لبرامج (الاستشعار عن البعد)...

فكلاهما عالم بسيط ممتع متفائل. وكلاهما يؤمن بعبقرية الإنسان، وكلاهما يؤمن بأن (الحل) هو العلم، والكثير من العلم. ونحن في عصر العلم الذي يمكن تحصيله في أي وقت وبأي قدر وبأية سرعة.. وإذا كان الأطفال يلعبون بالكمبيوتر والإنترنت، فليس غريبًا أن يقبلوا على مثل هذه البرامج العلمية التي تهم الصغير والكبير..

إن برنامج الأستاذ حانم نصر فريد يحتاج إلى مزيد من الوقت، وإلى مكان أفضل وفي القناة الأولى.

في الذكرى الثانية والعشرين لخطاب الرئيس السادات في القدس تساءل النجم اللامع عماد الدين أديب في شبكة (الأوربت): يا ترى بعد مرور هذه الفترة وبعد الذي حدث في مصر والعالم العربي هل السادات لا يزال يوصف بأنه خائن أو أنه بطل الحرب والسلام؟!

سؤال فظيع أجاب عنه عماد الدين أديب نفسه بأن عرض على مائة مليون عربي دون العشرين من العمر نص خطاب السادات الذي أكد فيه بمنتهى الوضوح: أنه ليس ضعيفًا ولامتخاذلاً ولا ذليلاً ولا جاء يستجدي من إسرائيل ما ليس حقًّا له وللشعب الفلسطيني.. كما أنه لا يطلب حلاً منفردًا ولا سلامًا جزئيًّا. وإنما جاء يعرض السلام العادل الشامل. وأنه من غير حل للقضية الفلسطينية، فلا سلام في الشرق الأوسط..

وأذكر أن رئيس إسرائيل إسحاق نافون قال لي إنه لا يصدق من كلام الرؤساء إلا ما يقولونه للشعب. وفي خطاب الرئيس السادات إلى الكنيست قال ما قاله للشعب المصري والشعوب العربية – بمنتهى الوضوح والقوة أيضًا.

وقد اهتز الناس احترامًا عظيمًا للسادات. فنصف الشعب العربي كانوا أطفالاً يوم سافر السادات إلى القدس ليلقي هذا الخطاب في الكنيست في قلب المدينة المحتلة عاصمة إسرائيل اليوم وفلسطين غدًا – طال الزمان أو قصر..

والذين اتهموا السادات بالخيانة هم الذين يوم اغتيال السادات أذاعوا أغنية أم كلثوم: «افرح ياقلبي» في الضفة الغربية وفي ليبيا. فما الذي حدث الآن؟ أين وصل العرب؟ ولو لم يذهب السادات إلى القدس ويلقي خطابه التاريخي ويفاوض شبرًا شبرًا دولة سلاحها بنوك الدنيا وترسانة أمريكا. ونحن المصريين لانملك مالاً ولا بترولاً ولا رأيًا عامًّا أمريكيًّا ولاعندنا أسلحة أمريكا وصحفها وشاشاتها..

إن البرقيات والتليفونات والفاكسات التي تلقاها عماد الدين أديب وهو العقل والدينامو والواجهة المحترمة لشبكات الأوربت تجيب عن سؤاله بمنتهى القوة: بل يكون السادات خائنًا لمصر والعرب إذا لم يفعل ما فعل!

لقد مرت الذكرى على مصر وكأن السادات أحد ملوك الهكسوس: لا كلمة ولا إشارة كأننا نحن أيضًا نرى أنه ما كان يجب أن يذهب ولا أن يسترد سيناء التي نباهي بها الأمم، وبالغردقة والمدن الجديدة وكلها ثمار على أشجار الأمان في غابة السلام!

أن يمـــوت اثنـــان!

عندما أطلق السوفيت يوري جاجارين يدور حول الأرض كان ذلك قمة التكنولوجيا السوفيتية المتفوقة على أمريكا..

وكانت الشعوب السوفيتية تسخر من نفسها عندما تنظر إلى جاجارين وتقول:

يا بخته.. إنه الوحيد الذي يسكن في غرفة بمفرده!

واليوم تدور حول الأرض محطة فضائية – أي أن الدولة التي أقامتها لم يعد لها وجود. فقد اختفى الاتحاد السوفيتي. وفي المحطة ثلاثة من الرواد: واحد أمريكي واثنان من الروس يعانون الجوع والعطش والموت أيضًا فقد اصطدمت بالمحطة سفينة شحن فأحدثت بها كسرًا وخللاً، أما الأمريكان فسوف يسعفون رائدهم. ولكن روسيا تتردد كثيرًا في إنقاذ رجليها. لا توجد فلوس. ثم إن الشعب الروسي لا يهمه كثيرًا أن يموت اثنان في الفضاء بينما يموت مئات الألوف على الأرض.. فالروس ليسوا مشغولين إطلاقًا بالمحطة الفضائية.. إنهم مشغولون بالبحث عن عمل وقبض المعاش. وأية وسيلة للهرب من روسيا. أما هذه الإنجازات العلمية الجبارة فهي من باب الفخفخة السياسية!!

وكل روبل سوف تنفقه الحكومة على رحلة لإنقاذ اثنين من الروس يستحقها ملايين الرجال والنساء والأطفال – يدبون على

الأرض أحياء لا يرزقون.. فإيه يعني لو مات رائدان؟ ماتت قبلهما الكلبة لايكا وكانت هي الأخرى في مهمة علمية وطنية من أجل أمجاد الاتحاد السوفيتي!

وليس هو رأي العلماء الأمريكان.

فهذه المحطة هي أعظم الإنجازات السوفيتية.

ولابد من الاستفادة منها قبل التفكير في إقامة المحطة الأمريكية وقبل القفز منها إلى المريخ والكواكب الأخرى..

ولا بد من إنقاذ هؤلاء الرواد ليعرف العلماء ماذا حدث لهم، حتى لا يحدث لغيرهم مرة أخرى في مكان آخر!

كاتبنا محمد سلماوي يرى أن نجيب محفوظ مثل حديقة جميلة متنوعة الأشجار والأزهار وأنه يجب أن يجمع من حين إلى حين ثمارها الناضجة وأن يقدمها للقراء دليلاً على أن نجيب محفوظ إن لم يكتب فهو يقول، وإذا كان أحد لا يراه ولا يسمعه، فقد اختار محمد سلماوي أن يجعل نجيب محفوظ معايشًا لقرائه، حاضرًا بالرأي في كل قضايانا اليومية.

وحضوره هو خلاصة الحكمة وبعد النظر..

ولم يحدث إلا نادرًا في تاريخ الأدب أن حرص كاتب كبير على أن يلاحق كاتبًا عظيمًا.. وبذلك يمد في عمره الأدبي والفكري.. ربما كان الأديب الألماني يوهان أكرمان (1792– 1854) أحسن نموذج لذلك. فالأديب أكرمان درس في جامعة جتنجن. وتفرغ لتذوق الشعر المعاصر، وله بحث مشهور عن الشعر: جوهره وشكله وتطوره ومدلوله الإبداعي. وجاءت هذه الدراسة مفاجأة للشعراء والنقاد. فقد أتى بجديد في نظريات التذوق الفني، وسبق بذلك عددًا من فلاسفة علم الجمال.

أما نقطة التحول في حياة الأديب أكرمان فهي عندما التقى بالشاعر العظيم جيته (1749– 1832) وساعده على إعادة نشر كتبه.

وقد تفانى في ذلك، وانتهى إعجابه بالشاعر العظيم إلى الحب العميق.. ثم كانت التحفة الأدبية التي كتبها أكرمان بعنوان (حوارات

مع جيته في سنواته الأخيرة). وقد ظهرت هذه الحوارات فيما بين سنتي 1823 و1832 ثم ظهرت الترجمة الإنجليزية لهذه الحوارات سنة 1839 بعنوان (محاورات أكرمان) . هذا الكتاب قد وصفه الفيلسوف الألماني نيتشه بأنه إحدى روائع الأدب الألماني في كل العصور، واتخذه المؤرخون والنقاد وعلماء النفس دليلاً إلى آفاق وأعماق وعبقرية الشاعر جيته.

ففي هذه الحوارات تسجيل أمين ودقيق لآراء جيته في الفلسفة والأدب والموسيقى والنقد والشعر والسياسة، بل إن هذه الحوارات هي إضاءة لكل الدروب العميقة والملتوية والمظلمة والخطيرة في حياة الشاعر العظيم وزمانه..

ولم نعرف لا قبل أكرمان ولا بعده أديبًا أخلص لأديب أكبر مثل هذا الذي يفعله يومًا بعد يوم بإصرار واستمرار وعشق محمد سلماوي.

تـراب تـراب الفلـوس!

كان قد توقف عن الشعر بعد استغراقه فيما لا علاقة له بـالفن فتوارت فيه موسيقى الشعر، وفجـأة استسلم لفيوض وجدانية جاءت في 24 مقطوعة في ديـوان عنوانه (الطواحين – قصيدة فلسفية) أهداها لمستشرقة فرنسية لاهتمامها بـالمتصوف الترمذي.

إنه الشاعر د. حـامد طاهر نـائب رئيس جامعة القـاهرة. والكتـاب نشرته (مكتبة الآداب). وهو ديوانه الخـامس. ولا تشغل بـالك كثيرًا بـاسم الـديـوان. فلعل الشاعر يقصد طواحين الـحياة وشرورها – كـالوظيفة مثلاً..

وهذه (القصيدة) هـي تـأملات أخلاقية. يقول عن المـال:

عفـــرت وجهـــي فـــي تـــراب ترابــــه

ووقفـــت أيامــــي علـــى أعتابـــــه

ووقفـت أهمـس فـي الذيـــن تجمعـــوا

حولـي: أنـــا يـــا قـــوم لـم أسعـد بـه!

وعن (الفقر) يقول:

وأشـد مــا يجنـــي الفتـى مــن فقــره

أن الصـديــق يفــر دون عنــاقـــه

والنـــاس (تجفـوه؟) وتلفظـه الــرؤى

حتـى الدمـوع تجـف مـــن أحداقـــه

وفي (التاريخ) قال:

لا صدق إلا في الردى، أما الحياة

فكلها كذب تقنع بالبراءه

نحن الذين نقص من أخبارنا

ونخط أحلى ما نرى إفشاءه

فإذا أتى الجيل الذي من بعدنا

ورأى شواهدنا تفوق سماءه

ألقى علينا في الظلام عباءة

حتى يداري عجزه وغباءه

وسعى ليبني مجده بعظامنا

ويدق فوق حروفنا إمضاءه!

ويقول في (الشباب):

كان الشباب يمدني بعصارة

أزهو بها فردًا على العشاق

واليوم حين سرى المشيب بمفرقي

أصبحت لا أقوى على الأشواق!

وقال عن (المشيب):

أقسى عذابك أن يعضك جوع

والأكل رغم وجوده ممنوع

وإذا اجتذبت هوى الحسان تخاذلت

منك الخطى والقلب فيك وجيع

مدحـوا المشيـب وأوغلـوا في مدحـه

إن المـريـــض يخيفـــه الترويــــع!

وكما ترى فالشعر هادئ سهل واضح الدلالة الأخلاقية. أما أحسن المقطوعات وأجملها فهي عن (الغربة):

الشـارع الممتد لا تتوقـف الخطـوات

فيـــه عـــن التـــوازي والتقاطـــع

وأقـول: قـــد ألقـــى أخًا مـن موطنــــي

يصغـي إلى ما شف روحـي من مواجع

فـــأراه لا يستجيـــب وكلمـــا حاذيتــــه

وهممـــت بالشكــــوى يســـارع

فأعـــود للطرقـــات أذرعهـــا وحيـــن

أدوخ أخـــرج للضواحـــي والمــزارع

حتى الطيور تشيح أوجهها وتسأل:

مــا الـــذي ألقــاه فـــي تـلـك المرابــع؟!

يوجـع القلـب فقـط!

لا أنت ولا أنا نعرف د. محمد الجوادي. وإن كنت قد جلست إليه وتحدثنا. والانطباع الأول أنه رجل مثقف مستنير خفيف الدم ونسيت أن أسأل من هو. وقد فاجأني بإهدائي كتابه الجديد (مذكرات قادة المخابرات والمباحث - الأمن القومي لمصر - مذكرات حافظ إسماعيل وصلاح نصر وأمين هويدي وأحمد كامل وحسن طلعت وفؤاد علام)، وقد اختاروا أن ينشروها في عهد حسني مبارك، فالحرية أوسع والأمان أشمل. وقد تابعه د. الجوادي ثماني سنوات يقرأ ويتوقف ويلاحظ ويقارن حتى كان له هذا الكتاب الذي يضم ستة كتب في 512 صفحة ومن منشورات «دار الخيال..»

د. محمد الجوادي - الذي يجب أن تعرفه - رجل جاد ووطني مخلص وقلق على سلامة وأمن مصر وخائف عليها من اللاعبين والعابثين والانتهازيين والجبناء. وهو في الوقت نفسه يعرف أقدار هؤلاء الرجال الذين تعرض لهم واعترضهم واعترض على سلوكياتهم الوظيفية وتوجهاتهم السياسية والشخصية.

وفي مقدمة الكتاب مقارنات دقيقة بين هؤلاء المؤلفين: أربعة من المخابرات واثنين من المباحث. وقد توقفت عند بعض الشخصيات التي قرأتها في الفهرس وعلاقتها بالرئيسين السادات وعبدالناصر.. وموقف فؤاد علام من الإخوان المسلمين - فقد كنت

من الإخوان المسلمين - وبالذات ما كان بينه وبين الناشر أحمد رائف الذي أعرفه.

وأنا لم أقابل واحدًا من كل هؤلاء.. بل أول مرة سمعت اسم صلاح نصر كان من النجمة السينمائية برلنتي عبدالحميد.. ويومها سألت المرحوم مصطفى أمين عمن يكون صلاح نصر فانفجروا ضاحكين .. محمد عبدالوهاب وكمال الطويل وشادية وعبدالحليم حافظ وحلمي رفلة وآخرون؛ إذ كيف لا يعرف أحد في مصر صلاح نصر؟!

وكنت هذا الأحد الذي لا يعرف بلدياته صلاح نصر.. ولكني قابلت فؤاد علام في بورسعيد وكان رجلاً لطيفًا رقيقًا - مثل كل الذين يعملون في أجهزة المعلومات. وسمعت عنه الكثير من المرحوم مصطفى شردي رئيس تحرير الوفد. أما الذي قاله وكتبه الناشر أحمد رائف في مؤلفاته فشيء رهيب.

إنني أكرر دعوتك لكتاب لم أطق صبرًا على النظر إليه فقرأت عشرات الصفحات لكي أعرف مذاقه وأتلمس صناعة المؤلف في الربط والمقارنة بين حراس الأمن القومي المصري - وأسفت على الذي كان منهم - فالكتاب سوف يمتعك ويسليك، ولن يوجع رأسك - قلبك فقط!

كارثــة وفضيحــة أيضًــا

كارثة الطائرة المصرية التي تحطمت في المياه الدولية سوف تهم العالم وقتًا طويلاً. فهي مصيبة لمؤسسة مصر للطيران ومأساة للعائلات المصرية.. وفجيعة للشركة صانعة الطائرة وضربة للأمن القومي الأمريكي؛ فالموضوع خطير. وأمريكا قد رصدت للتحقيق أكبر أجهزة الأمن، وملايين الدولارات لتعرف الحقيقة.. فقد مات مائة أمريكي.. وعائلاتهم وشركات التأمين تطالب بمعرفة السبب.. هل خلل في أجهزة الطائرة؟ هل صاعقة جوية؟ هل عمل انتحاري قام به أحد من طاقم الطائرة أو من الركاب؟ هل سكوت الجماعات الإرهابية في العالم أسلوب جديد لجأت إليه لتدويخ أجهزة الأمن في العالم.. كما عدل الإرهابيون عن إطالة ذقونهم إمعانًا في التخفي وسط الملايين؟

هل نعود إلى الألغاز والفوازير ونقول إن المنطقة التي سقطت فيها الطائرة تشبه (مثلث برمودة) الشهير الذي وقعت فيه كوارث جوية وبحرية لسبب غير معروف.

إن الطائرة قد تحطمت وسرها معها. والخبراء يريدون أن يعرفوا سرها من بقاياها في قاع المحيط.. بل إن أجهزة الأمن الأمريكية قد لجأت إلى (العرافين) الذين يستخدمون الأرواح والعفاريت في معرفة مثل هذه الحوادث الغامضة.. وهناك أكثر من عراف يعقد جلسات ليلاً ونهارًا..

وقد سمعت من سيدة مصرية محترمة لها علاقة بالأرواح وليست محترفة – قالت بعد سقوط الطائرة بلحظات إن واحدًا قد وضع قنبلة في ذيل الطائرة ثم اختفى. ولم يكن أحد يعرف شيئًا عن نزول أحد ولا عن ذيل الطائرة!

وأمريكا لأنها أكثر انزعاجًا قد قامت بالتحقيق مع جميع موظفي مطاراتها الذين كانت لهم صلة بالطائرة والركاب والبوفيهات والتاكسيات والمكالمات التليفونية وأقارب المسافرين ومعرفة إن كان أحد قد هددهم أو لمح لهم بشيء، ثم من هم الذين سافروا إلى الشرق الأوسط؟ إن أكثر من نصف رحلة هذه الطائرة المحترقة كانت في الأجواء الأمريكية..

إن الحادث إذا كان كارثة مصرية، فسوف يكون فضيحة لأمريكا إذا لم تفلح في الرد على تساؤلات الملايين في كل مكان!

لمـاذا موهبـة؟!

أستمع إلى برنـامج (على النـاصية) للإذاعية اللامعة زميلة الدراسة آمـال فـهمي. وكانت آمـال فـهمي ونحن طلبة تغني لأم كلثوم في الحفلات السنوية، وكان لـها صوت معبر وأذن موسيقية.

وأول مرة أسمع اسم (عبد الحليم حـافظ) كـان من آمـال فـهمي. وفورًا سمعت لـه: مـالك ومـالي.. صـافيني مرة - وهو لا يزال أجمل الأصوات العربية وأعمقها وأكثرهـا طربًا وبلاغة..

وآمـال فهمي كانت ولا تزال مذيعة (لمضة). وقد أثـارت الكثير من المشاكل والمصاعب لنفسها ولغيرهـا. فعندهـا شجاعة وجـرأة في عرض مشاكل الجماهير.

ومن سنوات فوجئت بـأتوبيس يقف أمـام مبنى (الأهـرام) وقد امتلأ بـالأمهات والآبـاء يطلبون مقابلتي تتقدمهم آمـال فـهمي. فقد كتبت عن إحدى المدارس. وجاء أوليـاء الأمور يؤكدون لي أن الذي كتبته ليس دقيقًا وأقنعوني واعتذرت..

وأسعدتني آمـال فـهمي عندمـا أجرت حديثًا عن البطلة المصرية التي تساوي وزنـها ذهبًا (رانيـا علوانـي).. ومن كل الذي قـالته البطلة لا تجد إجابة عن سر تفوقهـا. وهذه هي الإجـابة الصحيحة فلا يوجد سبب وجيه أو مقنع لأن يتفوق أحد على بقية خلق الله.. وإنمـا هنـاك في داخل صـاحب الموهبة قوة خفية تقلقه تؤرقه. ولا يعرف مـا هـي.

ولكنه يستسلم لها. وهذه القوة تدفعه وترفعه إلى الأمام وإلى ما فوق الآخرين. لماذا؟ إنها موهبة من عند الله..

وقد حاولت آمال أن (تدحلبها) في الكلام عن الحب أو عن الزواج.. ولكن البطلة الشابة – لأنها بطلة – ليست هنا.. إنها مشغولة بمزيد من الذهب.. رصيداً لموهبتها وتكذيبًا عالميًّا لكل الذين قالوا: إنها لا تصلح.. وإنها مهما حاولت هي ووالدها الطبيب، فلن تحصل إلا على ميدالية خشبية.. ولكن البنت البطلة أصبحت تملك بعدد حروف اسمها ميداليات من ذهب!

لا يــزال الحاجــز النفســي..

هرتزل ولد في بودابست وعاش في النمسا.. وعايش عذاب اليهود في الدول الأوروبية التي بدأت تتحول من الإقطاع إلى الرأسمالية والتي ضاقت بالأعداد الكثيرة من اليهود. فكانت نظريته بأن الحل هو (دولة يهودية مائة في المائة)، وأن هذه الدولة لن تقوم إلا في حضن دولة عظمى ترعاها.. وحاول مع السلطان عبد الحميد ومع القيصر الألماني ومع فرنسا ومع بريطانيا.. ووعدوه بأرض في تركيا أو بوادي العريش شمال سيناء أو قبرص أو في شمال أستراليا أو أوغنده.. ولكن عينه على فلسطين. وحصل اليهود سنة 1917 على (وعد بلفور) لقيام دولتين على أرض واحدة..

ومنذ أيام احتفلت تليفزيونات العالم بمرور خمسين عامًا على وصول السفينة (الخروج 1947) التي حملت اللاجئين اليهود بقايا التعذيب الألماني فأعادتهم بريطانيا إلى قبرص وإلى ألمانيا.. كما منعت مئات الزوارق من دخول مياه فلسطين..

والصهيونية ترى أن اليهودي يجب أن يكون له انتماء واحد: فلا يكون يهوديًا أمريكيًا أو بريطانيًا أو مصريًا وإنما يبقى يهوديًا إسرائيليًا دائمًا. فلا يندمج أو تذوب معالمه في الدولة التي يعيش فيها.

فولاؤه لإسرائيل. فكثير من يهود أمريكا وأوروبا يعملون لحساب إسرائيل وضد الدولة التي يعيشون فيها – وكان ذلك قد جدد كراهية الشعوب لليهود وتعصبهم الديني والعرقي ولا يزال.

وكان الرئيس السادات يتحدث دائمًا عن (الحاجز النفسي) الذي بيننا وبين إسرائيل.. وأن زوال الحاجز النفسي يحتاج إلى وقت.. وفي كتاب (البحث عن الذات) للرئيس السادات وهو الذي حقق السلام مع إسرائيل يقول إنه كان في أحد مطارات سويسرا: زيورخ أو بازل عندما قيل له: إن الجالسين هناك من إسرائيل، فترك لهم المكان.. ولما زال هذا (الحاجز النفسي) بضرورة أن تكون هناك مفاوضات على السلام بدلاً من الحروب، ركب الطائرة وهبط أرض إسرائيل يواجه العدو وحده.. وهكذا استطاع في خطوة واحدة أن ينهي مشاكل مئات السنين..

هذا (الحاجز النفسي) لا يزال قائمًا بين إسرائيل وبين العرب وبينهم وبين العالم كله..

ويوم كان هرتزل يحلم بقيام دولة يهودية، كان واهمًا. فلا يمكن أن تقوم دولة وحدها ضد العالم كله.. ولا يمكن أن تقوم دولة في فراغ.. وإنما بين العرب ووسط مقاومة وكفاح.. ويستحيل أن يعيش اليهود على جثث شعب فلسطين دون أن يتحرك الضمير العربي والعالمي - ولذلك كانت الصهيونية حلمًا مجنونًا يعاديه أكثر الناس حبًّا لإسرائيل..

إسرائيل: حلم صهيوني..

قال لي عيزرا فايتسمان رئيس إسرائيل السابق عن اعتزال مناحم بيجن للسياسة حتى الموت: إنه لم يفعل ذلك حزنًا على زوجته ورفيقة كفاحه (عليزة) ولا بسبب المذابح التي وقعت في صابرا وشاتيلا، ولكن لأن السادات قد ضحك عليه واسترد منه سيناء بلا مقابل.. فبيجن صهيوني يؤمن بإسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.. وقد نشرت كلام الرئيس الإسرائيلي وكان بيجن لايزال حيًا فلم يرد. ولا أحد من حزبه ولا أحد من الصهاينة المتشددين.. ويوم كان السادات يلقي خطابه في الكنيست كنت أجلس وراء السيدة عليزة وكانت تنادي زوجها بصوت مسموع تذكره بموعد تناول الدواء.. فمد يده إلى جيبه وابتلعه فورًا. وحاولت مرة أخرى أن تنبهه إلى شيء آخر.. كأن يشرب ماء أو يضبط أعصابه ولكنه ذاب في غمار الموقف التاريخي الفريد.. وفي هذه الأيام سويسرا حاولت أثناء الاحتفال بمرور مائة سنة على المؤتمر الصهيوني الأول أن تكفر عن خطاياها في حق اليهود الذين تركوا في بنوكها ألوف الملايين ثم أنكرت ذلك.. ولكن تكاثر عليها يهود العالم ففضحوها.. لأنها ناصرت هتلر والنازية ضد اليهود.. وابتلعت فلوسًا كثيرة للحكومات وأجهزة المخابرات. وكان الأديب العظيم الصديق ديرنمات الذي دعوته إلى القاهرة وترجمت له سبع مسرحيات ظهرت على المسارح المصرية يقول: إنني أخجل من كوني سويسريًا. فأنا لا أفهم أن تقف دولة على

الحياد من كوارث البشرية.. وإنما تجمع فلوسها وتكسب من وراء ذلك.. فمن الواجب أن تقف مع الحق والعدل..! وفي مدينة بازل التي احتفل بها يهود العالم بذكرى المؤتمر الذي عقده الصحفي النمساوي تيودور هرتزل (1860– 1904) مطالبًا بدولة للشعوب اليهودية على أرض فلسطين. ففي هذه المدينة ولدت دولة إسرائيل.. والصهيونية هي النظرية التي تنادي بجمع شتات اليهود من العالم إلى أرض فلسطين وعلى جثث الشعب الفلسطيني. والصهيونية نسبة إلى جبل (صهيون) الذي لا يعرف له أحد مكانًا.. وإنما هو رمز لجميع اليهود الغرباء في كل أرض.. لقد أراد هرتزل أن يحول الحلم الديني إلى حقيقة سياسية؛ فالحلم الديني هو أنه سوف يجيء يوم يظهر فيه المسيح أي المخلص (قد يكون ملكًا أو حاخامًا) لإنقاذ اليهود من الضياع ويجمعهم في أرض الميعاد ومنها تحكم العالم. ولذلك فهناك مذاهب دينية ترى أن إسرائيل الآن دولة كافرة لا يتكلمون لغتها ولا يتبادلون فلوسها بفلوسها ولا يحملون سيفها دفاعًا عنها لأنها قامت قبل الأوان؛ لأنها قامت قبل مجيء المخلص لليهود..

ولــم أرســل خطابًــا!

المذيع السوري القديم، والأديب في كل الأحوال الصديق عبدالهادي البكار، أرجوه أن يجمع رسائله إلى الصحف وإلى أصدقائه في كتاب. فهو كاتب أولاً، وساخر ثانيًا، وعالم ثالثًا، وطويل اللسان طويل النفس. وموهبته أن يتدفق رسائل طويلة.. ولا أذكر إلا نادرًا أنني كتبت خطابًا لأحد.. فأجدني بعد أن فرغت من الخطاب عدت فحذفت المقدمة والنهاية - أي اسم الصديق الذي أرسلت إليه والنهاية التي هي: أتمنى لك ولأسرتك مش عارف إيه.. ثم حولت الخطاب إلى مقال.. مرة قررت أن أكتب خطابًا إلى صديقي د. يوسف إدريس ولم يكن في نيتي أن أتجاوز صفحة أو صفحتين. فقد أردت أن أناقشه في النقد الذي وجهه لصديقنا المرحوم يوسف السباعي؛ فيوسف السباعي رجل مهذب ورقيق وخفيف الدم وعنده سماحة سياسية ودينية تكفي لعشرات الناس ليكونوا جميعًا متسامحين متحابين.. وطالت الرسالة تحت يدي أربعين صفحة. وبعد أن فرغت منها خشيت أن يبددها يوسف إدريس. فقد كتبتها وفي ذهني أن يرد عليها أو يحتفظ بها أو يضعها مع رسائل أخرى في كتاب. فأنا كتبتها للنشر - ينشرها هو أو أنشرها أنا ونشرتها..

ومرة ثانية اتفقت مع المرحوم موسى صبري على أن نرد على كتاب المرحوم أحمد بهاء الدين في محاوراته مع السادات. واتفقنا على أن هذه المحاورات لم تحدث إلا في خيال كاتبنا الكبير. ومرض

الأستاذ بهاء الدين. فتوقفنا عن إعداد كتاب مشترك للرد عليه. واشتد عليه المرض. وقررنا أنه لاداعي.. ولكني قررت أن أبعث بالخطاب إلى موسى صبري. فمرض هو أيضًا – يرحمه الله.

ولم أقرأ عن أحد برع في الرسائل كما فعل الفيلسوف الوجودي سارتر: لقد صدرت له مجلدات من رسائله إلى أصدقائه. وفي الوقت نفسه لم يتوقف عن إنتاجه الغزير العميق الجميل – إنها موهبة فذة!

فيا ليتك أيها العزيز عبدالهادي البكار تجمع هذا الذي تفرق بين أصابع كثيرة..

مجرم.. عبقري!

لحسن الحظ أن اللاعبين لا يقرءون الصحف قبل المباريات، ولا يسمعون المعلقين الرياضيين أثناءها. هات ما كتبوه عن محمود الجوهري فسوف تجد العجب. أناس يقولون إن الجوهري ما حصلش، وآخرون يقولون يا ريته ما حصل. وإنه كارثة على كرة القدم.. أو كرة القدم هي الكارثة على عبقرية الجوهري.. وإن الجوهري تجاوز عمره الافتراضي.. أما إذا كسب الجوهري قالوا: الدهن في العتاقي يا جدعان.. وإن نشفت الوردة ريحتها فيها!

ولكن محمود الجوهري أعصابه من حديد، وليس من السهل زعزعة خطوته، وشوشرة نظرته، وزحزحة عزيمته، فما الذي قاله المحللون والمعلقون والمذيعون قبل وأثناء مباراة مصر والجزائر؟ مثلا: المعلق الرياضي الشهير ميمي الشربيني رجل ظريف وعنده تعبيرات مبتكرة. لكنه يستخدم كلمات ضخمة لا يصدقها عقل. كأن يقول: ياه يا عظيم يا ولد.. يا عظمة أنا من أول لحظة تنبأت بعبقرية هذا اللاعب.. رجله توزن بالذهب لأنها سددت الهدف. ويده توزن بالذهب لأنها لم تلمس الكرة. يعني يطالب بقطع يده ورجله ووزنهما معًا. أي إقامة الحد عليه كأنه ارتكب إثمًا عظيمًا!!

أما إذا لم يحرز لاعب هدفًا لأنه لم ير الكرة والكرة لم تر الشبكة فألف طوبة فوق دماغه ودماغ الذين أتوا به إلى هذه الدنيا.. وياما

نصحنا الجوهري وياما قلنا ولكن لا حياة لمن تنادي. أما إذا نجح الفريق القومي: فالجوهري موهبة يا جماعة..

ولا علاقة للسن بالموهبة. فالأهداف التي دخلت في مرمى الجزائر كانت من تخطيط الجوهري وتسديد اللاعبين.. مع أن الملعب يتغير شكله في كل لحظة ولا يمكن أن يتنبأ به أعظم الفلكيين.. والملعب مثل فنجان قهوة تهزه يمينًا وشمالاً ثم يستحيل أن تتنبأ بصورته في النهاية.

فليس اللاعبون وحدهم سبب النجاح والفشل ولا المدربون وإنما المحللون والمذيعون والنقاد الذين يطبلون إذا نجحنا ويلطمون إذا انهزمنا.. إنهم هؤلاء وحدهم الذين ليست لديهم روح رياضية.. ولذلك يفسدون اللاعب ويضللون المتفرج ويحطمون المدرب!

أرملتـــه السجينـــة..

منذ عشرين عامًا مات الرئيس اليوجسلافي تيتو (88 عامًا)، وهو الذي وحد الأجناس والأديان في دولة تفككت، وجاء من بعده الدكتاتور ميلوسيفتش وذهب. وانفتحت السجون وخرج مئات ودخل ألوف.. ولكن بقيت مسجونة واحدة للرئيس تيتو لم يفرج عنها إلا أخيرًا وبعد 25 عامًا: إنها أرملته!!

وظلت يوفانكا أرملة تيتو مسجونة القصر الجمهوري، ثم نقلوها إلى بيت منهار.. وحدها إلا من عدد من الأقارب، تلتقي بهم في المناسبات الدينية والعائلية. ولكن لا أحد يعرف ما الذي أغضب تيتو على زوجته التي عرفها ضمن جيش التحرير وعمرها 17 عاما. ثم تزوجها ولم ينجب منها. وقد رفضت يوفانكا (73 سنة) أن تتحدث عن الأسباب التي أدت إلى هذا السجن.. ولكنها كل أسبوع تخرج يوم الاثنين لتضع وردة على قبر زوجها: سجَّانها وجلاَّدها. وكلما سألتها وسائل الإعلام العالمية ركبها الخوف ورفضت أن تعترف بشيء. ولذلك يقال – وليس أحد على يقين من ذلك – إنها كانت قد اتصلت بعدد من الجنرالات في السنوات الأخيرة لمرض زوجها، لتقوم بانقلاب عليه.. فهو الرجل المريض ولابد من حماية الموروثات الوطنية الضخمة التي تركها وراءه. يقال.. ولكن أحدًا لا يزعم أن زوجة تيتو كانت مثل زوجة مانديلا تلعب بذيلها في أثناء الاعتقال الطويل لزوجها.. فلم يكن صبرها مثل وفائها أسطوريًّا.. أي

مثل بنيلوبه في ملحمة (الإلياذة) التي انتظرت عودة زوجها عوليس (عشرين عامًا). فكان إذا تكاثر عليها العرسان قالت: موافقة، ولكن بعد أن أفرغ من شغل هذا البلوفر الذي في يدي!

وكان الذي تصنعه بالنهار تفكه بالليل. ولم تنته من البلوفر.. ولكن التاريخ يقول لنا إنها كانت تلعب بذيلها..

هذا ما لم تفعله أرملة تيتو ـ فكان مصيرها السجن الطويل، كأنها فعلت ذلك!

لا نعرف معنى لهذا

- قل لي يا أستاذ: هل حياتنا هذه حياة؟

* لاتوجد حياة.. وإنما حياة لكل واحد.. حياتي غير حياتك، غير حياته، غير حياتها.. تمامًا كما أن لنا أجسامًا مختلفة.. لأنني غيرك أبًا وأمًّا ودراسة وتجربة وعذابًا في هذه الدنيا..

- ليكن! فما هي الحكمة من كل هذا الذي نحن فيه ونعانيه؟

* لا أعرف لحياتنا أية حكمة.. ولا أي هدف. ولا أي معنى.. وإنما أنت الذي تجعل لحياتك طعمًا ولونًا ورائحة. تعيش وتموت كما عاش قبلك ومات مئات الملايين.. فلا أنت تعرف ولا أنا لماذا عشنا ولماذا نموت.. وما هي هذه اللعبة. وكما أن أطفال الفراعنة قد وقفوا أمام الهرم من ألوف السنين لا يعرفون لامعناه ولامصيره ومع هذه الأبهة المعمارية كانوا يعبدون العجل!

فكذلك نحن لانعرف معنى النجوم والكواكب والنيازك والثقوب السوداء.. لأننا لم نصل إلى نهاية الطريق.. إنما نحن نقف عند إحدى المحطات في خط طوله ألوف ملايين السنين.. فليست عندنا أية وسيلة للمعرفة. وإذا عرفنا القليل فإننا لا نستطيع أن نجزم بشيء.. والذي نجزم به اليوم سوف يتوارى غدًا عندما تظهر حقائق جديدة.. وهكذا نمضي من شروق إلى غروب إلى شروق.. ولاندري نهاية لأي شيء فينا أو حولنا!

– فهذا – إذن – مصدر عذابنا؟

* عذاب الذين يفكرون ويتعمقون فقط.. فأنت لا تستطيع أن تكتسب عطف من يبيع البصل والفجل إذا حدثته عن أزمة قطع غيار السيارات المرسيدس ونقص الأكسجين في المدينة المدارية حول الأرض.. ولا أن تهز وجدان رواد الفضاء إذا حدثتهم عن الدروس الخصوصية ومشروع توشكى.. ولا أن تقلقنا الآن إذا قلت لنا إن النيزك «إيروس» سوف يسحق الأرض بعد مليون سنة!!

– ألا تبدو هكذا متشائمًا؟

* إذا كانت الرغبة في فهم الحكمة من الحياة هي أهم همومك، فكيف لا تكون متشائمًا مادمت تعيش في واحد على ألف مليون من طريق مجهول البداية والنهاية.. إننا مثل قطط وكلاب وفئران المعامل نعيش ونموت بلا حكمة، ونرتدي زيًّا مهلهلاً كل يوم، ونقوم بأدوار هزلية وفي الوقت نفسه مطلوب منا أن نؤمن إيمانًا مطلقًا بأننا مركز الكون.. لا قبلنا ولا بعدنا، وليس لدينا دليل علمي واحد على صحة ما نقول!

وجدت نفسي في طشقند وحدي لا أحد أقول له ولا أحد يقول لي.. الشوارع مغطاة بالجليد والوجوه حزينة كئيبة. ورحت أدور حول الفندق وفي داخله وفجأة وجدتني أمام غرفة مكتوب عليها: طبيب.. ودفعت الباب وكانت طبيبة شابة حلوة. سألتها إن كانت تتكلم الإنجليزية فقالت: قليلاً.. فقلت لها عبارة روسية – الوحيدة التي أعرفها – فضحكت؛ لأن العبارة ليست لها مناسبة.

سألتني: مالك؟

فأجبت أن هذه هي بداية الموضوع الذي أريد أن أكتبه. فوضعت يدي على قلبي وعلى رأسي وعلى جنبي وقلت لها: كلها توجعني.. وقلت: وأنا أصاب برعشة في المساء وفي الصباح.. وإنني وصلت إلى مكتبها بصعوبة..

وبمنتهى الهدوء فتحت الدرج وأخرجت قرطاسًا من الورق وأخرجت قرصًا. وقالت: خذ هذا القرص وتعال غدًا.

واندهشت كيف أن الطب متطور في طشقند لدرجة أن كل هذه الأعراض يمكن علاجها بقرص واحد؟!

وفي اليوم التالي ذهبت. وسألتني كيف الحال؟ قلت لها: ولا حاجة.. فقالت: لأنك لست مصابًا بأي مرض فلو أن لديك كل هذه الأعراض ما استطعت أن تمشي أو تجلس!

وضحكنا وخرجت ومدت لي يدها بقرص آخر..

ومنذ أيام تفرجت على مسلسل اسمه (بعد الرحيل) وفيه الفنان حسن كامي يقوم بدور طبيب كبير وجلس أمامه طبيب شاب وضعوا له مخدرًا تمهيدًا لتهريبه.. ولا يزال يترنح. فوقف الطبيب الكبير لعلاج الطبيب الصغير وقال له: بص الناحية دي.. وبص الناحية الثانية.. وعينك في عيني!

وفهم الطبيب الكبير مرض الطبيب الصغير وكتب له روشتة: قرص واحد كل يوم!

وسألت عددًا من الأطباء: يا ترى ما هو المرض الذي عرفه د. حسن كامي بمجرد النظر إلى عيني طبيب آخر؟..

وما هي هذه «الحباية» التي هي علاج له؟.. هل في الدنيا طب بهذا الشكل.. وتشخيص من هذا النوع وحبوب سحرية بهذه القدرة؟!

نكتة فعندنا أطباء يشخصون بهذا الشكل ودون أن يلمسوا المريض.. ودون أن يجعلوه يكمل مثل هذه العبارة: عندي حرقان هنا يا دكتور..

وتكون (هنا) هذه هي المعدة أو القلب أو الرئة. ويهز الطبيب رأسه ويكتب روشتة.!

فالدكتور حسن كامي – مع الأسف– ليس وحيدًا وإنما هو طراز من الأطباء!

رأيت وعانيت من كل الصلوات التي أقامها البابا يوحنا الثاني والعشرين في ميادين باريس وكنائسها الكبرى.

وكان لابد أن نلف وندور حول عشرات الشوارع المسدودة بالمتاريس ورجال الأمن. ولكن البابا الذي تقدمت به السن لم يتوقف عن الدعوة إلى الإيمان في معظم دول العالم وكانت رحلاته أطول من السفر إلى القمر ذهابًا وإيابًا داعيًا إلى المحبة بين أبناء الكنيسة أو المحبة بين الناس. وطبيعي جدًّا أن يدعو إلى دينه وكتابه وربه. وقد دعوه ليشاركهم احتفالهم بالعيد الثاني عشر للشباب، أو هو انتهز هذه الفرصة ليشارك في الاحتفال بذكرى قديسته تريزة الصغيرة، ولينصب قديسًا فرنسيًّا جديدًا.

وعلى الرغم من أن فرنسا هي قاعدة الحرية والإخاء والمساواة، فإن الكثير من الأقلام جعلت تشكك في البابا وفي دينه.. وتشكك في أمراء الكنيسة: الكرادلة. وفي الشبان الذين كانوا يبكون لمجرد رؤية البابا وسماع صوته المرتجف ووجهه الوضيء المضيء الهادئ.

وبعض المفكرين يرون أن هذه دعوة لتخريب المجتمع الإنساني - تصور! وحجتهم: أن البابا ورجاله يجب أن يتركوا الشباب في حالهم ليختاروا من الأديان أو عدمها ما يعجبهم.. أما الدعوة والإلحاح بالفلوس وبالتليفزيون فهي تبشير بالتعصب ضد الأديان

الأخرى أو النظريات السياسية والفلسفية التي ترى الدنيا بعيون رجال آخرين غير البابا.. وأن البابا ليس إلا داعية حرب - تصور!

أحد الكتاب قال إن التنوير في أوروبا لم تشرق شمسه إلا عندما تخلص المفكرون من ثلاث كلمات هي: هكذا قال أرسطو.. فقد كان من عادة مفكري العصور الوسطى إذا قالوا: هكذا قال أرسطو كان معنى ذلك: أنه لا مناقشة ولا راد لما قاله الفيلسوف الإغريقي العظيم أرسطو وجاءت حركة النهضة تقول: هكذا قال أرسطو وهكذا نقول نحن أيضًا. فإذا كان له رأي فلنا رأي مختلف عنه! وأنا لا أرى أن بابا الفاتيكان هو أرسطو العصر الحديث، فهو لا يرفض الآراء الأخرى.. بينما الآراء الأخرى ترفضه، وترفض كل دين..

وياليت كل رموز الأديان يدعون شعوبهم إلى الحب والرحمة والتسامح..

وإذا كان التعصب كارثة، فإن التعصب ضد التعصب كارثة أكبر، والحل الحكيم دائمًا ما قاله القرآن الكريم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

هديـــة فرنســا لنـــا..

..وإذا كان الفرنسيون لا يزهقون من الكتابة عن نابليون، فهم أيضًا لا يزهقون من الكتابة عن الفراعنة؛ فالفرنسيون عندهم يقين بأن شامبليون الذي فك طلاسم اللغة الفرعونية هو أيضًا الذي كشف لنا وللدنيا الحضارة المصرية القديمة، وأهداها إلى فرنسا ولنا.. فقد كنا ننظر إلى الأهرامات وأبي الهول والكرنك.. كنا ننظر ولا نرى.. أي ولا نعرف ما المعنى، ما الحكمة، ما العظمة. حتى جاء شباب الحملة الفرنسية يتقدمهم أعظم شباب زمانه نابليون (52) سنة، ففرنسا لذلك تنظر إلى مصر على أنها من اكتشافها..

ولم يكن غريبًا عندما ذهب إليها تابوت الملك رمسيس يطلب العلاج أن أطلقوا له 21 طلقة – كأنه أحد ملوك فرنسا!

فالكتب الموجودة في مكتبات باريس عن مصر الفرعونية رائعة: علم وحب وإعجاب لا حدود له..

إن أستاذة واحدة مشغولة بالحضارة القديمة اسمها فيولين فاتويك قد أصدرت الجزء الأول من سلسلة لها من أحد عشر كتابًا عن (غراميات الفراعنة).

أما الجزء الأول فعنوانه (قصص الحب عند الفراعنة) وقد اختارت غرام نفرتيتي لإخناتون وولع نفرتاري برمسيس الثاني وهيام تايبي برمسيس الثالث.. ثم جنون قيصر بكليوبطره.. وهوس أنطونيو بكليوبطره ثم انتحارها في النهاية.

وفي الصفحة الأولى من كتابها هذا جاءت هذه الأبيات لعاشقة فرعونية تقول: «إنني مجنونة بك لدرجة أنني نسيت أن أصفف شعري لكي ألقاك في أجمل صورة.. لا يهم.. إنني الآن لك على طول».

تقول فيولين إنها قد اتخذت مادة هذه الكتب من البرديات والنقوش وإنها تعبت في مراجعة النصوص ومقارنتها بعضها ببعض.. ولكنها كوفئت على ذلك بأرق المشاعر الإنسانية.. وأعمق أعماق المرأة الفرعونية.. فالمرأة هي هي في كل العصور مهما أخفت مشاعرها والرجل هو الرجل سواء كان جالسًا على العرش أو راكعًا أمامه.. إنه يحب المرأة (الأنثى).. كما أن المرأة تحب الزوج (الرجل).. وقد انبهرت فيولين بالتعبيرات الرقيقة والكلمات المهذبة - في الحب.. إن شباب اليوم أجرأ من نفرتاري ونفرتيتي وتايبي ألوف المرات.. ولو سمعت فتيات اليوم كلمة (أخي) عندما تقولها المرأة لحبيبها لأغرقت الفتيات في الضحك.. مساكين إنهن لا يعرفن الحب كيف يسمو ويرقى ويضيء ويظل في غاية الأدب والنبل..

وإذا كانت مصر هبة النيل، فإن مصر الفرعونية هبة فرنسا!

حان موعد تصحيح الأخطاء المطبعية التي وقعت في هذا المكان..

سفينة الفضاء البريطانية لم تنطلق بعد من القواعد الأمريكية، ولكنها سوف تنطلق إلى القمر طيطان أحد أقمار كوكب زحل.. وتستغرق الرحلة سبع سنوات.. وتلقي عليه بأجهزة صغيرة دقيقة جدًا تزن 12 رطلا وليس 12 أوقية!

أما السيمفونية الناقصة رقم 8 للموسيقار شوبرت ولم يكمل منها إلا حركتين فقد ألفها سنة 1822 وليس سنة 1933!

أما القرن الحادى والعشرون فيبدأ في الدقيقة الأولى من صباح يوم أول يناير سنة 2001 – وكان أغلب الكتاب يقولون يوم أول يناير سنة 2000.

أما البطيخ والشمام فليسا فاكهة وإنما لهما طعم الفاكهة ولكنهما علميًا من الخضراوات..

ولم أقل في أي وقت إنني ركبت سفينة فضاء! وإنما كان أملي وقد حاولت ولكن واجهتني صعوبة وحيدة وهي أنني قبل أن أذهب إلى أمريكا يجب أن أتدرب على النوم عشر ساعات في اليوم – بلا منومات– ولمدة ستة شهور.. وهذا هو المستحيل! فمن النادر أن أنام خمس ساعات في أي يوم حتى لو أخذت حبوبًا منومة!

لا أدعى أنني شاركت المرحوم كمال الملاخ في اكتشاف مراكب الشمس.. وإنما كنت معه عندما رأى مراكب الشمس.. هو يعرف وأنا لا أعرف ما هذا الذي نراه.. وإذا أنت وقفت إلى جواري وأنا أكتب الآن فإن هذا لا يعطيك الحق في أن تضع اسمك إلى جوار اسمي عند نهاية هذا المقال!

أما أن الرئيس حسني مبارك مرح ويضحك فهذه حقيقة أعرفها شخصيًّا ويعرفها كل من يختلط بالرئيس. ولكن لا يظهر عليه ذلك وهو يتحدث إلى الشعب عن همومه ومصائب الدنيا. وإن كان يحاول تخفيف ذلك في أحيان كثيرة.. ولكن يكفي أن تتفرج على الرئيس وهو يستمع إلى الغناء. إنه سعيد وهو يتابع الموسيقى والمطربين ويظهر ذلك واضحًا على ملامحه وعلى يديه أيضًا.. إنه أولاً وأخيرًا بشر ومصري وابن بلد..

ولن أعتذر عن الأخطاء النحوية. لا لأني معصوم من الخطأ. ولكن لأنها أخطاء تافهة.. ويعرف صوابها أي تلميذ صغير.. فإذا جاء خبر (إن) منصوبًا فهي غلطة، وغلطة مطبعية. تمامًا كما أقول إن 2 × 2 = 5.. إنها غلطة مطبعية. ويعرف الصح أي طفل!

لأنه قتل فأرًا!

بعد حرب جزر فوكلاند بين بريطانيا والأرجنتين سنة 1982 وقف أحد الجنود أمام المحكمة بتهمة أنه أطلق النار على زميل له، فحكمت المحكمة ببراءته والإعجاب به. لماذا؟ لأن هذا الجندي وجد زميلاً له قد اشتعلت فيه النيران واتجه إليه فخاف أن يؤدي ذلك إلى كشف مخبأ بقية الجنود فأرداه قتيلاً.. وراح يبكي! أما آخر المحاكمات العسكرية في (هونج كونج) التي سوف يتركها الإنجليز للسلطات الصينية فهي أن جنديًا أطلق النار على فأر فكان لابد من عقابه بالحبس. لماذا؟ هذا الجندي البريطاني ألقوه بالمظلة في إحدى غابات هونج كونج ضمن قوة عسكرية مهمتها ضبط مهربي المخدرات.. وعصابات سرقة السيارات الفاخرة من جزيرة هونج كونج وبيعها لأغنياء الصين الشعبية. وهي عصابات قوية مسلحة بالأجهزة الإلكترونية والأسلحة الخفيفة والسموم وتساعدها طائرات وزوارق.

وعندما هبط هذا الجندي وجد مكانًا يختبئ في داخله هو وزملاؤه ولم يكد يستقر في هذا المكان حتى رأى ثعبانًا فحطم رأسه بسرعة. ثم ظهر فأر كبير. فحاول تخويف هذا الفأر فلم يستطع. فكان يلقي عليه الطوب، فيختفي الفأر صباحًا ليعود مساء.. ولم يفلح هذا الجندى وزملاؤه في إبعاد هذا الفأر الذي يتهجم على الجنود وطعامهم. ولما ضاق به الجندي أمسك مسدسه وأطلق عليه النار!

وسمعت العصابات صوت الرصاص فهربت.. وبذلك فشلت مهمة عشرين جنديًا ظلوا في الغابات والأحراش أسبوعين. واعترف الجندي بأنه حاول الاتصال برؤسائه عن طريق الراديو فلم يسمعوه. فتصرف من تلقاء نفسه مخالفًا بذلك اللوائح التي تمنع الجنود في مثل هذه المهمة من إطلاق النار على الحيوانات المفترسة حتى لا يؤدي ذلك إلى كشف مهمتهم السرية! ولم يشفع للجندي ما رواه للمحكمة من أنه تذكر ما حدث لأخيه الذي أكلته الفئران في إحدى قرى الملايو.. وأن هذا هو سر خوفه وتهوره في قتل هذا الفأر!

أمريكا دخلت الحرب!

لولا الإمساك ما كان عظيمًا!

هذه العبارة جاءت في دراسة صدرت أخيرًا عن واحد من أعظم العلماء: دارون.

فقد كان سوء الهضم مشكلة حياته.

ولذلك ظل قابعًا في البيت ينتظر الفرج.. فالإمساك فرض عليه العزلة والدراسة والتأمل.. كما فرض على المفكر الإنجليزي كارليل أن يقف بدلاً من أن يجلس.. فكان يشكو الانتفاخ وكثرة الغازات التي جعلته يتفادى أي نشاط اجتماعي.. وكذلك نابليون والإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وشكسبير.. أما تشرشل فكان يداوي نفسه. وكان يفرض العقاقير على أيزنهاور حتى كاد يقتله في إحدى المرات.

يقول د. موران طبيب تشرشل إن تشرشل كان جالسًا على (القصرية) في مخبأ تحت لندن عندما جاءه خبر بأن الطيران الياباني أغرق الأسطول الأمريكي في هاواي.. فراح تشرشل يتنطط وهو يقول: أمريكا دخلت الحرب.. أمريكا دخلت الحرب.

ثم زال عنه الإمساك فورًا.. وذهب بعد ذلك ونام نومًا عميقًا! وكان أستاذنا عباس العقاد يضع يده على جانبه الأيسر دائمًا.. إنه مصرانه الغليظ والإمساك المزمن.

فهو رجل عصبي. وهو كثير التأمل والتفكير. والإمساك ابن الفكر والهم. وهو لذلك أحد أمراض المثقفين.. وقد مات العقاد بمصرانه!

أما الروائي الفرنسي العظيم بلزاك فكان يضع إلى جواره دلوًا من القهوة.. وفي الغرفة المجاورة فتاة جميلة.. ولا يكتب إلا متنقلاً بين الغرفتين.

والنتيجة هي الإمساك الذي يمزق أحشاءه. وكان يقول: عندي إحساس بأن فأرًا صغيرًا يقرض معدتي!

أما العالم الإنجليزي دارون فقد لجأ إلى حيل كثيرة لعلاج سوء الهضم.

ولكنها جميعًا لم تنفع: شرب الساخن والبارد.. والانتقال المفاجئ بين الماء الساخن إلى البارد إلى الساخن تنشيطًا للمعدة أو الأمعاء.. أما الاضطرابات العصبية والقلب الذي زاد دقتين وثلاثًا، فليس الإمساك هو السبب.

وإنما لأنه أصيب بمرض اسمه (جاشاس) نتيجة للسعة حشرات غابات أمريكا الجنوبية.

وكان المؤرخون يقولون إن أبغض شيء إلى دارون أبوه.. ثم أضافوا: والإمساك أيضًا.

والإمساك وحده ليس سبب العبقرية.. وإنما العبقرية استفادت من هؤلاء المعذبين.. وإذا كان المثل يقول: إن الجيش يزحف على معدته، فإن إصابة القادة بآلام المعدة لا تكفي لكي تزحف الجيوش إلى المجد!

أسرع ولكن ببطء

هناك عبارة لاتينية تقول: أسرع ببطء – Festina Lente لأن مصيبة هذا الزمان: السرعة – أو التسرع. فالناس كلهم يهرولون ذهابًا وإيابًا، إذا أكلوا وإذا شربوا وإذا ناموا وإذا قاموا.. فهناك منافسة مستمرة وسباق مع الزمن.. حتى أصبح لدى كل واحد منا شعور بأن الموعد قد فات.. وأنه تأخر.. وكان صديقنا الفنان عبد السلام الشريف يمشي مسرعًا، ولا يكاد يلتقي بأحد حتى يعتذر له عن أنه لم يأت في الموعد المحدد.. والذي يضحكنا أنه لا وعد بيننا.. ولكنه اعتاد أن يتأخر واعتاد أن يعتذر أيضًا!

وعلى الرغم من أن التكنولوجيا الحديثة قد وفرت لنا الوقت: الطائرة تنقلك إلى آخر الدنيا في 24 ساعة بدلاً من السفر شهورًا في البحر.. وسفينة الفضاء تدور حول الأرض مرة كل ساعة ونصف الساعة.. وهناك العقول الإلكترونية. ومع ذلك فالناس يلهثون..

ولو استمعت إلى مدرب الجولف لوجدته ينصح اللاعبين ألا يستعجلوا في ضرب الكرة.. ويقول: على مهلك لكي تصيب الهدف..

اذهب إلى مقدمة الطائرة وانظر إلى الكابتن ومساعده إذا جاءهما المهندس يقول إن خللاً أصاب الطائرة، فلن تجد الفزع والقلق على وجه الكابتن؛ لأن الفزع لا يحل المشكلة.. ولكن الهدوء والبحث عن حل..

أذكر أنني كنت في رحلة إلى اليابان عندما جاءتني المضيفة – وكنت نائمًا – تقول: كابتن الشقنقيري يريدك فورًا. ولم أتخيل ما هي حاجة الكابتن إلى أحد الركاب. ولكن وجدته يضحك سعيدًا وهو يدعوني لكي أتفرج على مطب سوف تقع فيه الطائرة حالاً وأنه سوف يتلقى المطب العميق على جناحي الطائرة.. يعني إيه؟ وسقطت الطائرة ألفي قدم ومعها قلبي.

ولا حدود لسعادة الكابتن!

وهناك عبارة للشاعر الكبير أوسكار ويلد يقول: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، بل إلى ما بعد غد!

فأهم ما في حياتنا ليس هو الذي نؤديه بسرعة بل ببطء! فإذا فكرت في شيء فاجلس، وانتهز الفرصة وفكر على مهل. وإذا حان موعد الطعام فاجلس بسرعة، وامضغ على مهل.. وكان العالم الكبير د. أحمد زكي يقول: إذا غنيت رقصت معدتك.. أي إذا كنت في حالة نفسية هادئة فسوف تهضم معدتك طعامك على أحسن وجه..

ولا تصدق من يقول لك إنه لا يوجد وقت. بل يوجد. ولكنه

لا يحسن استغلاله: بسرعة في اتخاذ القرار وببطء في تنفيذه.. فأسرع ولكن على مهل!

لـم يهـرش بعـد ذلك!

لابد أن يكون عندك حساسية - نوع من الحساسة؛ لأن عندك إحساسًا بقبول شيء ورفض شيء آخر..

وأنت في بيتك: التراب والعتة.. ولا ترى التراب في هواء البيت ولا التراب القادم من النافذة. ولا ترى (العتة) في اللحاف والمخدة والملابس الصيفية المركونة من العام الماضي..

والعطور في الصابون.. فإذا غيرت الصابون الذي تستخدمه.. وكل المواد الحافظة الموجودة في المعلبات وكذلك الألوان الموجودة في الحلوى.. والحبر الموجود في الصحف والمجلات.. وذرات الورق والهباب الذي يتطاير وأنت تقلب الصحف والكتب..

وبعض الناس لو ذاق الرنجة أو المش فإن النار تشتعل في دمه وجلده. وإذا خرجت من البيت إلى الحدائق - ياحسرة فين هيه؟! - أو إلى الحقول فإن حبوب اللقاح تجعلك تهرش في جسمك أو في عينيك.. وإذا ذهبت إلى البحر فكثيرون يصابون بالتهابات شديدة بسبب اليود الموجود في الماء.. وفي هواء البحر..

وكثيرون يوجعهم السمك وكل (قواقع البحر)؟

فما هي هذه الحساسية؟ لقد كانت التفسير الوحيد لكل أمراض القرن الماضي وأوائل هذا القرن. فليس أسهل ولا أبسط ولا أسرع من أن يوصف أي مرض بأنه حساسية..

وهنا تتوقف المناقشة لأن الدكتور قال ذلك. والمريض استسلم فوافق. وهكذا ينتهي التشخيص والعلاج معًا. ولم يكن للحساسية دواء.. إذ كيف تداوى كل هذه الأوجاع بقرص واحد أو حقنة واحدة؟!

فما هي الحساسية؟ إنها رد فعل غير عادي لجهاز المناعة في الجسم لبعض المواد التي قد لا تؤثر في الآخرين.. فهل لها علاج؟ أحيانًا.. ولكن إذا عرفنا هذه المواد فيمكن تجنبها ويمكن التخفيف من ألمها. وبس!

قرأت في مذكرات د. موران وهو الطبيب الخاص لتشرشل أنه قال جادًّا: لقد أصبحت عندي حساسية ضد تشرشل. فلا أكاد أقول له: طلع لسانك.. قل آه.. حتى أشرع في الهرش؛ لأن الذي سوف يحدث بعد ذلك يضايقني جدًّا فأنا الذي أفحصه وأشخص له الألم وهو الذي يمسك قلمًا ويكتب لنفسه روشتة: ولا أستطيع أن أمنعه.

وبعد وفاة تشرشل لم يعد د. موران يهرش!

ســوء الاستخــدام

أنـا أحد الذين انزعجوا من بنـاء السد العـالي. ولست مـهندسًا. ولكن قرأت وجهات النظر الأخرى. وأول من اعترض على السد العالي كان الرجل الذي شارك في بنائه وفي الضغط على «زرار» التفجير لتحويل مياه النيل: خورشوف!

ونحن عندما طلبنا من أمريكا أن تبني السد رفضت فاتجهنا - على سبيل العناد - إلى روسيا. فكان السد العالي الذي أدى إلى توفير المياه التي أطلقها الفلاح المصري على الأرض فأغرقها وأغرق الترع والمصارف.. وكان التيار الكهربي من توربينات السد لإضاءة القرى والمصانع. ولكن نصف هذا التيار يضيع في المسافة بين أسوان والمدن الأخرى..

وكان الخطأ أننا جعلنا كثرة الماء سببًا في سفاهة الفلاح الذي يغمر الأرض.. صحيح أن الماء الكثير كالمال الكثير مفسدة ولكن هناك العقل والحكمة والفهم.. فالمال الكثير ليس عيبًا

ولا مرضًا، ولكن سوء استخدامه هو العيب.. وكذلك سوء استخدام الماء.. ثم إنه مرت علينا سنوات عجاف، كما مرت على إفريقيا كلها. ولولا مدخراتنا من الماء في بحيرة ناصر لمتنا جوعًا. ونحن أيضًا لا نلوم الأسماك في البحيرة أنها توحشت وثقلت وأصبحت ضخمة جافة لا تصلح للطعام.. وهي لا تصلح لأننا تركناها حتى صارت

آلات متوحشة من العضلات ولا عيب فيها ولا عيب في البحيرة، ولكن كل العيب فينا!

ونفس الاعتراضات والمخاوف من مشروع توشكى الجديد.. هناك اعتراضات من الأرض ومن الجو على هذا المشروع الجبار!

وهناك اعتراضات على منخفض القطارة – أي دفع ماء البحر إلى المنخفض لتوليد الكهرباء. وهناك خوف على مستوى المياه في غرب الدلتا أن يرتفع الماء المالح ويختلط بالماء العذب ويفسد التربة، وكما أدت بحيرة السد إلى تغيير جو أسوان فجعلته رطبًا ممطرًا. فهناك خوف على أرض وجو غرب الدلتا من مياه المنخفض..

كــل شــيء بســرعــة!

أحب الجلوس مع الشباب. لا أتفق معهم في أحكام كثيرة. ولكن لهم العذر. إنهم مختلفون. وقد كنت شابًّا مثلهم. وكنت مختلفًا. ولذلك يجب ألا ننسى أننا كنا شبابًا قبلهم، ولم يكن يعجبنا العجب، ولا الصيام في رجب وشعبان ورمضان..

إنهم في غاية الحيوية، يتحركون بسرعة، ويحكمون على الأشياء بسرعة – يكرهون ويحبون – ويقفزون إلى النتائج.

من أول نظرة إلى الزواج حتى ولو لم يكن لديهم فلوس،

أو شقة، أو لم يوافق الأب والأم. إنني أرى الذي أحب فتزوج هو شاب مستقيم يريد حياة محترمة فاضلة..

صحيح أن هذا قرار عاجل لا يراعي الظروف المادية والاجتماعية.. وقد تعودت ألا أنصح أحدًا بأن يتزوج أو لا يتزوج؛ فالشبان عادة يتخذون القرار، ويتعاهدون على الحب والوفاء قبل أن يسألوا أحدًا رأيه..

فهم لا يطلبون المشورة من أحد، وإنما يطلبون الموافقة.

كيف؟ إنهم شباب. جلسوا معًا. تقاربوا. اتفقوا. وقرروا. وبدءوا الخطوات الوردية في حياتهم، وعندهم آمال عريضة، وأحلام ذهبية. وليس شابًّا من لا يحلم. وهم شبان فهم يحلمون..

لقد أصبحنا الآن على مسافة قريبة من سلوكيات الشباب في أمريكا، حين تطلب البنت أمها في التليفون وتقول لها: ماما حبيبتي باركي لي!

فتقول الأم: مبروك.. على إيه؟ وترد البنت: أنا جبت «بنت» وسمتها على اسمك.. وتقول الأم دون أن تندهش؛ لأنه لا معنى للدهشة: وهو انت اتجوزتي؟!

وترد البنت: قريبًا يا ماما.

وتقول الأم: ألف مبروك يا حبيبتي!

وفي مذكرات الممثلة الجميلة جدًا هيدي لامار تقول إنها اتصلت بجدتها في فيينا ودار هذا الحوار بينهما:

– هيدي: سوف أتزوج.

* مبروك.

– واحد من غير ديني.

* المهم سعادتك.

– وأنا حامل.

* منه؟

– لا .. من واحد تاني!

* وعندك شقة؟

– لا.

* المهم سعادتك.. تعالي وعيشي معي..

– ولكن بيتك صغير جدًا..

* سوف أترك لك غرفتي..

– وأنت.. أين تقيمين؟

* لا .. سوف ألقي بنفسي من النافذة!

وكثير من الأمهات قد قفزن من النافذة، لكن لم تعدل الفتاة عن قرارها في أن يكون لها ما شاء من الأطفال بزواج أو بغير زواج!

كيف يقرف نفسه!

أنت تأكل اليوم وثلاثين يومًا قادمة: الحلو والحراق والساخن والبارد والأرز والمكرونة والبطاطس والفول والقطايف والكنافة وفي الوقت نفسه تريد أن ينقص وزنك وهو طموح وهمي عظيم!

ولكن ممكن! وهناك نظريتان: الأولى: نظرية الأستاذ العقاد التي طورها الفنان كمال الشناوي..

فالعقاد عندما أراد أن يزهد في النساء وأن يتجدد عنده الشعور بالندم على أنه أحب واحدة لا تساوي لحظة من وقته وفكره طلب من الفنان صلاح طاهر أن يرسم لوحة بها برطمان عسل نحل وقد تكوم عليه الذباب! هذه اللوحة وضعها العقاد في غرفة نومه؛ لكي يراها عندما ينام وعندما يصحو. وهي مزيج من القرف والندم وكراهية المرأة في كل سن ولون وكل علاقة تربطه بها. وقد تحقق له ذلك!!

تمامًا كما يذهب الناس إلى المقابر ليتواضعوا ويترحموا وليعرفوا أن الله حق وأنه هو الدائم، وأن كل من عليها فان.. وأن الإنسان لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً.. وأنه ينتقل من بطن الأم إلى بطن الأرض.. وأنه يولد وطوله نصف متر ويموت وطوله متر ونصف المتر – فهل كل هذا العذاب والبهدلة والجشع من أجل متر واحد؟!

أما الفراعنة فكانوا يأتون بجثث الموتى إلى الولائم الكبرى لكي يتعظ الناس..

أما النظرية المتطورة فهي للنجم السينمائي كمال الشناوي فقد تحدث عن سر رشاقته وكان كلامه بسيطًا سهلاً جدًّا.

وهو أنه في كل مرة يرى مائدة الطعام في بيته أو بيت غيره بسرعة يتصور حوارًا و(سيناريو) بينه وبين الطباخ، فهو يتخيل أن الطباخ لم يغسل يديه.. ولم يغسل الأوعية وأنه وضع أصابعه في كل شيء.. وهنا يشعر كمال الشناوي بالقرف ويود لو جمع كل الأطباق ليلقي بها من النافذة..

المعنى: أنه يقرف نفسه من الأكل؛ فلا يأكل إلا القليل وهكذا يتضاءل طعامه إلى أدنى حد!

إنه قد نسي!

ونحن أيضًا نذهب إلى المقابر. ونقرأ الفاتحة على أرواح موتانا أو لا نفعل.. ونأكل ونشرب ونضحك. وهناك أناس يعيشون في المقابر، فالجو أقل تلوثًا من الذي نعيش فيه.. وننسى الذي مات.. ولماذا مات..

تمامًا كما نذهب إلى المحاكم ونرى نتيجة الصراع بين القانون والخارجين عليه.. ونرى اليتامى والأيامى والأرامل والهوان والبهدلة وذل الصغار وقسوة الكبار.. وننسى عند نهاية الشارع كل ما رأينا في أوله..

وكما نذهب إلى المشرحة في المستشفى، ونرى أناسًا داخلين خارجين صفر الوجوه حمر العيون.. وأصحاب البلاطي البيضاء من الأطباء مهندسي الحياة والموت.. ولا نكاد ندير وجوهنا حتى تذهب أفكارنا بعيدًا كأننا لا رأينا ولا سمعنا. نسينا...

وفي شهر نوفمبر من كل سنة فإنهم في المكسيك كالفراعنة، يجدون طقوسًا قديمة وهي أن يزوروا المقابر ويحتفلوا بالسخرية من الموت أو تحدي الموت.. فنجدهم يشربون في أكواب على شكل الجماجم.. ويأكلون حلوى لها شكل عزرائيل.. ويشعلون النيران في الآيس كريم.. لقد جعلوا الموت ومقدماته ونهايته على شكل حلويات وفطائر.. يأكلونها.. وهم ينسون أن الموت ليس في خارجنا، إنه في داخلنا.. فكل خلايانا لها عمر.. وهذا العمر مكتوب فيها.. فشهادة

الميلاد في ظهرها شهادة الوفاة والتصريح بالدفن.. فنحن الأحياء لا نأكل إلا صور الموت.. أما الموت في داخلنا فهو الذي يأكل الموت الذي صنعناه.. الموت الحقيقي يأكل الموت النكتة.. وننسى ذلك كل عام وكل يوم!

ويقول الشاعر المكسيكي خورجه أرنانديث: ولما نظرت في وجه أمي، أحسست أنني أنظر في المرآة.. ولم أعرف إن كنت أرى بعينيها أو هي تراني بعيني.. هي ذهبت وأنا ذاهب إليها.. فأين الميت؟!

ويقول إنه بسبب شعوره بالارتياح ذهب إلى إحدى الحانات وشرب.. وتساءل ما الذي دفعه إلى هذا المكان في ذلك اليوم. وفي اليوم التالي اكتشف الحقيقة وهي: أنه قد نسي!

ولكن القات أفضل!

نحن في مصر نقول: فلان يشرب سيجارة!

مع أن الصحيح أن نقول فلان «يدخنها».. ولكن العلماء الأمريكان واليابانيين أثبتوا أخيرًا أن هذا التعبير صحيح، بل الأصح أن يقال: إننا نأكل السجائر، بل ومن الواجب صحيًّا أن نفعل ذلك.

فقد اهتدى أحد الأطباء الأمريكان بجامعة ماريلاند إلى أن الأوراق الخضراء للدخان تحتوي على نسبة عالية من البروتين، وهذا البروتين يمكن استخلاصه وتقطيره تمامًا كما نفعل في قصب السكر لنستخرج السكر نفسه. ولاحظ أن هذا البروتين له قيمة غذائية كبيرة.. ويمكن تحويله إلى شراب أو إلى عجينة.

وهذه العجينة لها قوة الملبن أو الفول السوداني أو فول الصويا.. ولكن هذه العجينة لا لون لها ولا رائحة. وإن كان في الإمكان إضافة اللون الذي تريد ورائحة السجائر نفسها..

وطبيب ياباني اسمه د. تسو لاحظ أن بعض الفلاحين في مناطق زراعة الدخان تأكل أوراقه الخضراء أو تمضغها تمامًا كما يفعل أبناء اليمن والحبشة في أوراق «القات» فهم يمضغونها ويستحلبونها ثم لا يأكلون الأوراق الشديدة المرارة. ويجدون في ذلك لذة وغذاء. أو تنسد نفوسهم عن أي طعام آخر.. بل إن طبيبًا سودانيًّا هو د. السجاني قد ألقى بحثًا في هيئة الصحة العالمية يشيد بفضل (القات) على

صحة الناس في اليمن وعلى حياتهم الاجتماعية، وأنه أفضل بكثير من الخمور والحشيش في البلاد الأخرى.. وأن القات أنفع من الدخان.. وأن تعاطي القات يحتاج إلى تطوير فقط.. ليكون شرابًا أو طعامًا أو مزاجًا راقيًا!

ولكن المشكلة سوف تبقى: أيهما أفضل لأي مدخن: أن يشم هذا الدخان السام، أو يأكل أوراقه الخضراء.. أي إذا كان لابد أن يختار بين المزاج أو الصحة، فأيهما يختار.. لن يتردد صاحب الكيف، في اختيار السم الذي يفضله بعد ذلك، على الصحة التي ستجعل حياته بلا هواء: يلسع ويحرق صدره!

الإدارة: أضعف ما لدينا!

هناك حكاية وحكمة وعبرة: فقد سئل رجل حكيم: من الذي علمك الأدب؟ فأجاب: واحد قليل الأدب.. كلما فعل شيئًا امتنعت عنه!

يعني أن نتعلم من أخطائنا ومن أخطاء الآخرين. وقد ركبتنا الأخطاء في بناء السد العالى والمدن الجديدة الضيقة والأرض الزراعية التي تنقصها البنية الأساسية والتي تسللت مياهها إلى التربة الرملية. ثم جاءت الشمس فبخرت ما تبقى من المياه.. ولكن دفع المياه في أنابيب ضخمة بدلاً من القنوات – كما فعل القذافي – فادح التكاليف. هكذا قال الخبراء والعلماء المصريون. والكلمة لهم أولاً وأخيرًا.

وكذلك الأرض التي وزعناها على الشباب.. أي التي فتتناها في الصحارى كان نجاحها محدودًا. وفيها عيوب. والعيوب لا تزال تؤتي ثمارها من الشوك والضيق واليأس. لابد أن نصحح هذه الأخطاء فلا نعطي أرض الوادي الجديد للصغار جدًّا، ولا نتركها للحيتان أيضًا. وقد بدأ الغمز واللمز حول الذين سبقوا واشتروا واحتجزوا – أرجو ألا تكون هذه الشائعات صحيحة!

فمثل هذه المشروعات التي ولدت في آخر القرن العشرين لتكبر وتكون من مفاخرنا في القرن الحادي والعشرين، في حاجة إلى إدارة علمية نشيطة، وأضعف ما في مصر كلها: الإدارة.. علوم الادارة..

فنون الإدارة.. وهذه فرصتنا الكبرى لنقدم جيلاً جديدًا من علوم الزراعة والعمارة والهندسة والسياحة..

وكذلك المدن الخانقة لسكانها في بيوت صغيرة، والمخنوقة في شوارعها رغم اتساع الأرض.. ولابد من أن يكون لمشروع توشكى العملاق إدارة مستقلة شجاعة حرة.. أما إذا جعلناها تتبع شيخ البلد والعمدة والمأمور والسيد المحافظ، فهذه خطيئة الخطايا..

ولا يزال عندنا الوقت لتعديل خطواتنا ومسارنا ولابد أن نتحلى بالصبر. فلا معنى للاستعجال. فعمر مصر طويل أمامها، وإن قصرت أعمار الحكام والمحكومين..

عرفات هو المشكلة!

تناقش الصحف الإسرائيلية: أين يدفن ياسر عرفات؟ إنهم يرفضون مقدمًا أن يدفن في جبل الهيكل أو الحرم الشريف. وجاءت هذه المناقشة بعد أن كشفوا أن هناك مخططًا رسميًا لمنع الألوف من الفلسطينيين من حمل جثمان ياسر عرفات إلى القدس! والرجل لم يمت بعد ـ وإنما كأنه! ولكنهم يتوقعون مزيدًا من الفوضى بين المنظمات. وهذا بالضبط ما يريده شارون. فإذا اضطربت الأحوال تمامًا في فلسطين، مات كل أمل في التفاهم والتفاوض وحل المشكلة. فلا يوجد شخص واحد يمكن الحديث معه والجلوس إليه... وعرفات نفسه هو مصدر الخلافات المستمرة بسبب إصراره على أن يكون الزعيم الأوحد.. ورغم نصائح وتوصيات مصر له بأن يطلق سراح القيادات وإلا بقي هو العقبة الحقيقية.. هناك عبارة إسرائيلية تقول: إن عرفات جزء من المشكلة وليس جزءًا من الحل.. أو هو كل المشاكل وليس حلاً واحدًا!

والزعيم عرفات ولد في القاهرة. ولكنه لم يشر مرة واحدة إلى أنه يفضل أن يموت حيث ولد ـ هكذا تقول الوثيقة التي ظهرت فجأة في صحف إسرائيل. ولا أحد يعرف من كتبها ولا من وزعها على الصحف ولامتى ناقشتها وزارة الخارجية.. ثم أقرتها!

وتقول الوثيقة: هذا إذا تمسك عرفات بعلاجه في فلسطين فيجيء إليه الأطباء من أركان الأرض. ولكن ماذا يحدث لو كان علاجه في

الخارج لأنه من الصعب تدبير كل أدوات العلاج وكل الأطباء. تقول الوثيقة: هذا أفضل لأنه سوف يموت بعيدًا. وفي هذه الحالة لن يدخل لا فلسطين ولا إسرائيل!

كأننا نشاهد من جديد مسرحية أو فيلم (زيارة السيدة العجوز) للكاتب السويسري درينمات. عندما قرروا دفن البطل. وراحوا يحفرون قبره. وهو يمر عليهم كل يوم ويرى أن الناس جميعًا ضده.. فكل سكان القرية تحولوا إلى حانوتية.. وهو الفقيد المرحوم الوحيد الذي لم يمت بعد ـ ولكنه ليس فقيدًا ولا مرحومًا من أحد!

لســت وحــدك!

سلامة مصر من سلامتك ياريس..

طبيعي أن يتعب من يعمل، وأن يمرض من يتعب كثيرًا. والحكم هم وغم وملل وقرف. وإن رب الأسرة الصغيرة يمرض ويزهق ويضجر ويلزم الفراش، وكذلك رب الأسرة الكبيرة الذي يواجه طوفان السياسة، وكوارث الاقتصاد، وجيوش الأطفال والشبان من كل لون ومذهب وهدف وأمل، وكما أن الأسرة الصغيرة لها مشكلاتها مع جيرانها وأقاربها وخصومها، فكذلك الأسرة الكبيرة.. ونحن لسنا منعزلين عن العالم، فالهواء الساخن يجيء من صحارى السعودية، والهواء البارد يجيء من جبال أوروبا، والرطوبة من البحر، فلسنا وحدنا في قارة إفريقيا، ولا في كوكب الأرض. فما يحدث هناك يهزنا هنا، ومن يصرخ هناك يجيء صداه هنا.. فالمكان الذي أنت فيه الآن تتردد فيه كل موجات الإذاعة والتليفزيون والموبايل.. كل الدنيا هنا ولكنك لا تشعر بها، ولكنها تروح وتجيء وتضغط وتضر وتنفع، وأنت لا تدري بها تمامًا، ولكنها هنا وهناك.

وكما أن رب الأسرة الصغيرة يتمنى لأولاده أن يكونوا أكثر مالاً وأهدأ بالاً، وأن يكونوا أسعد منه اليوم وغدًا، فكذلك رب الأسرة الكبيرة، وإذا كان رب الأسرة الصغيرة قادرًا على ترتيب بيته وتربية أولاده، فليس كذلك صاحب الأسرة الكبيرة، فالذي يقدر عليه في الدنيا قليل، ولكنه يحاول، ويجب ألا يكون وحده الذي يعمل، والذي

ينتج، والذي ينشغل بحاضر ومستقبل أسرته، بل نحن أيضًا. ولم تتقدم الدول بعظمة حكامها فقط، وإنما بعظمة شعوبها أيضًا. والأدلة كثيرة فيما حدث في أوروبا واليابان بعد الحرب، وما هي عليه اليوم.

وقد قال النبي ﷺ: «**إن لبدنك عليك حقًّا**..» فلابد أن تريح الجهاز الذي تعيش فيه، وتعمل به وتمرض؛ وذلك يجب أن نترفق بأجسامنا.

والصحة لك والعافية بك يا ريس..

مقهى للبكاء!

إنها فكرة ذكية من أجل حل مشكلة حقيقية ولكن على الطريقة الصينية... فما من أحد إلا عنده ما يوجع قلبه ويذيب عينيه حزنًا وأسفًا على شيء أو على شخص... وقد ينزوي في بيته ويبكي.. أو يذهب إلى مكتبه ويبكي. أو كما يحدث في المآتم أن يأتوا بواحدة يسمونها (المعددة) – أي التي تعدد مناقب الفقيد حتى تسيل دموع الناس. وفي ذلك راحة لهم... ولكن الصينيين ابتدعوا مقهى للبكاء والعويل. وفي هذا المقهى يجلس الناس وقد تهيئوا تمامًا للبكاء. وقد أعد المقهى لهم كل ما يساعد على العويل:

فالموسيقى حزينة جنائزية. والألوان كئيبة والناس حولهم يبكون – كل واحد يبكي على ليلاه أو بلواه..

فإذا استعصى عليهم البكاء قدم لهم المقهى: البصل يأكلونه أو يعصرونه في عيونهم.. ثم الفلفل الأحمر يضعونه في أفواههم ويصرخون.

والهدف واضح... وهو أن الناس في حاجة شديدة إلى التفريغ النفسي أو التفريج النفسي. وكثير من الناس عندهم جفاف في العيون أو ليس لديهم القدرة على الدموع وإن كانوا يتمنون... وهذا المقهى هو المبكي لكل من يريد ذلك..

وقد لاحظ أصحاب المقهى أن هناك إقبالاً متزايدًا وسوف يتوسع أصحاب المقهى أو المبكى وسوف تكون لهم فروع. وكما أن لدينا

مقاهي لأم كلثوم يتزاحم عليها الناس وكل واحد يضع يده على خده وهات يا آه ويا ليل ويا عين... ويا ليت الذي جرى ما كان.. وانتي فين ياست.. وبعد وصلة أو وصلتين للست أم كلثوم تتحقق الراحة النفسية لأصحاب القلوب الحزينة. ثم يعاودون السماع للست والبكاء على يديها وبين يديها..

وعلى طريقة أبناء الشرق الأقصى فكل شيء عندهم ينتهي بالتدليك.. أي لابد من أن يقوم بتدليك الزبائن وتليين عضلاتهم ودغدغة أعصابهم.

وبذلك يكون الجلوس في المقهى جلسة للعلاج الطبيعي – إنها فكرة نجحت وسوف يزداد نجاحها في الشرق الأوسط فنحن قد أدمنًّا البكاء على الماضي والحاضر والمستقبل!

إنهــا الفلــوس والجنــس

أتـابـع بـاهـتمـام شديد مـا تنشره الصحف البريطانية عن النجم الذي هوى: دافيد بيكهام وفزعهم من أن يلقى نفس المصير نجمهم الجديد روني (18 سنة)، الذي يعيش الآن في جزر باربادوس هو وصديقته (18 سنة) وتنشر الصحف صورته، وهو يرسم وشمًا على ذراعه للصليب، بينما الفتاة تتنقل بين محال الأزياء تمامًا كزوجة دافيد بيكهام... وتنشر الصحف أيضًا أن النجم لامبارد كان فتنة الفتيات لصدره الملىء بالشعر...

أما اليوم فقد حلق شعر صدره وإبطيه... وهو أكثر ترددًا على صالونات التجميل بين صديقاته.

أما الوشم على قفا وذراعي وصدر بيكهام، واسم ولديه وزوجته، فيرى علماء النفس أنه تشويه لجماله.. وأن لديه شعورًا بالنقص، فهو يريد أن يمتاز عن الآخرين... وكان الرحالة جيمس كوك أول من لاحظ الوشم في جزر تاهيتي سنة 1769.

ولكن منذ 1990 أصبح الوشم موضة للنساء والرجال، وبدلاً من استخدام الوخز بالإبر خوفًا من مرض الكبد الوبائي أصبح بالليزر.. أمـا الجانب المهم من سلوكيات هـؤلاء النجوم فهو أثـر الفلوس والجنس والشهرة على سقوطهم السريع – هذه هي القضية التي يجب أن تهم الرياضيين والتربويين والآباء والأمهات، والعلماء الإنجليز يتناولون هذه القضية بمنتهى الجدية.

وآخـر مـا نشرته الصحف البريطانية صورة للنجم رونـي، وقد أمسك في يده صحيفة بريطانية قد هـاجمت كل لاعبي كرة القدم من 15 عـامًـا، لأنـها تنـاولت عنف جمـاهير كرة القدم الذين مـات منـهم 96، وقد أعطوا النجم الصغير ثلاثة أربـاع مليون جنيه ورأت الجماهير أن هذا إفساد للطفل الساذج. فـالصحف والشهرة والنقـاد والفلوس والجنس هي كلـها عنـاصر الـهدم لـهؤلاء الأطفـال الصغـار؛ ولذلك يجب معـالجة نموهم بمنتـهى الرأفة، فـإن الـحب الشديد والتجريح الشديد: كلاهمـا قـاتل للموهبة!

التغيير ضرورة!

لم تفشل وزارة د. عاطف عبيد، ولا فشلت أي وزارة سابقة. ولم تنجح أي وزارة في كل مانحلم به. وإنما نجاحها مثل فشلها إلى حد ما. فالوزارة تريد ونحن من ورائها نريد ونحلم. ولكن الظروف صعبة هنا وهناك.

وأن يكون أي إنسان وزيرًا أو رئيسًا للوزراء ليس معناه أنه أوتي كل مقاليد الحكم والحكمة. وإنما هو حاول واستطاع أحيانًا، وعجز أحيانًا أخرى. وقد يكون رئيس الوزراء أعظم اقتصادي في الدنيا. ولكن ظروف الدنيا أقسى وأعتى منه، ولكنه حاول. وهناك عبارة شهيرة للأديب أوسكار وايلد تقول: لا تلعن عازف البيانو، إنه يحاول قدر استطاعته.

ولكن التغيير ضروري وإتاحة الفرص لأي فريق ضرورية. وربما كانت الظروف اليوم أحسن. وربما ينجح رئيس الوزراء الجديد. ونتمنى له ذلك. ولكن ليس من العدل أن نتهم كل الذين سبقونا في أي مجال. إنهم حاولوا وكانوا مخلصين. وتغيير الوزارات والأيدي والعقول والنظرات والنظريات طبيعة في الإنسان. وطبيعة في الإنسان أيضًا أن يكسر القلل وراء الذين ذهبوا، وأن نبدأ في صناعة القلل للذين جاءوا. ولانصدق أن الحكم لعبة أو تسلية. إنه مقعد جاف كبير.. وهَمٌّ ما بعده هَمٌّ.. أذكر أنني عندما كنت في طهران ودخلت قاعة العرش فطلبت من الزملاء أن يلتقطوا لي صورة وأنا جالس

على عرش الطاوس. العرش من الذهب الخالص والأحجار الكريمة.. لقد وجدته معدنًا باردًا جافًا. وأي مقعد آخر أكثر راحة منه.. ولكن الناس يحاربون من أجل العروش التي هي خوازيق من الذهب يستردونها بالدموع والعرق ويدافعون عنها - رغم أنها جافة وموجعة أيضًا.. ومن أجلها قامت حروب وسالت دماء - وهي طبيعة البشر أيضًا..

إن معظم الوزراء الذين ذهبوا كانوا أصدقائي ومعظم الذين جاءوا.

والبداية كالنهاية واحدة والقلل جاهزة والسكاكين أيضًا. أتمنى لهم، كما تمنيت قبل ذلك، التوفيق من أجل مصر.. وأرجو أن تلاحظ صورهم اليوم وصورهم بعد خمس سنوات سوف نجد الهموم قد أضافت لأعمارهم عشرين أو ثلاثين عامًا!

كلمة عذبتني!

إنها عادة عندي: ألا أنطق كلمة أجنبية لم أرها مكتوبة. بل أظل أتفادى هذه الكلمة أو الاسم حتى أراها. وهذا واضح في السياسة والأدب عندما تظهر أسماء جديدة. فلابد أن أبحث عنها في لغتها وأحاول أن أسمعها من أصحابها.

وفي مباريات كأس الأمم الأوروبية سمعت المعلقين المصريين يرددون كلمة رونيرو أو روتيرو أو روميرو.. وفهمت أن هذا هو اسم كرة القدم الجديدة. ولكن لماذا؟

وسألت فقيل لي اسم السفينة التي ركبها ماجلان في رحلاته حول العالم. وهو برتغالي. وقيل لا بل هي اسم السفينة التي ركبها فاسكو داجاما. وهو برتغالي أيضًا.. ورجعت إلى دوائر المعارف أبحث عن اسم سفن الرحالة البرتغاليين جميعًا. ولم أجد هذا الاسم. فاتصلت بالناقد المشهور حسن المستكاوي ابن صديقي شيخ النقاد الرياضيين ومبتكر عشرات التعبيرات الرياضية التي لا تزال على ألسنة النقاد والمعلقين والمتفرجين الأستاذ نجيب المستكاوي. قال لي: إنها كلمة برتغالية معناها الدفتر الذي يكتب فيه قبطان السفينة الأحداث اليومية. وذهبت إلى قاموس اللغة البرتغالية. واللغة الإسبانية القريبة منها. ووجدت كلمات قريبة تدل على معنى (اليومي أو اليومية أو سجل نشاط السفينة أو دفتر الأحوال). ولي تجربة مع كلمة أخرى عذبتني طويلاً. فقد كنت أترجم (مذكرات

روميل) لجريدة الاهرام سنة 1950 ثم ترجمت (ثلاثة ضد روميل).. وكان العفريت يركبني عندما أجد هذه الكلمة وأقفز فوقها لأنني لم أجد لها أي معنى في أي قاموس. أو أن المعنى لا يناسب السياق. وخجلت أن أسأل أحدًا.. وبعد سنوات اكتشفت أن كلمة (جراين) هذه ليست إلا نوعًا من السجائر تدخنها القوات البريطانية. ولأنني لست مدخنًا فلم أعرف ذلك.

ومع أنها كلمة لا تقدم ولا تؤخر، ولكن البحث متعة. والاهتداء إليها متعة أخرى. ولا يهم أبدًا أن أكتب ذلك في دقيقتين وأبحث عنها في يومين!

من 150 عامًا تساءل الكاتب الكبير تولستوي: ولماذا يدوِّخ الإنسان نفسه بالخمر والمخدرات؟ والجواب لأنه أدمن. وهو قد أدمن لأنه اعتاد على أن يهرب من الواقع إلى عالم زائف مريح. فأعجبته الرحلة فحرص على الإقامة هناك. فاختار الزيف اللذيذ على الواقع الكريه. وبدلا من أن يهرب في أنبوبة أوكسجين هرب في أنبوبة بوتاجاز. وقد تضطره الرحلة إلى معايشة أحط أنواع البشر، كما يحدث في (غرزة) الحشيش. ولكن المهم هو أن يكون هناك لا أن يبقى هنا.

وآخر ما اهتدت إليه الدول الأوروبية هو أنها تولت العناية بالمدمنين.. فقد أعطت أسماءهم لعدد من الصيدليات يذهبون إليها ويحصلون على حصتهم من المخدرات بدلاً من أن يكونوا ضحايا تجار المخدرات المغشوشة أو الضارة.. وأذكر أنني ذهبت لزيارة صديق مصري يملك صيدلية في مدينة فرانكفورت وتحدث عن مصر زمان ومصر الآن.. وفجأة وجدته قد نهض جادًّا وقد امتقع وجهه وفتح درجًا وأعطى شابًا نحيلاً أصفر علبة صغيرة. وعلبة أخرى للذي يليه وثالثة. وقال هؤلاء مدمنون ترعاهم الدولة. بدلاً من أطباء الأرصفة الذين يستخدمون حقنًا ملوثة تنقل إلى المدمنين أمراض الكبد والصفراء والإيدز وغيرها.

وتنوعت المخدرات في زماننا فهناك الإدمان المذهبي.. الديني والسياسي والعرقي. أي تعاطي أفكار تشل التفكير والإرادة وواضح أن كاتبنا العظيم تولستوي مؤلف الروائع مثل: الحرب والسلام وأنا كارنينا، كان في غاية اليقظة. ولم يعرف نوعًا من الإدمان إلا حماسه الشديد للفلاحين وكراهيته العميقة للإقطاع والرأسمالية والقيصرية.

إنها حماته!

إنني أدعو المشتغلين بالرياضة والتربية الرياضية وعلم النفس إلى قراءة وترجمة المقالات البديعة في الصحف البريطانية عن النجم الذي هوى: دافيد بيكهام، فقد شعر الإنجليز بخيبة الأمل فيه وراحوا يبحثون عن أسباب السقوط النهائي، وكيف أن شركات الإعلانات لن تجدد عقودها معه، وكذلك النادي الإسباني، بينما الأندية البريطانية تتهافت على النجم الصاعد روني (18 سنة) بديلاً عن دافيد بيكهام.

القريبون من هذا النجم يؤكدون أن زوجته الشرسة الطماعة هي السبب. وأن بينهما معارك عنيفة يسمعها كل الناس. وأن الليالي تمضي دون أن يعرف الكابتن كيف ولا أين ينام، ولولا أن المدرب السويدي هو المتمسك الوحيد لطرده الناس، حتى زملاؤه في الفريق الإنجليزي لم يعودوا يدللونه ولا أحد يشعر أنه يستحق الاحترام، فبلاده قد أعطته ما لم تعطه لأحد، ولكنه هرول إلى الفلوس في مدريد.

وقرأت مقالاً ممتعًا عن معنى الوشم على جسم دافيد بيكهام: على ذراعه وقفاه وصدره وعلى أماكن حساسة من جسمه أيضًا؟! وما دلالة هذا الوشم أو هذا التشويه أو هذه الوثنية أو عدم الشعور بالأمان، أو الإعلان المستمر بأن له زوجة واسمها فكتوريا مكتوب باللغة الهندية وأن له ولدين.

وقد اتجه بعض الباحثين إلى حماته التي تسيطر على زوجته وزوجته تسيطر عليه.. وأنها هي التي ظلت تشد خيوط التعاسة حتى جعلتها سلاسل تلتف حول أحد أصنام الرياضة العالمية.

بعد خمس سنوات استطاع العلماء والأثريون الإنجليز أن يعيدوا لحجر رشيد معالمه وأن يجعلوا الكتابة المنقوشة عليه أكثر بروزًا. وقد وضعوا عليه طبقة من الزجاج سمكها 11 ملليمترًا. ونقلوه من مكانه القريب من المدخل العمومي ليكون عند مدخل قاعات التماثيل الفرعونية.

والحجر من البازلت الأسود ومقاييسه 114 × 2 7× 28 سم. وقد عثر عليه الضابط بوشار في رشيد سنة 1799 واستولى عليه الإنجليز وعرضوه على الملك جورج الثالث. وطبعه الفرنسيون على الورق ليحتفظوا بالصورة التي قرأها العبقري شامبليون (1832–1790) الذي فك رموز اللغة وفتح كنوز الحضارات القديمة.

وعندما جاء علماء الحملة الفرنسية مع نابليون كان حلمهم العظيم هو استعمار هذه البلاد باسم التنوير وأعظم هدية للعالم كانت حجر رشيد وأعظم هدية لمصر كانت كتاب (وصف مصر)..

وفي (هوجة) استعادة مصر آثارها الموجودة في أروع وأعظم متاحف الدنيا تعالت أصوات باسترجاع (حجر رشيد) لكي نضعه ضمن أكوام الزبالة في متاحفنا ـ فقط دون أن يفكر أحد في رؤيته. فقط أن نسترده وبس!

مع أن الذي يشاهد متاحف اللوفر والمتحف البريطاني ومتاحف أمريكا وروسيا وألمانيا يجد عظمة الفراعنة وما يلقونه من احترام هائل، يتمنى لو أرسلنا إلى دهاليز المكدسات في متاحفنا.

وسوف يتزاحم الناس طوابير أمام المتحف البريطاني ويكون من بينهم عالم مصري منكس الرأس نادمًا على تجريد حجر رشيد من الأبهة والعظمة وإعادته إلى رشيد في الطين ليستولي عليه الإنجليز مرة أخرى ويضعوه في متحفهم بعد 202 سنة أخرى.. هذا العالم هو د. زاهي حواس!

لا أحـــد يعـــرف!

هل ضروري أن نكتب في السياسة؟

الجواب: لا..

لماذا؟ لأننا لا نعرف ولم نعد نطيق ذلك. فلا أحد يعرف بالضبط ما الذي يقال وما الذي لا يقال ولا متى يقال ما يقال.. ومتى السكوت عن الذي لا يقال.

ثم إن هذه الحيرة التي عند الكاتب قد سبقته إلى عقول القراء. والصورة هكذا: الكاتب لا يعرف والقارئ لا يريد أن يعرف. وإذا حاول القارئ أن يعرف دوخته الصحف التي لاتنطق بلسان واحد.. وشبكات التليفزيون التي يهمها أن تتضارب وأن تثير وأن تفتعل الثورة والغضب. ومن الفعل والافتعال يتساقط القراء والمستمعون يأسًا من الفهم وعجزًا عن التفاهم. والنتيجة: لا أحد يصدق أحدًا.

يعني أنت لا تصدقني. وأنا أندهش. أما لماذا لا تصدقني؟ فلأنك لا تصدق الحكومة.. ولكن ما علاقتي بالحكومة؟ الجواب: أنه لا أحد ليس حكوميًا. وبناء على ذلك فالذي له علاقة بالحكومة كالذي يعارضها. الاثنان مثل الجواز على ورقة طلاق. أو الطلاق على وثيقة زواج.

وأهم من ذلك أن قضايانا كلها طالت واستطالت وزهق منها الناس لأنها قرفتهم في عيشتهم، فالناس عندها مشاكل أخرى،

وهموم أثقل وأولاد لا مستقبل لهم.. وعدد هؤلاء الأولاد أكثر من عدد سكان فلسطين وإسرائيل.

جلست إلى الطالب محمود عبدالمجيد بالجامعة الأمريكية. إنه طالب مهذب مستقيم يصلي ويصوم ولكنه ليس درويشًا وإنما هو شاب مودرن. سألته. أجابني. إنهم لايقرءون الصحف ولا يشاركون في قضايانا مع أنهم وطنيون ولكنهم غير قادرين على أن يفعلوا شيئًا. ولا الوطن قادر على أن يكون أبًا وأمًّا.. وفي نفس الوقت يرون أنهم بلا أب ولا أم. فالآباء والأمهات غائبون يعملون من أجل أن يوفروا لهم حياة كريمة؛ ولذلك يرون أن الهجرة هي الحل!

قليلون مثل التلميذ أحمد جعفر رجب بالمدرسة الألمانية. إنه قارئ شديد النهم. لاشيء يوقفه عن القراءة في كل شيء بالألمانية والإنجليزية والعربية بعيدًا عن السياسة!

بصراحة نحن لا نعرف شبابنا ويجب أن نقترب منهم أكثر لنحاورهم ونصادقهم بتجاربنا حرصًا عليهم وعلى مستقبل مصر!

ما الفرق بين بائع العرقسوس والرجل الذي يحمل القربة على ظهره والجزار وأي سيدة؟ انا أقول لك: انظر إلى أي سيدة فسوف تجد أن لها كتفًا أعلى من الأخرى. والسبب هو أنها تعلق شنطتها من هذه الكتف. ولذلك ترفعها قليلاً مع تثبيت ذراعها المجاورة للشنطة. وحتى إذا لم تكن تحمل أية شنطة فإن كتفها سوف تبقى أعلى.. وبائع العرقسوس لأنه يضع إبريقًا على صدره فإنه ينحني إلى الوراء والسقاء ينحني إلى الأمام والجزار ذراعه اليمنى أقوى من اليسرى فهو يستخدمها في تقطيع اللحم والعظم والمعنى: أن هناك تشوهات تحدث في جسم الإنسان بسبب التركيز على جانب دون الآخر. وكذلك نجد موظفي الدولة لأنهم ينحنون على الأوراق ساعات طويلة ويستندون إلى الذراع اليسرى، فتكون نتيجة ذلك انحناء في الكتف والعمود الفقري وتصلبًا في العضلات مدى الحياة.

وعلماء النفس يسمون ذلك (تشوهات المهنة)..

وأخيرًا قام أحد المعاهد الإنجليزية المتخصصة في آلام العمود الفقري بدراسة تلاميذ المدارس الذين يحملون كتبًا تعادل ثلث وزنهم يوميًا. هؤلاء الصغار يحملون الكتب على جانب من الجسم فيلتوي العمود الفقري وتنحرف الكتف وتتصلب عضلات الذراعين. والنتيجة ألا يكون الجسم مستقيمًا في فترة من أهم مراحل تكوينه.

وينصح المعهد بألا يزيد وزن كتب التلميذ عن واحد على عشرة من وزن التلميذ وألا يحملها على كتف واحدة.. وإنما يحملها على ظهره.. أو يضعها في شنطة لها عجلات ويجرها وراءه كما يفعل تلاميذ اليابان..

وكان الحكيم بوذا يقول لتلامذته: ضع الكتاب فوق أمام رأسك. واتركه هناك. ولم تعرف الأجيال معنى هذه الحكمة إلا أخيرًا عندما أصبح من الصعب على التلميذ أن يضع عشرين كتابًا أمام رأسه كل يوم ثم لايحملها إلى المدرسة!

ولكن تلميذ المستقبل سوف يجد ما يريد على كاسّتات صغيرة يضع العشرات منها في علبة صغيرة.. ولن يفلت من (تشوهات المهنة) أيضًا.. فقد وجد علماء العظام والروماتيزم أن الذين يسرفون في حمل الموبايل وإدمان الكمبيوتر تصاب أصابعهم بأوجاع مزمنة وأعناقهم وظهورهم وعيونهم - فلا حلاوة من غير نار!

هناك 25 ألف نوع من أنواع عسل النحل - بعدد الزهور التي يمتصها النحل ويفرزها. أما الكلام عن فوائد عسل النحل فمعروف شعبيًا، وفائدة العسل مؤكدة شعبيًا أيضًا.

ولكن الجديد هو مايقوله الأطباء أخيرًا في صحف بريطانيا وأستراليا. فقد استطاع الطبيب مالوني أن يهتدي إلى (خلطة) من أنواع العسل أطلق عليها اسم (العسل السوبر)، وسوف تمتلئ به الصيدليات والأسواق..

ويعترف الرجل بأن الفراعنة هم أول من عرف كل فوائد العسل التي كشفها العلم الحديث، فالفراعنة استخدموا العسل للبشرة واستخدموه في العيون والحروق والقروح واستخدموه لعلاج معظم الأمراض.

وكانوا على حق.. فالطب الحديث أكد كل ذلك. بل إن الأطباء وجدوا القدرة الفذة للعسل للقضاء على كل أنواع البكتيريا. كيف؟ هذا ما حدث ويحدث. وهو ضد الصداع والإمساك والقولون الملتهب. ويشفي الأنف أيضًا.

ويقول الطبيب الاسترالي أنطوني مالوني إنه كان يشكو من لدغات (العتة) في المستشفيات التي لاترى الشمس ولا تراها. وإن مقاومة هذه الحشرة اللعينة صعب جدًا. وقد اهتدى إلى أن عسل

النحل هو العلاج المؤكد للسع العتة. يكفي أن تضع العسل على مكان الالتهاب وتنسى. ويقول مالوني إن العسل يقلل من الإصابة بالسرطان. وإن العسل قادر على تشجيع البكتيريا المفيدة المتكاثرة في القولون. وفي إحدى المحاضرات داعب الحاضرين وقال لهم: إن العسل يؤدي إلى الزواج.. وحكى قصة إحدى قريباته التي أحبت شابًا. ولكن قررا أن ينفصلا. وفجأة قررا أن يتزوجا فقد اتفق الاثنان في حبهما الشديد لكل أنواع عسل النحل! تجربتي الشخصية أنني لم أذق طعم السكر إلا نادرًا وإلا مكرهًا. فكل طعامي أضع فيه عسل النحل. وعندي تجارب في علاج الجروح والالتهابات. ولكن عندي سؤال لأهل الذكر: يقال إن عسل النحل إذا وضع في الشاي الساخن أو المغلي يفقد الكثير من مزاياه، ونريد أن نعرف..

قربة مقطوعة!

أستبعد كل الشتائم واللعنات التي يوجهها المواطنون للبنك المركزي ولصناعة ورق البنكنوت المصرية. ويرون أن اللوم في الدرجة الأولى هو للبنك الذي لا يحجز الأوراق المالية المهلهلة والقذرة التي وصلت إليه.

يقول المهندس الاستشاري محسن طنطاوي إنه أجرى ألوف المعاملات البنكية في أمريكا على مدى 35 عامًا ومع عشرات البنوك الأمريكية ولم يحدث مرة واحدة أن تسلم ورقة قذرة أو مهلهلة! والواقع أن البنوك في مصر تصرف أوراقًا قذرة ممزقة ولا تحتفظ بها.

ويقول د. عبد المنعم عبد الحليم (آداب الإسكندرية) إن البنوك في مصر تصرف الأوراق القذرة في رزم خاصة فئة الخمسة والعشرة جنيهات ولا يتكلف موظفوها مهمة جمعها ومنعها من التداول. وسمعنا أن البنك المركزي يخصم تكاليف هذه الورقة المالية.

أما د. محمود عبد القوي زهران من كلية علوم المنصورة فيقول منذ سنة 1970 تمكنت من إنتاج أجود أنواع الورق متعدد الأغراض ومنها ورق بنكنوت من نبات ينبت في أراض ملحية. وهذا النبات شديد التحمل للملوحة ولحرارة الجو. وقد تم إنتاجه في مصانع شركة الورق الأهلية بالإسكندرية. وتقارير المصانع تؤكد جودته. وقد دعمت المؤسسة الدولية للعلوم في السويد هذه الدراسة كمشروع

علمي تطبيقي تحتاجه مصر خلال الفترة من 1977 – 1974 ولم يهتم المسئولون بهذا العمل؟!

وأخيرًا يقول د. أحمد إسماعيل النادي من بريمن بألمانيا: باقول لك إيه يا أستاذ إنت والفرقة الموسيقية التي معك تنفخون في قربة مقطوعة. قل للمصريين أن يغسلوا أيديهم قبل الأكل وبعده.. وسوف يطيلون عمر الأوراق المالية!

!a_lcí a__Ulg

أحد علماء الفلك الإنجليز قال: إن التنجيم لايخلو من الصحة. السبب: هو أن الجاذبية لها أثر على حياة الإنسان والحيوان والنبات.. يقصد الجاذبية التي تصيبنا من الأرض والشمس والكواكب الأخرى. وقد اندهشت الهيئات العلمية أن يصدر مثل هذا الرأي من عالم فلكي كبير. ويرى هذا العالم أن من عيوب العلماء ادعاءهم أنهم على يقين من كل شيء. والحقيقة أن اليقين ليست هي الكلمة العلمية الصحيحة. فكثير من النظريات العلمية قائمة على الظن أو الاحتمال أو الترجيح. ومن المعروف أن 2 + 2 لاتساوي أربعة في أحوال كثيرة. مثلاً: رجلان ورجلان = أربعة رجال. الجواب لا طبعًا. فلا يصح ذلك إلا إذا تساووا جميعًا في الوزن وكل الصفات الأخرى.

وعلى ذلك فرجل + رجل لاتساوي رجلين. ولا تفاحة + تفاحة... ولا بطيخة + بطيخة. إذن ليس من العلم في شيء أن نقطع بصحة هذا وخطأ ذاك!

حتى في التنجيم لا يستطيع العراف أن يقطع بما لديه من معلومات. وقد تلقيت من المهندس الاستشاري فاروق الحديني أنه نشر في إحدى المجلات الأمريكية سنة 1993 أن الرئيس كلينتون سيتعرض لفضيحة كبرى. وقد كان.. وكتب يحدثني عن برجي أنا وهو برج الأسد تمامًا مثل: كلينتون وجاكلين كيندي ومونيكا لوينسكي ونابليون وكاسترو وقائد جيوش تحرير الكويت شفار

تسكويف والممثل داستن هوفمان ومادونا – كل هؤلاء لديهم الشمس في برج الأسد. فأين التشابه بينهم جميعًا؟

ويقول إن تفسيرات وجود الشمس في برج الأسد كثيرة ومتناقضة فمن هو العراف الذي يستطيع أن يختار من هذه المتناقضات ما يفسر حالك اليوم وغدًا. وكما قلت سيادتك إن التواءم تختلف في شكلها وعمرها..

وتلقيت من د. صمويل سيدهم من كندا أن له خبرة بشئون التنجيم. وأن 80٪ من توقعاته جاءت صحيحة وخصوصًا إذا كان يعرف الأشخاص. فهو يختار ما يناسب تكوينهم الجسمي والنفسي – وكلها اجتهادات والله أعلم!

فلوسنا قذرة!

تلقيت رسائل عديدة من مواطنين مصريين ومن الخارج يؤكدون قرفهم من أوراق البنكنوت المصرية، إن البنك ينظر إليها كأنها استمرار لأوراق البردي القديمة، كثير من القراء لم يعجبهم الرد الذي نشرته هنا، ورأوه استفزازيًّا خاليًا من الذوق في التحدث عن المواطنين.

وجاءني من السيد علام علام محمد وكيل وزارة الطيران المدني سابقًا صور لعملات كأنها حوائط قذرة وقف الناس أمامها ورسموا وكتبوا قرفًا من كل لون وحجم.

جاءني من رجل الأعمال رفعت طنطاوي كبشة فلوس محروقة وممزقة وممسوح بها الأرض ومتداولة حتى يرفضها أي أحد. وقال السيد ممدوح ممدوح عبد الرازق عضو مجلس الشعب إنهم في أستراليا ابتدعوا ورق بنكنوت مصنوعًا من البلاستيك: أنظف وأقوى ويمكن غسله بالماء والصابون.

ومن الدكتورة حنان عبد السلام الدجوي من إيطاليا تقول: إنها حزنت جدًّا عندماوجدت أن أطفالاً مصريين يقدمون لزملائهم الإيطاليين مجموعة من العملات الورقية المصرية مهلهلة وفي غاية القذارة، وتقول: إنها بسرعة أخفت هذه العملات ووعدت بعملات جديدة.

يقول د. سامي كرم أبنوب من فرنسا إنه أرسل خطابات إلى مسئولين يتوسل إليهم أن يجدوا حلاً لهذا العار، ثم أرسل لهم بأشكال وألوان من العملات الفرنسية والأوروبية..ولم يتلق ردًّا من أحد، ويقول: الآن عرفت لماذا تأخرت مصر لأن أحدًا لا يقبل النقد.

ولابد أن تكون هناك بقية سوف تأتي!

أنــا - ألــف مــرة!

عندنا عبارة تقول: أعوذ بالله من كلمة (أنا).. والعبارة معناها أن القائل متواضع. ولا يحب أن يقول (أنا) لأن ذلك دليل على الغرور والعياذ بالله!

ولكني لا أعوذ بالله من كلمة أنا.. وإنما أعوذ بالله من اليوم والساعة التي لا أقول فيها: أنا أكلت.. أنا شربت.. أنا صليت.. أنا أحمد ربنا على كل شيء. فإذا لم يقل الإنسان (أنا) فقد مات.. ولا شيء يدل على أنك حي إلا أنك تقول أنا موجود.. أنا أفكر.. أنا أشك.. أنا متأكد..

وفي دنيانا مدرستان على الأقل: الذين يقولون أنا، والذين لا يقولونها فالأطفال أكثر المخلوقات تكرارًا لكلمة أنا ـ ونحن نقول عنهم إنهم صغار يحاولون أن يؤكدوا ذواتهم.. أما كبار السن الذين شبعوا من (الأنا) فهم لا يرددونها ويخافون من ذكرها..

ولكننا نحن الأدباء والمفكرين من مدرسة (الأنا).. أنا أحسست.. أنا بكيت.. أنا تعبت. أنا لا أرى هذا الرأي.. أنا قلبي يقول لي.. أنا عقلي يرفض.. فالأدب نوع من السيرة الذاتية.. أي نوع من الأنا ـ ألف مرة في اليوم.

أما العلماء فهم لا يقولون: أنا.. لأنهم يكتشفون الحقائق والبديهيات الموجودة في العلاقات بين الأشياء. فلا أحد يقول أنا من رأيي أن 2 + 2 = 4. أو أنا أرى أن الحديد يتمدد بالحرارة.. حتى

معادلة أينشتين الشهيرة وهي: أن الطاقة = الكتلة مضروبة في مربع سرعة الضوء، لم يقل أينشتين هذا رأيي وإنما هو اكتشف إحدى القواعد التي أودعها الله بين الأشياء..

فقل: أنا.. قلها ولا تخف فهي التي سوف تدخلك الجنة وتلقي بك في النار – ولو – قلها!

وراء كـل عظيـم: ابنتــه!

بنـاتـهم لا أولادهم:

فـالرئيس بوش يستعين بـابنتيه التوءم في الدعـاية الانتخـابية له. وقبل أن تظهر ابنتـاه جاء من يعلمهما مـاذا يقـال وكيف. وطال تدريبهما شهورًا عديدة..

وقبل ذلك كـانت ابنـة الرئيس شيراك تشحن الشبـاب والطلبة وراء أبيها.. وكـانت مستشاره الصحفي. والرئيس ميتران قبل أن يموت اعترف بـابنته غير الشرعية. وكـانت البنت وأمها تقيمـان في القصر الجمهوري..

ولكن احترامًا للحرية الشخصية لم تذكر الصحف كلمة واحدة لا عن الأم ولا عن البنت. بل إن أولاد الرئيس كـانوا يعرفون وتظـاهروا بـأنهم لا يعرفون احترامًا للأب..

وابنـة الرئيس مـانديلا عندما انفصل أبوهـا عن أمها كـانت تقوم بدور السيدة الأولى.

وابنـة الرئيس كـارلوس منعم عند وبعد طلاق أمها وأبيها كـانت هـي السيدة الأولى..

وبنت الرئيس جوربـاتشوف كـانت السند القوي جدًّا لأبيها رئيسًا ورئيسًا سابقًا. وكذلك ابنـة الرئيس ستـالين بعبـع الشيوعية عندما هـربت من روسيـا إلى أمريكا كتبت مذكراتها وقـالت الذي لم يجرؤ أحد أن يقوله.

وأنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند ابنة الزعيم نهرو، كانت نموذجًا رفيعًا للمرأة عندما أتى بها الحزب على رأس البلاد..

وقد عرفت ابنتي الفيلسوف الإيطالي كروتشه. كان الفيلسوف يعيش في مدينة نابلي. وكان ولايزال بيته مزارًا سياحيًا ثقافيًا. وكانت ابنتاه حارستين على ثروته الفلسفية وتاريخ حياته. يومها كنا ثلاثة من مصر وسوريا والمغرب. وجلسنا نتحدث عن عظمة الفيلسوف الذي رفض أن يكون رئيسًا للجمهورية.

حيوانات تموت من أجلنا!

يوم 4 يونيو سنة 1967 بالعريش سألنا اللواء عبدالعزيز سليمان: هل تقابلون عبدالناصر؟ قلنا له: لا طبعا!

فمضى يقول: يعني إذا قابلتوه قولوا له إن القواد بتوعك (ووضع يده على كرشه) لهم كروش ويجب أن يطلق عليهم الرصاص مثل خيل السلطة. كيف يكون القائد قدوة وعنده كرش.. قولوا له!

وكانت أول مرة أسمع فيها كلمة (خيل السلطة).. أي خيل الحكومة التي إذا كبرت ركنوها أو باعوها أو قتلوها؛ لأنها لم تعد صالحة لأداء عملها..

وكذلك القادة من أصحاب الأكراش – يرحمه الله – فقد كان من أول ضحايا القوات الإسرائيلية يوم 5 يونيو..

وفي الأسبوع الماضي أعلنت الحكومة التركية عن إحالة عدد من حمير السلطة إلى المعاش. هذه الحمير تعمل في نقل البريد. الحمير كبرت. وأصبحت عاجزة عن الوفاء بواجباتها. أي معطلة عن الخدمة الرسمية. ولذلك تجاوزت عمرها الافتراضي. وحان وقت الراحة حتى الموت، تمامًا كأي موظف تقدمت به السن وأحيل إلى التقاعد. أو أي جهاز صار قديمًا، ولابد من (تكهينه)

ولأن هذا الحمار أو هذا الموظف كائن حي. فلابد له من معاش يتقاضاه صاحبه ليعيش ويموت في كفالته مواطنًا مخلصًا استحق التكريم..

والشيء نفسه يحدث للكلاب التي تستخدمها الدولة في الحراسة وفي الكشف عن المخدرات والقنابل وإنقاذ ضحايا الجليد وانهيار العمارات... والكشف عن رفات الموتى في الحروب..

أما الحيوانات بمئات الألوف التي تموت في المعامل بسبب التجارب التي يقوم بها العلماء إنقاذًا للإنسانية فهي الضحية الوحيدة المسكينة التي تحاول جماعات الرفق بالحيوان إنقاذها.

ولكن لا أمل فمكتوب عليها أن تموت فداء للبشر!

فليس حمارًا من عاش ومات من أجل الوطن، وإنما الذي مات ولم يعش من أجل الوطن!

هنا أعز أصدقائي!

نشرت صحيفة (هيرالد تريبيون) أننا في مصر – بإهمالنا وعدم احترامنا للقانون وكراهيتنا للحياة الحيوانية والنباتية ـ أتحنا الفرصة لعدد من أثرياء الخليج أن يغتالوا حيوانات الصحراء الغربية... بل إن مجموعة من أبناء الخليج ذهبوا إلى سيوة فقتلوا 42 غزالاً.

وعلى الرغم من أن في مصر 24 محمية فإن المصريين لا يهتمون بذلك ـ أي لا يهتمون إن عاشت هذه الحيوانات أو انقرضت ـ وأنا أصدق ما قالته الصحيفة. والأدلة كثيرة.

فأنا أعرف الفتاة الأمريكية التي راحت تبكي عندما رأتهم يقطعون الأشجار عند حديقة الحيوانات. اندهش الناس وبعضهم ضحك. في هذه اللحظة انكشفنا. فقد فضحتنا هذه الفتاة دون أن تقصد.. ولولا أن الحراس في حديقة الحيوان يمسكون العصا في أيديهم لماتت الحيوانات من الأطعمة التي يلقي بها الزوار.. وأمامنا حديقة الأورمان التي كانت معبدًا لعالمة سويدية.. وفي هذه الحديقة نباتات نادرة. ولا أحد يدري ولا يهمه أن يدري ما هذه النباتات الجميلة!!

والذين زاروا البيت الذي كان معتقلاً فيه الرئيس محمد نجيب يجدون في الحديقة لوحة خشبية مكتوبًا عليها: هنا يرقد أعز

أصدقائي - أما أصدقاؤه فهي الكلاب التي ماتت قبل أن ترى موتته الشنيعة! والذين يترددون على مستشفى الكلاب في العباسية يجدون لوحات من الرخام.. إحداها من عميد الطب هاشم فؤاد يتمنى لكلبه جنة الخلد!!

وقد سألت الصحيفة الأمريكية عددًا من المصريين فقالوا: إنهم لا يعرفون إن كان أثرياء الخليج قد حصلوا على تصريحات.. أو لم يحصلوا. ففي الحالتين يكون القانون غائبًا عن الوعي. أما كيف يغيب القانون أو يموت تحت سياراتهم الفخمة فكلنا نعرف كيف!

وقالوا للصحيفة أيضًا إن موظفي البيئة لا يملكون المقاومة أمام توصيات وزارتي الخارجية والداخلية ـ هكذا قالوا!

وكان الذين يمشون في الطريق الصحراوي زمان، يجدون أسراب الغزلان النادرة.. التي لا وجود لها إلا في مصر وليبيا.

رذكرت الصحيفة أن أحد خبراء البيئة نشر كتابًا بعنوان (دليل الثدييات في مصر) ولم يشأ أن يذكر الأماكن التي توجد فيها حيوانات مصر الفريدة حتى لا يغتالها الصيادون بموافقة،

أو من تحت أنف السلطات!

الرحمــة بالحيــوان

كثيرون يحبون الحياة: حياة النبات والحيوان، يتفرجون عليها ويزرعونها وردًا وزهورًا وطيورًا وأسماكًا للزينة.. وعندهم قطط وكلاب وفئران بيضاء وثعابين.

ولا أنسى عندما كنت طالبًا في الجامعة أن رأيت أستاذًا لنا إنجليزيًّا، الناس التفت حوله في ميدان سليمان باشا يتحرشون به. وهو مصر على أن يمسك بجلاليب عربجي الحنطور ويقتاده إلى الشرطة. والناس تقول: وانت مالك يا خواجه؛ حصانه وهو حر فيه.. يضربه بالكرباج يضربه بالجزمة..

والفتاة الأمريكية التي كانت تعمل في الأمم المتحدة والتي بكت عند قطع الأشجار أمام حديقة الحيوان. ضحك منها الناس. وقد قابلتها هي وزوجها المصري. وعادت الدموع إلى عينيها ولم تنته دهشتها لهذه القسوة على الأشجار..

وشيء عجيب حدث في أثناء الحرب العالمية الثانية. فالزعيم البريطاني تشرشل كان مشغولاً بقضية أخرى غير هزيمة ألمانيا وتحرير أوروبا، فقد تلقى خطابًا من أحد الجنود يقول فيه إن القردة على جبل طارق قد تناقصت. فأرسل تشرشل خطابًا إلى الحاكم البريطاني في جبل طارق، يقول إن عدد القرود يجب أن يكون 24. ولك أن تأتي بها من أي مكان. لماذا ؟ هناك أسطورة تقول إنه كلما تناقص عدد القرود في جبل طارق تقلص النفوذ البريطاني!!

وقد أفرجت إدارة المحفوظات البريطانية أمس، عن الوثائق الخاصة باحتلال بيئة القرود والنسانيس على جبل طارق. وظهرت رسائل متبادلة بين رؤساء بريطانيا ووزراء الخارجية عن الاضطراب الجنسي للقرود مما أدى إلى اختلاف أحجامها وأشكالها!!

وأثناء حرب 1973 تلقى الرئيس السادات رسالة عاجلة من عالمة بريطانية تستصرخ الرئيس وترجوه أن يلتفت دقيقة واحدة إلى المذبحة التي يرتكبها جنوده في البحر الأحمر، فهم يصيدون الأسماك بالديناميت. ويؤدي الديناميت إلى جعل لون البحر الأحمر دمويًا.. أما الأسماك فهي تتناثر فتافيت في كل مكان. واهتم الرئيس وأصدر أمرًا بمنع الصيد بالديناميت في أي مكان!

والذين يشاهدون برنامج (كوكب الحيوان) على التليفزيون يدهشهم أن جماعة من الأطباء والصيادين يطاردون فيلاً

أو غزالاً بالسيارات والطائرات من أجل علاج إحدى ساقيه.. ثم يتكلمون ويبحثون من أجل الرحمة بالحياة!

الشراء: غريزة المرأة!

هذا الخبر يهم المتزوجين، فقد اخترع الطبيب الأمريكي اللبناني إلياس أبو جودة دواء شافيا. هذا الدواء يسد نفس المرأة عن التسوق فلا تضع يدها في جيب زوجها ولا تتركه حتى يضع صوابعه في الشق. فالتسوق عند المرأة غريزة.

فهي تنزل من البيت وفي نيتها أن تشتري أي شيء، ومن أي مكان.

أو تشتري الشيء الواحد خمس مرات بخمسة ألوان.. أو تدخل عشرين محلاً وتقلب وتفاصل ولا تشتري.. ثم في آخر لحظة تشتري من آخر محل وبسعر أعلى. والذي يهمها في الشراء هو أن تقرف البائع وأن تفاصل وتفاصل.وتعود إلى البيت منتصرة. لا لأنها وجدت ما تريد وإنما لأنها أفلحت في إنقاص السعر جنيهًا أو اثنين، أي أنها غلبت البائع مع أن البائع كسبان في كل الأحوال.

وقد أفلس أزواج كثيرون وزوجات أيضًا. والسبب هو جنون التسوق.. جنون الشراء بفلوس ليست لها لكي تتمخطر أمام أناس لا تهمهم!

والأستاذ إلياس أبو جودة في جامعة استانفورد بكاليفورنيا. قد جرب العقار (أستيا لويرام) على مائة سيدة ولفترة طويلة. وكانت النتيجة 70٪ نجاحًا. فهذا العقار يفرفش ويرفع المعنويات. ويقلل رغبة المرأة في فرتكة فلوس زوجها أو فرتكته هو. والعقار هذا يرفع المعنويات فلا تجد لذة في الشراء والتسوق والشراهة في الشراء.

وقد اعترفت سيدة أمريكية بأنها عادة تقرر بأن تنزل إلى الشارع وأن تمشي على قدميها مسافات طويلة، تدخل وتخرج وتقلب في البضائع وتتركها دون أن ترى وجه البائعة.. ودون أن تعتذر. وترى في ذلك لذتها الأولى. ثم تفاصل وهي أم اللذات كلها، ثم لا تشتري. ولا تعتذر.. ويسعدها جدًّا أن يكون زوجها معها يتململ ويتقلب على نار هادئة. وفي الآخر تعود إلى البيت ومعها بالضبط ما لا تريد. وعندها استعداد لأن تتخانق مع زوجها - الخناقة عادة تكون مؤجلة من مشوار سابق..

يرى د. أبو جودة أن جنون التسوق مثل جنون السرقة أيضًا.. فالمرأة في الحالتين مجنونة بسرقة البائع ويسرقة زوجها أيضًا، أو بسرقة مالها هي!

وكلها أيام وينزل هذا العقار إلى الأسواق وسوف يكون الإقبال عليه أشد من الإقبال على الفياجرا - فهو يسد نفس الزوجة ويفتح نفس الرجل!

إنهم لا يقرأون!

جلست أناقش عددًا من الشبان. قالوا. ففهمت شيئًا لم أكن على يقين منه. وفي نهاية اللقاء قلت سوف أكتب عنكم.. وسوف أذكر بعض الأسماء. وكتبت. والتقيت بهم بعد أيام، فوجدت أنهم لم يقرأوا ما كتبت. ولا انتظروه.. وعدت أسألهم: ما الذي كنتم تتوقعون أن أكتبه؟ لم يتوقعوا شيئًا. سألتهم: ماذا لاحظتم أنه قد همني وأهمني؟ لم يروا شيئًا. سألت إن كان في نية أحد من الذين ذكرت أسماءهم قد بحث عن مقالي ليرى اسمه وما جاء على لسانه. الجواب: لا..

وفي لقاء مع طلبة (جامعة مصر الدولية) حرصت على أن أعرف من الذي يقرأ في أي موضوع، ومن الذي يمتلك مكتبة خاصة – وقد رخص ثمن الكتب وأصبحت لكل الناس مكتبات عامة.. قليلون يقرأون.. قليلون جدًا من عندهم مكتبة خاصة. سألت عن اللغات التي يقرأون بها.. طبيعي أن الذين تعلموا في مدارس أجنبية يقرأون أيضًا بلغاتها.. قليلاً أيضًا! ثم لقيت عشرين طالبًا تخرجوا في كلية الاقتصاد. سألتهم. أجابوا. تضايقت. لم يتضايقوا. ضحكوا عندما قال أحدهم إنه يقرأ مجلة (ميكي) وهو لم يضحك وإنما قال: لا أكذب عليك. فليس أسهل من أن أذكر لك عشرين كتابًا سمعت عنها وأدعي زورًا أنني قرأتها! حزنت!

رجعت أتساءل وأفكر: ماذا بعد؟ ما الذي نتوقعه من هذه اللامبالاة؟ وهل هي مرحلة ما بعد التخرج – أي بعد التعب والسهر والقرف

وانتظار الوظيفة وبنت الحلال؟ قلت: أجيبوني. فأجابني بعض الآباء أنهم كانوا كذلك ولكن بعد أن انقشع الضباب والهباب مدوا أيديهم إلى الكتب المفيدة..

ثم قرأت في صحيفة (الفيجارو) الفرنسية رسالة يشكر فيها أحد الطلبة والدته التي سافرت. يقول لها: لقد وجدت كل الدنيا أقرب. وكنت أتمنى أن تكوني أنت الأقرب.. انتهى كل شيء.. فأبي قد هاجر وأنت سافرت. لقد أفرغتما الدنيا من كل معاني الحب والانتماء دون دمعة على خد واحد منكما. ثم تعيبان على شباب اليوم أنه لا قلب لهم ولا أمل فيهم. من الذي ارتكب مذبحة الأمل في أن يكون الإنسان أي شيء.. منتهى الظلم للجميع.. والحل: أن نجلس ونتفاوض ونتفاهم ونتفق اليوم

أو غدًا على حق الحياة الكريمة؟!

كان من الضروري أن أتصفح كتاب الرئيس كلينتون (حياتي) في 755 صفحة. ولا أدعي أنني قرأته كله وليس في نيتي. ولكن لابد أن أعرف ماذا قال عن موضوعات معينة. طبعًا تحدث عن فضيحته الكبرى وهي أيضًا فضيحة القرن العشرين. عندما حاكموه على علاقته بالموظفة تحت التمرين في البيت الأبيض: مونيكا لوينسكي. وصفها بأنها: علاقة غبية ومتهورة. فسألوه عن علاقته الجنسية بهذه الفتاة. فقال: كانت هناك علاقة. ولكن (غير لائقة) وهاتان الكلمتان هما اللتان أبعدتا حبل المشنقة عن عنقه. أما الكتاب ففيه لمحات وعبارات رقيقة. وأجمل ما في الكتاب وأعجب أيضًا:

أنه قد أيقن في سن صغيرة أنه سوف يكون رئيسًا لأمريكا. وأنه سوف يؤلف كتابًا عظيمًا..

وقد أعجبني الإهداء الذي كتبه في أول الكتاب: إلى أمي التي علمتني حب الحياة..

إلى زوجتي التي علمتني حياة الحب..

إلى ابنتي التي علمتني الابتهاج بكل ذلك..

إلى جدي الذي علمني أن أتطلع إلى الناس الذين اعتاد الآخرون أن يتعالوا عليهم مع أنه لا خلاف كبيرًا بيننا، وفي مذكرات والدته الممرضة تقول: إنها لن تنسى فضل ابنها عليها.. فقد كان يحول بين زوجها السكير وبينها حتى لايقتلها..

وفي الحملات الانتخابية بين كلينتون وبوش الأب، فقد عيره بأن أمه ممرضة، وأنها تزوجت ثلاث مرات - منتهى السخافة فمن الذي يختار أبويه؟ إن الانسان يختار زوجته فقط، وكانت سقطة من بوش الغني جدًّا لصالح كلينتون الفقير الموهوب الحليوة الذي حكم العالم ثماني سنوات!

والــرب واحــد..

آخر مرة في (وادي الراحة) كنا أربعة: الرئيس السادات والمهندس حسب الله الكفراوي والقارئ د. نعينع وأنــا.. وكـان الليل والهدوء والجلال ود. نعينع يرتل قوله تعالي: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

وقد حدثني الرئيس كثيرًا في تلك الليلة وقبلها وبعدها عن مشروع صغير يحلم به هو (مجمع الأديــان): يقام مسجد وكنيسة ومعبد يهودي متلاصقة وفي مكان واحد دليلاً على السلام وأنه مهما تعددت الأديان فالرب واحد والأمل واحد وهو أن يسود الوئام بين كل الشعوب. وكان يتمنى لو تبرع كل مسلم وكل مسيحي وكل يهودي في العالم بما يعادل قرشًا ومن هذه المليارات يقام هذا الرمز للوحدة والحب والسلام بين الناس.

وهذا السلام الحلم موجود عندنا في مصر القديمة: فهناك مسجد عمرو بن العاص وكنيستا أبي سرجة والمعلقة ومعبد ابن عزرا. وفي استطاعتك أن تزورها جميعًا في دقائق. وهي دليل على التعايش السلمي والتسامح بين الناس في مصر التي زارها الأنبياء: إبراهيم ويعقوب ويوسف والسيد المسيح وأمه السيدة العذراء. أما النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد أوصى بأهل مصر خيرًا..

وقد تلقيت رسالة –وكذلك السيد وزير الاستثمار محمود محيي الدين– من السيد جاويد محمد راشد يذكرنا بهذا المشروع الذي تردد

في الصحف المصرية والعالمية. وهو يرى أن هذه الفكرة لو تحققت فسوف تكون مثل كل الأماكن المقدسة جذبًا سياحيًّا. وسوف يبقى هذا الأثر أبدًا رمزًا على الأمل العظيم في أن نعيش معًا كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ .

تعليقًا على ما كتبت هنا أكثر من مرة عن ضعف اللغة العربية عندنا جميعًا - قراء وكتابًا حاكمين ومحكومين، جاءني من المهندس حمدي سليمان مبارك أخصائي البرمجيات يقول إن هناك أسبابًا:

1- عدم اهتمام القيادات باللغة العربية وإصدار القوانين حفاظًا عليها.

2- اللجوء إلى استخدام اللهجة العامية في وسائل الإعلام مع أن اللغة الفصحى أسهل.

3- عدم حفظ القرآن الكريم في الصغر.

4- محاصرة اللغة العربية في برامج التعليم وتقليل درجاتها مقارنة باللغات الأجنبية.

5- تقليل شأن اللغة العربية والسخرية من الذين يتكلمون بها في كل وسائل الإعلام.

6- الظن الخاطئ بأنه لا سبيل إلى التقدم إلا بمعرفة اللغات الأجنبية فقط..

يقول المهندس محمد الخفيف بوزارة التعاون الدولي: لقد أصابني حزن شديد يوم مشاهدة برنامج يطالب ضيوفه بإلغاء المثنى ونون النسوة! مدعين أن هذه القواعد العتيقة كفيلة بخنق اللغة العربية.

ترى هل يمكن أن تموت لغة اختارها الله سبحانه لتكون محلاً لنص المعجزة الإلهية الكبرى وهي القرآن الكريم ؟!

وبالإنجليزية تلقيت من السيد تامر سليمان يقول إن القارئ العادي لا يلاحظ الأخطاء الإملائية والنحوية في الصحف التي يقرؤها والمصيبة أكبر الآن ـ وأنا أعترف بذلك ـ أن كثيرين يسهل عليهم أن يكتبوا بالإنجليزية، والسبب في ذلك أننا في مصر وفي خارجها قد درسنا اللغة العربية بطريقة منفرة.. بطريقة خشنة تجعلنا نكره لغتنا الأم.

ومن الدنمارك تلقيت من المهندس علي صالح القرشي أن لديه أولادًا صغارًا أراد أن يعلمهم اللغة العربية فطلب من صديق أن يبعث له ببعض الكتب.. وبمنتهى الصراحة لم يجد أسوأ من هذه الكتب ورقًا وحبرًا وصورًا ولغة. إنها تسد النفس وتصد أي إنسان عنها مهما كان عاشقًا للعربية وعابدًا لوطنه!

أما السيد عبد الهادي كرم فكانت نصيحته هكذا: من الذي يصحح أي مسار ؟

من الذي يقرأ ومن الذي يسمع. كلما قرأت ازددت حزنًا وحسرة على شباب مصر ولغة مصر التي هي لغة العرب ولغة القرآن.. فالذي يقول ويكتب ويفكر ليس هو الذي يصنع القرار..

قل يا عم وارفع صوتك، فلن يسمعك أحد!

بعض ما شاهدت!

لم أستطع أن أشاهد كل ما قدمته الشاشة من أعمال فنية. بعضها هو الذي استطعت أن أتابعه: وجه القمر وهي حكاية محكمة للكاتبة ماجدة خير الله بدأت هادئة جدًا وانتهت هادئة. وكانت فاتن حمامة رائعة الأداء مقنعة وعظيمة الاحترام. وتابعت كل يوم (الكاميرا الخفية) تمثيل إبراهيم نصر. وهو ليس حسين فهمي ولا المؤلف الشندويلي هو إحسان عبد القدوس ولا المخرج رائد لبيب هو حسن الإمام.. وإنما استطاعوا أن يضحكونا كل يوم. وعلى الرغم من أننا نعرف مقدمًا مقالب إبراهيم نصر فإننا نضحك بالقوي. لا عليه. ولكن على (ذهول) الناس وإصابتهم بالفزع من صلعة إبراهيم نصر. وكل من قابلت كان حريصًا على أن يضحك على رؤية الكاميرا الخفية. إنها نكتة تنفجر في بطون الناس. وهذا يكفي. فلا إبراهيم صاحب مذهب فلسفي. ولا هو مصلح اجتماعي ولا زعيم سياسي. وليس له إلا هدف واحد أن يضحك الناس وقد استطاع..

وحرصت على برنامج (كان زمان) لسمير صبري.. وهو برنامج فيه فن وتاريخ. وسمير صبري ممثل وودود.. وهو يغني ولا يدعي أنه عبد الحليم حافظ.. وإنما هو يؤدي ظريفًا لطيفًا..

ولا يزال سمير صبري الاستعراضي الأول في العالم العربي.. وبرنامجه كوكتيل من الذي كان والذي لايزال وهو ناجح في الربط بين الأمس واليوم بسهولة. والنتيجة: أن يستمتع المشاهد..

ومسلسل (أوان الـورد) من تـأليف الكاتب البـارع وحيد حـامد وبطولة ممثلة جميلة عالمية الأداء: يسرا.. وكذلك الممثل الممتـاز هشام عبد الحميد ثم سيدة المسرح سميحة أيوب وعدد من الوجوه الجديدة. أما الخلاف حول موقف المؤلف من المسيحية، فهو لم يدع أنه الشيخ محمد عبده وإنما هو فنان يجتهد في المشي على الحبل.. ولم يتسع وقتي وصدري لأكثر من ذلك.. فشكرًا للتليفزيون!

أما نشرة الأخبار فقد تحسنت كثيرًا. وإن كان إيقاع قراءة النشرة بطيئًا. ورسائل المراسلين جيدة جدًّا. وفي استطاعة مذيع الربط بين الرسائل أن يجلس بدلاً من الوقوف على حيله.. بشرط أن يكون له ديكور أحسن من كشك السجائر الذي زنقوه فيه.. وكل ما جاء بعد منتصف الليل فلا أستطيع أن أراه لأنني ساعتها أكون مشغولاً بعد النجوم لعلي أنام – ولا أنام!

أكثـر مـن جريمـة!

ليس كل الأمريكان مؤيدين للعنف الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني. حتى الذين يعطفون على إسرائيل لا يرون مبررًا قويًا لهذه الجرائم.. وقد فزع رئيس تحرير صحيفة (ميامي هيرالد) واسمه جيم هامبتون من إراقة إسرائيل لدماء الأبرياء. وقد بعث لي صديقي رجل الأعمال السعودي الشيخ عبدالعزيز عبدالله السليمان بما كتبه رئيس التحرير الذي قال: لماذا تتصرف إسرائيل بهذه الصورة؟ لماذا تصب غضبها على أبرياء فلسطين؟ لماذا ترد على العدوان النازي على اليهود بعدوان على الشعب الفلسطيني؟ إن قتل اليهود: كان جريمة.. وقتل الفلسطينيين: جريمة أيضًا.. ولكن جريمتين لا تصنعان عدلاً.. ثم إن وزير دفاع إسرائيل قد أعلن أن كل من يعتدي على جندي إسرائيلي سوف يزيل مسكنه من الوجود.. وقد حدث.. فواحد بقال فلسطيني صدم بسيارته أحد الجنود. فما كان من وزير الدفاع إلا أن أمر بتسوية بيته بالأرض وترك أرملته وأولادها الستة يبكون أمام ما كان بيتًا.. وإن القلب لينفطر لمنظر هؤلاء اليتامى الأبرياء. فلماذا هذه الجريمة ولماذا هذا العقاب الجماعي الذي هو مخالفة صارخة لـ(اتفاقية جنيف الرابعة).. ولكل مبادئ العدالة والإنسانية.. إلا إذا كانت إسرائيل حريصة على خلق جيل جديد يكرهها حتى الموت!

ويقول رئيس التحرير: لقد نشرت صحيفة (نيويورك تايمز) هذه المأساة التي وقعت في مدينة الخليل يوم 14 أبريل عندما صدم

البقال منذر عبدالله بسيارته جنديًا إسرائيليًا. وأهله يؤكدون أنه لم يقصد ذلك. وإسرائيل تؤكد أنه تعمد ذلك فقد وجدوا معه خطابًا يقول فيه: أتمني أن أموت شهيدًا بعد أن أقتل جنديًا يهوديًا.. أما هذا الخطاب المزعوم فلم تنشره إسرائيل حتى اليوم! وهذا البيت الذي أزاله وزير الدفاع يملكه منذر عبدالله (33 سنة) مع إخوته الثلاثة فما ذنب الجميع في جريمة لم تثبت صحتها.. لقد هدمت وأغلقت إسرائيل ألوف البيوت منذ الانتفاضة سنة 1987 وبررت ذلك بأنه عقاب وإنذار لكل من يفكر في إلقاء حجر... وتزعم أنها تطبق قانون الانتداب البريطاني لسنة 1945. أن إسرائيل حين تهدم بيتًا تبني بيتًا آخر: حجارته وأعمدته الخرسانية وأبوابه ونوافذه من مادة واحدة هي: الكراهية!

فلو أن عدوًا لإسرائيل أراد أن يهدمها على رءوس أهلها، فلن يفعل أسوأ من ذلك!

لو سمع الرئيس كلينتون كلام أمه، لكان في قاع جهنم. تقول أمه في مذكراتها إنها فوجئت به وهو الشاب الحليوة ومعه فتاة منكوشة الشعر تضع منظارًا غليظًا إيه دي! فقال لها: لن أتزوج غير هيلاري!

وهيلاري صارت من أكبر المحامين في أمريكا. وكان مرتبها أربعة أمثال مرتب الرئيس الأمريكي. وعندما أصبح رئيسًا غيرت اسمها من هيلاري رود هام إلى هيلاري كلينتون. وهي التي أنقذت كلينتون في فضيحة مونيكا، فقد اهتدت إلى تعبير قدمته له على طبق من ذهب. فعندما سألوه هل كانت لك علاقة جنسية بمونيكا ليونسكي أجاب نعم، ولكن علاقة (غير لائقة) فهو لم يكذب وفي الوقت نفسه لم ينكر هذا النوع من العلاقات!

وباعت مونيكا مذكراتها بنصف مليون دولار.. بينما تعاقدت هيلاري مع إحدى دور النشر على بيع مذكراتها بثمانية ملايين دولار - بواقع مليون دولار لكل سنة في البيت الأبيض. والمطلوب أن ترد على أسئلة كثيرة أهمها: بالضبط كيف كان جو صناعة القرار في البيت الأبيض؟ وكيف بلغها؟ وكيف احتملت وقائع الفضيحة، وماذا قال لها الرئيس دفاعًا أو تبريرًا لسلوكه؟ ولماذا لم تطلب الطلاق؟ وهل صحيح أنها كانت على علاقة عاطفية بكبير موظفي البيت الأبيض الذي انتحر، والذي كان يضربها على مؤخرتها أمام موظفي البيت الأبيض؟ وما نوع الخناقات التي تبادلا فيها الألفاظ

النابية.. وكيف نقلت هي فضيحة الرئيس إلى ابنتهما الوحيدة؟ وماذا كان تعليق ابنتهما قبل عرضها على الطبيب النفسي بعد أن فشلت علاقاتها مع عدد من الشبان؟

وقد غضب أبناء دائرة هيلاري الانتخابية لأنها سوف تنشغل بالكتاب عن خدمة الدائرة. ولذلك أعلنت أنها لن ترشح نفسها رئيسة لأمريكا سنة 2004. أي قبل نهاية عملها في مجلس الشيوخ بسنتين.. وسوف يرشحها الحزب الديمقراطي للرئاسة سنة 2008. فليس أحد أحسن ولا أقوى منها في الحزب.

وقد ظهرت لهيلاري كتب صغيرة عن الطفل، من بينها كتاب ظريف يضم رسائل ملايين الأطفال موجهة إلى (كلب) الرئيس و(قطة) السيدة الأولى وهكذا انضمت السيدة الأولى سابقًا ووزيرة الخارجية حاليًّا إلى الذين (يطبعون) القبلات ثم (ينشرونها).. لنادي العراة: الذين يتعرون أمام المرآة ويكشفون غيرهم أيضًا. فأهلاً بها: في مؤسسة العار والفضيحة.. وبملايين الدولارات!

كـلام في كـلام!

لم أفاجأ بكثير مما حدث في مؤتمر القمة... لا قبله ولا أثناءه.. ولا بعده.. فلا شيء.. يتغير. فالمؤتمر هو أقصى ما تستطيع أن تفعله مصر ورئيسها حسني مبارك. فقد جاء لنا برئيس أمريكا وسكرتير الأمم ومندوب أوروبا ورئيس وزراء إسرائيل، ونحن نعلم مقدمًا أن رئيس أمريكا هو رئيس سابق لاحول له ولا قوة. ومع ذلك فهذا أقصى ما يستطيعه أي حاكم لأي بلد له احترام الجميع.. هذا ما فعله رئيس مصر.

ثم جاء مؤتمر القمة العربية. وصال وجال وقال ورايد بعض الرؤساء.. وليس هذا غريبًا علينا لا قبل المؤتمر ولا أثناءه

ولا بعده.. فنحن نعرف أن الطريق الذي نمشيه نحن العرب أوله كلام وآخره أيضًا، فقد اجتمعنا مختلفين وافترقنا أكثر اختلافًا.. ولذلك لم يكن غريبًا أن ينقلب المؤتمر على المؤتمر وعلى الذين دعوا إليه. وهكذا خسرنا الجولة الأولى ولم نكسب الثانية، والعيب فينا، فنحن نعرف أننا لم نتفق في أي وقت. وأننا مئات الملايين ولكننا ولا حاجة أمام أي قضية وأي عدو.

قولوا لنا: كيف كان الرئيس مبارك يلتقي بزعماء إسرائيل حكومة بعد حكومة إذا لم تكن هناك علاقات دبلوماسية.. مع أن هناك دولاً عربية لها علاقات بإسرائيل ويهود العالم أقوى وأعمق، ولكن هذه الدول لا تقول ولا تمد يدًا ولا رجلاً ولا تفتح أذنًا ولا فمًا.. فنحن

المصريين قد حققنا السلام بعد حروب دموية ودمار لأرضنا وخراب لأهلنا. ثم كان لابد من الحوار الطويل، والذين اتهمونا بعقد اتفاقات سرية مع إسرائيل هم نفس الذين يتهمون ياسر عرفات بأنه قد فعل نفس الشيء.. ويبدو أننا العرب قد ارتضينا هذه الصفة أننا جميعًا خونة إذا حاربنا وإذا فاوضنا وإذا لم نفعل أي شيء!

ولنا أن نتساءل كيف أن أوروبا التي تتكلم تسع لغات ونظمها ملكية وجمهورية ودينها بروتستانت وكاثوليك قد اتفقت واتحدت؟

والجواب: إنهم متحضرون، ولسنا كذلك. ولن نكون.. ونتحدث عن يوم تتلاشى فيه إسرائيل المتماسكة برغم أن بها سبعين لغة وثلاثين مذهبًا في الدين والسياسة.. ثم لا نتحدث عن يوم تتلاشى فيه العرب الذين لهم دين واحد ولغة واحدة وأرض واحدة وعدو واحد - إن إسرائيل ليست هي العدو الوحيد للعرب.. بل العرب هم أعدى أعداء العرب!

دخلت وخرجت من المعرض الدولي للكتاب - لم يشعر بها أحد، فقد كانت إدارة المعرض حريصة على ذلك، مع أنها لم تكن إلا مصورة ومخرجة لأفلام نشاط وحياة هتلر. لا هي نازية ولا هي معادية لليهود. إنها فنانة وبس. اسمها ليني ريفنشتال (19 سنة)، كانت جميلة جدًّا. وكانت محترمة جدًّا. لقد نبشوا تاريخها فلم يجدوا فيها بقعة واحدة سوداء تغرقها في الوحل ويهاجمونها على أنها معادية للسامية، وأنها العدو الباقي لليهود الألمان، أو يكفي أن هتلر كان يحبها.. وفي إسرائيل الأسبوع الماضي ضربوا بالطوب أوركسترا يعزف موسيقى فاجنر لأن هتلر كان يحبه!!

ولولا هذه السيدة ما عرفنا الكثير جدًّا عن حياة الزعيم النازي أدولف هتلر الذي قفز بألمانيا إلى السماء وهبط بها إلى سابع أرض، ومعها خمسون مليون جثة من كل الشعوب الأوروبية والعربية.

وعندما جاءت إلى معرض فرانكفورت كان في نيتها أن تقوم بدعاية لكتابها الجديد الذي يضم 400 صورة نادرة لهتلر

بعد 55 عامًا من انتحاره (1889 - 1945) وقد ولد هتلر في السنة التي ولد فيها العقاد وطه حسين والمازني وعبد الرحمن الرافعي وشارلي شابلن والفلاسفة الوجوديون: هيدجر ومارسيل.. وفتجنشتين الذي كان زميله في الدراسة الابتدائية في فيينا.

وقد اختارها هتلر لتصور له مسلسلاً طويلاً اسمه (انتصار الإرادة)- أي إرادة الشعب الجرماني والزعيم النازي على كل الشعوب وكل الزعماء. كما اختارها أيضًا لتكون مصورة لدورة الألعاب الأوليمبية في برلين سنة 1936 فهي وحدها التي سجلت هتلر والنازية والألعاب الأوليمبية، ولم يشغلها شيء في هذه الدنيا إلا فنها الجميل.. فكان الفن أعظم انتصار على السياسة في زمانها وزماننا..

وفي الستينات حضرت إلى مصر.. وفي السبعينات اتجهت مباشرة إلى بلاد النوبة ووقعت في غرام الجمال النوبي - رجالاً ونساء. ثم جاءت في كتابها هذه العبارة التي هي تاج على رأس النوبة. قالت: لولا أن الله يحب أبناء النوبة ما أعطاهم كل هذا الجمال!

ورأيي أنا أيضًا، مادامت تقصد نفرتيتي ونفرتاري وتيتي وحتشبسوت!

اليهـــود وراءه دائمًـــا!

لقاء كلينتون مع كل من عرفات وبـاراك هو «جلسة تحضير أرواح»، فالبيت الأبيض خرابة، لا يسكنها إلا عدد من الموظفين الذين يستعدون لحفلة زار للرئيس الجديد، ووراء كل واحد منهم مونيكا تتدرب لكي يذلوا الرئيس الجديد، ويخربوا بيته، ويفرجوا عليه الأمم، إذا لم ينعدل ويسمع كلام بابا وماما.. وبابا هم زعماء الهيئات اليهودية في أمريكا، وماما هي الصحف وشاشات التليفزيون

فإذا ذهب عرفات وباراك فسوف يجدان بقايا الرئيس الحليوة، المفضوح كما لم يحدث في التاريخ، فهو الرئيس السابق لأمريكا، ولا يملك شيئًا في أمريكا، بل إن عرفات يملك من الشارع الفلسطيني أضعاف ما يملكه كلينتون في بيته، وفي زوجته وبنته، ولا يستطيع أن يعد بأي شيء، وكلها كم يوم ويتوارى في ظل الرئيس الجديد، ومن المحتمل جدًا أن يكون الرئيس هو بوش المعارض وليس جور الزميل في الكفاح، في الحزب وثماني سنوات في البيت الأبيض، فإذا جاء الرئيس الجديد فهو مستعد تمامًا أن يعطي يهود أمريكا وإسرائيل كل ما يريدون، فقد أقنعوه بأنهم هم الذين أتوا به للبيت الأبيض، والغريب أنه سوف يصدق ذلك، وهو يعلم أنهم قالوا نفس الشيء لخصمه، فكيف يؤيدون الاثنين في وقت واحد لكي يفوز أحدهما على الآخر، الشيء الوحيد المضمون هو أن الرئيس الجديد سوف يشكرهم على أنهم نصروه على المرشح الآخر، ومن المؤكد أن

قضية فلسطين قد تأجلت كلها بربطة المعلم كلينتون أو بوش أو جور عامًا.. اثنين.. ثلاثة حتى يظهر رئيس جديد للبيت الأبيض لأن الرئيس الأمريكي يحتاج إلى سنة لترتيب البيت، وسنة لكي يفهم مشاكل الدنيا، وسنة لكي يفهم مشاكل أمريكا، والسنة الباقية للاستعداد لانتخابات فترة رئاسية ثانية.

وسوف يعود ياسر عرفات كما ذهب وقد امتلأ أنفه برائحة البخور الذي ليس تكريمًا له أو حماية له من الحسد، وإنما البخور هو الذي يسهل عملية استحضار روح الرئيس الذي كان.. فإذا حضر فلن يقول إلا شيئًا واحدًا هيه وضحكت عليك!

د. الجنـــزوري..

د. كمال الجنزوري رئيس الوزراء. إذا تحدثت إليه يخيل إليك أنه ليس معك... مشغول جدًّا بأشياء كثيرة. وهذا طبيعي. أما الصوت فهامس. وإذا سمعته يتكلم في التليفون فأنت لا تعرف إن كان يحادث رجلا أو سيدة... رئيسًا أو زميلاً أو سكرتيرًا. وفي إحدى المرات وجدته يقول: طيب.. حاضر... حاضر ياستي حاضر!

وسألته فأجاب: حاقولك إيه... بنتي ياسيدي طالبة حاجات للأكل!

ابنته نسيت أن والدها يحكم ستين مليونًا ولا تذكر إلا أنه أبوها وبس. هات يا بابا.... حاضر يابنتي.. وهات كمان حاضر ياستي!

وقابلت ابنته هذه في باريس تحمل ولدها الصغير.. وقالت له: سلم على جدو..

فلم يفعل. فقلت لها: اعذريه فجده كمال الجنزوري!

مع أن جده لا يفعل ذلك ود. كمال الجنزوري بقدر هدوئه الشديد، ورقته البالغة، فهو من أجرأ رؤساء وزارات مصر. فالقرارات الحاسمة التي اتخذها والتي أصلحت أوضاعًا (مايلة) تضعه في الصف الأول من كل الذين حكموا مصر وفي وقت قصير ورغم عيوب المركزية المطلقة في نظام الحكم في مصر، والتي تلقي أعباء وهمومًا على دماغ الوزير ورئيس الـوزراء، فإنه ما تناول قضية إلا حسمها... ولا مشروعًا إلا قام بتوضيحه وإقناعنا به.

ود. كمال الجنزوري يعلم أنه فصيح وأن صوته وأداءه في الخطابة متميز. ولذلك كان حريصًا على جميل الكلام... يخطب وكأنه يتغنى. وهذا يؤكد عشقه للغة العربية.. سواء كان خطابه طويلاً أو قصيرًا.. سواء كان يتكلم في مجلس الشورى أو في حفلتنا السنوية لأبناء الدقهلية (زوج ابنته طبيب من الدقهلية).

وعندما يتحدث عن مشروع توشكى بالأرقام التي يحفظها غيبًا– لا أعرف كيف؟ فإن الأرقام لها صدى أبيات الشعر أو السلم الموسيقي..

أما الذي لا يعرفه الكثيرون فهو أن د. كمال الجنزوري ابن نكتة. وعنده أحدث النكت في مصر. وهذا طبيعي فلا يمكن أن يجد حلاً للتوتر الدائم والعمل في يوم الجمعة ومن خمسين عامًا، إلا أن يضحكه أحد أو يضحك مع أحد!

إسماعيل سلام..

قليلون مثل د. إسماعيل سلام وزير الصحة، فأنت تجده دائما في حالة معنوية جيدة! متوازن.. معقول.. وتندهش كيف أنه لا يكف عن الجري هنا وهناك ويرتاد مصر من أولها لآخرها.. ويقفز إلى حيث المصائب في إفريقيا وآسيا.. وتبقى معنوياته عالية.. وما من مشكلة إلا تجد لها حلاً عنده.. وتندهش كيف أن دنياه بلا عقد.. وكيف أن كل عقدة لها حل. أقول له: هناك شكاوى من الصيادلة.. ويكون عنده رد.. وشكاوى من شركات الأدوية.. وعنده حل.. وشكاوى من أن هناك أدوية لم يتم الإفراج عنها.. وعنده جواب.

ويقولون: إنه رجل سياسي.. صح! ويكون الرد: إنه سياسي أولاً وطبيب ثانيًا.. والرد أنه طبيب وسياسي.. ولابد أن يكون سياسيًا لأنه في حزب يحكم مصر، وهو ملتزم بسياسة الدولة ومسئول عن 65 مليونًا.. والذي يعمل يصيب ويخطئ. وهذه مشكلة كل واحد مجتهد.. أو كل واحد يعمل كثيرًا.. فليس في استطاعته إرضاء كل المرضى والأطباء والمنافسين والخصوم.

ولكن الشيء المؤكد هو أن حالته المعنوية جيدة كأنه يتفرج ولا يعمل، أو كأنه بلا أعباء فادحة، وهذا يحتاج إلى أسئلة أخرى: هل ينام بعمق؟ هل يتعاطى عقاقير سحرية تعطيه الحيوية والهدوء والمرح؟ إنه لا يقول.. ولن يقول.

وقبل أن يكون إسماعيل سلام وزيـرًا للصحة كانت له مواقف خطابية فصيحة في مجلس الشورى.. وكانت المعارك الصحية بينه وبين د. جلال غراب رئيس الشركة القابضة على كل المؤسسات الدوائية.. وكل منهما عنده كلام وعنده حجج.. والخلاف على الصحة العامة ومكاسب الشركات وسلامة البلد.. و د. جلال غراب هذا أيضًا يعمل كثيرًا.. ولا يكف عن الحركة.. فإذا جلست إليه أحسست كأنه زائر.. أو كأنه قد حل كل ما في الطب والدواء من معضلات واستراح نفسًا وعقلاً وجسمًا.. كيف؟ لا أحد يفشي سر هذه الحالة النفسية والعقلية المطمئنة.. ولا أحد يقول لنا اسم العقار الصيني أو الكوري الذي يولد هذه الحيوية.. ولكن من المؤكد أن نصف هذا العقار هو العمل المخلص وراحة الضمير!

مبارك وكلينتون وبوش تحدثوا في يوم واحد مع عظيم الاحترام عن قضية التعليم في بلادهم وفي الدنيا.

لقد صفقنا طويلاً للرئيس مبارك عندما تحدث عن قداسة القدس.. وصفقت أنا أطول للرئيس وهو يتحدث عن التعليم أسلوبًا وأملاً في أن تتقدم مصر بشبابها المتعلمين تعليمًا تكنولوجيًّا. أي تعليمًا حديثًا متطورًا مستعينة بنصف الشعب، أي بالشباب. فلا مستقبل زاهرًا دون الاستفادة من حيوية الشباب وشجاعتهم وإقبالهم على الحياة حتى لا تكون مصر (محلك سر) بينما الدنيا من حولنا وأمامنا ووراءنا تلهث من أجل مكان رفيع في التاريخ - صح ياريس!

وتحدث الرئيس الأمريكي المنتخب جورج بوش عن الأوليات والأولويات في مستقبل بلاده. فكان التعليم رقم «1» ومن غير تطوير وتحديث للتعليم سيجيء دور أمريكا بعد اليابان وألمانيا وسويسرا وبريطانيا وفرنسا. وبعد التعليم تحدث الرئيس بوش عن تخفيض الضرائب، وعن التأمين الصحي، ثم القوة العسكرية الأمريكية، وعن حرص أمريكا على الاستقرار في الشرق الأوسط، وحرصها أكثر على أمن إسرائيل.

وكذلك تحدث الرئيس كلينتون الذي اختارته جامعة أكسفورد مستشارًا لها، كما اختارت جامعة هارفارد نائبه آل جور رئيسًا لها..

فقال كلينتون وهو يتحدث عن (التعليم والعولمة) إنه عندما زار الهند وجد الكمبيوتر في دكاكين صغيرة فقيرة. وقال إن معنى ذلك أن الإنسان حتى لو كان فقيرًا فإنه لا يستطيع ألا يكون على صلة بالدنيا. فالثورة المعلوماتية هي التي جعلت أكثر الناس فقرًا أشدهم حرصًا على أن يكون على مرأى ومسمع من العالم. وعن طريق التكنولوجيا الحديثة يمكن للإنسان أن يقفز فوق حاجز الفقر ويتخطى خط الجوع والعزلة.

والتفت الرئيس مبارك إلى المدرسة والمدرس ودور المثقفين في توعية الناس. ولولا أن المثقفين يعلمون لأنهم تعلموا ما كانت هناك قداسة ولا قدس. فعن طريق الوعي بما حدث، والعلم بما هو حادث والخوف من الذي سوف يحدث لولا كل هذا ما أدرك أحد خطورة ما نحاول اليوم ألا يقع في فلسطين، أو في الشرق الأوسط، أو بين العرب. ومصر تحاول ألا يكون تصدع في فكر العرب واقتصادهم. فعلى الرغم من أن الأرض واحدة والجغرافيا والتاريخ والهموم والمخاوف واحدة، فإن قلوبنا شتى.. وعقولنا أيضًا!

لا يجـــدون القـــدوة..

مثلنا تمامًا: لأنهم يشكون في كل دول العالم من أن اللغة قد انهارت وانحطت على ألسنة الشباب، وفي الميكروفون وعلى الشاشات المصرية تجد الشبان لا يحسنون النطق باللغة العربية ويأكلون الحروف فتهرول منهم المعاني، ثم يضيفون إلى لغتهم عبارات غريبة من صنعهم لأنهم لا يعرفون المرادف العربي لها، ثم إنهم لا يعرفون مبادئ النحو والصرف – لا الصغار ولا الكبار أيضًا، وفي بلادنا تظهر الأخطاء النحوية والإملائية على الشاشة، وفي الإعلانات وفي العناوين التي تسبق المسلسلات، وفي اللافتات في الشوارع وعلى الكباري – الأخطاء العربية لا تقل بشاعة عن الأخطاء في اللغات الأجنبية!

وهم مثلنا يتساءلون: لماذا ؟ ونحن نكتفي بالسؤال والاستنكار، ولكن في فرنسا وبريطانيا وألمانيا عندهم تفسيرات لذلك، من بينها أن الشباب يتمرد على القواعد، وأنه لا يجد القدوة الحسنة في والديه أو أساتذته وقادته، ثم إن أحدًا لا يعاقب على ذلك، والحل؟ المدرسة هي الحل، والعقاب هو الجزاء...

لقد تعالت صيحات في بريطانيا تقول: إن الشعب الإنجليزي ينقرض بانخفاض نسبة المواليد، واللغة أيضًا، أما اللغة فهي أسهل وعلاجها أيسر.. ولكن زيادة النسل فهذه مسألة أصعب كثيرًا.

والفرنسيون والألمان لهم شكوى خاصة وهي انتشار الكلمات الإنجليزية والتعبيرات الأمريكية في لغتهم العادية، وهم ينبهون إلى خطورة ذلك... ولكن من الصعب مقاومة (السهولة) الأمريكية في التعبير والحياة التي يرونها في الأفلام، فمن الذي لا يرتدي (الجينز) ومن الذي لا يأكل الهامبورجر ولا يقول (أوكي) ألف مرة في كل يوم.. وتبقى المشكلة الأهم، وهي سلامة النطق والقواعد اللغوية التي هي مشكلتنا نحن!

ولا أقول لك: استمع واتفرج يا سلام على بعض أعضاء البرلمان والوزراء والمحافظين والسيدات من كل لون ونوع وطول وعرض وحجم!

وهم ينطقون ويتكلمون اللغة العربية كأنها لغة أجنبية!!

بطولة طفل

الصحف البريطانية تتحدث بإعجاب عن طفل (12 سنة) تركته أمه واختفت. واكتشف الجيران أن هذا الطفل يعتمد على نفسه أسبوعين يأكل ويشرب ويلبس ويذاكر ويذهب إلى المدرسة دون أن يبلغ عن غياب أمه حتى لا يكون سببًا في إيذائها. أما الأم فهي مضطربة نفسيًا بعد وفاة زوجها. واستطاعت المباحث أن تعرف أين ذهبت في إسبانيا وعن طريق بطاقتها الائتمانية عرفت أنها سافرت إلى سويسرا. وألقي القبض عليها بتهمة إهمالها لابنها!

ولكن الصحف كان اهتمامها بشجاعة أو بطولة طفل اعتمد على نفسه برغم خوفه من ألا تكون معه ليلة الكريسماس!

وأذكر أنني كنت مسافرًا من روما إلى فيينا عندما جاءت سيدة وطلبت منا العناية بطفلتها (7 سنوات) المسافرة إلى فيينا ـ17 ساعة بالقطار ـ وقد علقت على صدرها ورقة بما تأكله وتشربه ومواعيد تعاطي الدواء إذا احتاجت إليه مع أرقام التليفونات في إيطاليا والنمسا إذا اقتضت الضرورة.. وتجمعت الأمهات في القطار حول الطفلة. وكانت الطفلة هادئة. ونامت وقامت وأفطرت.

ولما وصلنا إلى محطة فيينا وجدنا سيدة قد رفعت لافتة مكتوبًا عليها اسم الطفلة فأشرنا إليها. ونزلت الطفلة وحملتها جدتها.. ثم عادت إلينا بسرعة. فقد نسيت الطفلة أن تشكرنا واحدًا واحدًا..

وأذكر أنني ركبت طائرة متجهة إلى سنغافورة. وفوجئت بأن كل الركاب من الأطفال الإنجليز جاءوا يقضون إجازتهم السنوية مع آبائهم. وكانت الطائرة كلها مشغولة بطفل عمره ثلاث سنوات سافر وحده كل هذا المشوار الطويل.. ونزل من الطائرة ليجد أمه وأباه في انتظاره..وقد زودته الطائرة بالشيكولاتة والفطائر والهدايا.. وحملت أمه لافتة تتوجه فيها بالشكر لكل من احتفى بابنها الصغير..

ولم أسمع لا الطفلة النمساوية ولا الأطفال الإنجليز يبكون ويمتنعون عن الطعام. وإنما كانوا جميعًا في غاية الهدوء.. فقد اعتادوا على أن يعتمدوا على أنفسهم وعلى اهتمام الناس بهم.. وكل واحد يصفق لهؤلاء الأطفال على أنهم أبطال تحت التمرين!

قالهـا الجبرتـي..

عندما تقدمت القوات الأجنبية تضرب وتقتل وتخيف الناس كتب يقول:

إنها أولى سنوات الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة، وتضاعف الشرور وترادف الأمور وتوالي المحن واختلال الزمن، وانعكاس المطبوع وانفلات الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب. قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

هذا ما كتبه مؤرخنا الكبير الشيخ عبدالرحمن الجبرتي عندما نزلت القوات الفرنساوية أرض مصر وقبلها مر بالإسكندرية الأسطول الإنجليزي يبحث عن الأسطول الفرنسي..

وكأن مؤرخنا الكبير يتنبأ بما سوف يحدث في العراق وقبل ذلك في أفغانستان وبعد ذلك في سوريا وإيران. ثم ما أعلنه الرئيس الأمريكي بوش من أن القوات الأمريكية لن تبرح العراق حتى تستقر الأوضاع وتتلاشى الأسلحة في أيدي الشعب العراقي بعد أن شرب المر من كأس صدام حسين؛ ولا يريد أن يتبعها بكأس الهوان من يد بوش..

وكما يحدث عند كل غزو واحتلال دولة كبرى لشعب صغير أن تجد مبررات لهذا الاحتلال والغزو. ولابد أن تعلن الدولة الغازية أنها

لا تريد أرضًا ولا مالاً ولا نفوذًا. ولا تحب الظلم وتكره القهر وإنما تنشد الصالح العام والسلام التام.

وبعد أن تحقق كل ذلك تعود إلى بلادها بعد أن حققت هذه الرسالة المقدسة لوجه الله..

كذلك فعل نابليون، أصدر بيانات عديدة تؤكد للشعب المصري أنه جاء ينقذ المصريين من المماليك الذين سرقوهم ونهبوهم. وأنه ليس عدوًّا للإسلام بل هو وجيشه من المسلمين. وفي أول بيان لبونابرته قال: من زمن مديد والمماليك يعاملون المصريين بالذل والاحتقار. ويعاملون التجار الفرنسيين معاملة سيئة. وهؤلاء المماليك مجلوبون من بلاد الإبازة.أما الفرنسيون فلم يأتوا لإزالة دينكم وإنما ليخلصوكم من الظالمين. والفرنسيون أكثر إيمانًا بالله من المماليك. ثم إن الفرنسيين مسلمون مخلصون له ولكتابه ورسله.. والناس جميعًا سواسية لا فرق بينهم إلا بالعقل. وأرض مصر ليست ملكًا للمماليك.. وإلا فليعرضوا علينا الحجة التي أعطاها لهم الله لامتلاك هذه الأرض ومن عليها.

مثل هذه العبارات الحلوة قالها الأمريكان قبل دخول أفغانستان والعراق ولايزالون يقولونها.. وعندهم ما هو أجمل من ذلك فلننتظر!

أنت وأنا نـأكل وبس.. لكن هنـاك من يعد علينـا اللقمـة واللحمة والأرز والسمك والخضـار.. ويقول هذا طعـام أنثوي.. أي يضـاعف الأنوثة.. وهذا طعـام ذكوري يقوي الرجولة.. والصحـة هي أن تعـادل بين هذين النوعين من الطعـام.. كيف؟

الأكل له سبع طرق:

أولاً: الأكل الآلي. وهو الذي يمـارسه الجنين في بطن أمه.. أو كمـا تفعل أنت عندمـا تدخل البيت وتتجه إلى الثلاجة وتـأكل مـا تجده.

ثانيًا: الأكل الحسي: بـأن تستسلم لرائحة الطعـام أو لونه وتمد يدك وتـأكل حتى لو لم تكن جائعًا.

ثالثًا: الأكل العاطفي: عندمـا تجلس إلى الأصدقـاء مفتوح النفس وعلى ضوء الشموع والموسيقى.

و99٪ من النـاس يـأكلون بإحدى هذه الطرق أو بهـا جميعًا.

رابعًا: الأكـل العقلاني: أي الـذي يجيء عن تعليمـات الطبيب.. ويتبعهـا المثقفون.. وقد تكون هذه الأطعمة مكلفة أكثر.. وربمـا ضـارة أيضًـا.

خـامسًا: الأكل الاجتمـاعي: كـأن يفرض الإنسـان على نفسه طعـامًا بقصد الاقتصـاد في الطعـام لمساعدة الآخرين.. ويكون ذلك في الدول الشمولية التي تفرض على شعبهـا الكم وليس الكيف.

سادسًا: الأكل الفكري أو العقائدي: أي وفقا للعادات الغذائية في بلد من البلاد.. وغالبًا ما يكون هذا الطعام ناقصًا في عناصره الغذائية المفيدة.

سابعًا: الأكل الحر: ولا يعني أن تأكل وتشرب أي شيء.. فوضى.. بل أن تأكل بحرية وأن تتوافق مع النظام البيئي.

صاحب هذه النظرية في الطعام والوجبات هو الخبير الياباني بتشو كوشي في كتاب عنوانه «الاستشفاء الطبيعي بالماكرو بيوتك» من ترجمة د. أسامة صديق مأمون.. وهو أول كتاب موسوعي في اللغة العربية عن الوقاية والعلاج والحياة والغذاء بالوصفات الطبيعية.. يهمك أن تقرأ الكتاب أو يجب أن يهمك لأنه يحدثك عن: صحتك!

مصـــورة هتلـــر

في أسبوعين توفيت سيدتان قيل إنهما عشيقتان لهتلر - وهتلر إن كنت قد نسيت - كان زعيمًا نازيًا حارب الدنيا حتى انقلبت عليه وعلى الشعب الألماني، وقيل إنه عبقري شرير... السيدة الأولى هي زوجة الزعيم النازي البريطاني موزلي، والثانية الأهم والأخطر هي ليني ليفنشتال (101 سنة) وهي المخرجة المبدعة لأفلام النازية، وهي التي خلدت النازية وهتلر، وقد صورت في أروع الأفلام التاريخية قيام النازية في ألمانيا في فيلمها الشهير (انتصار الإرادة) كما صورت الألعاب الأوليمبية التي أقيمت في برلين بعنوان (أوليمبيا)، وفي الفلمين إشادة بالعظمة الألمانية والتنظيم الرائع وتمجيد لهتلر الذي قالت عنه: إنه أجمل وأعظم رجل في التاريخ، وإنها اقتربت منه جدًا فلم تجد فيه عيبًا واحدًا، وإن الشعب الألماني معذور إذا عبده حيًا وإذا كان لايزال يعبده سرًا.

وهي التي سجلت الوثيقة التاريخية للحشود العسكرية الألمانية والعروض الخرافية و(مشية الإوزة) التي تجعل الشباب الألماني يدق الأرض ويزلزل المشاعر، ويدور حول (نصف إله) اسمه هتلر.

وبعد سقوط ألمانيا والنازية هاجموها بعنف، وسألوها إن كانت نازية، فكان جوابها: أنا فنانة فقط.. عايشت أحداثًا فريدة وسجلتها، ولم يكن من شأنها أن تستغرقها السياسة، ولكنهم - سألوها - كيف

صورت كل هذا الجنون الألماني ولم تكوني مؤمنة به.. وكان جوابها: أي فنان يعيش في حدث عظيم كهذا لابد أن يصاب بالجنون إذا لم يسجل ذلك، وإذا لم يمت في سبيله.

وسألوها إن كانت عشيقة لهتلر، فأنكرت تمامًا، وقالت: لو أراد هتلر ملايين الجميلات في ذلك الوقت لركعن عند قدميه.

وقالت أكبر دليل على أن الفن هو الذي أطال عمرها، أن أحدًا لم يسألها إن كانت تؤمن بالنازية. ثم إنها يهودية، اليهودية الوحيدة التي لم يفكر أحد في قتلها.. لا لقربها من هتلر، ولكن لموهبتها الفنية في التصوير والإخراج، لقد ماتت في بيتها في (هوليوود) محترمة من كبار الفنانين محتقرة من الصغار.. فالفن أنقذها من الموت، وأنقذ من النسيان الكثير من الأبهة النازية.

هل الإسلام هو الذي يدفع المؤمنين به إلى العنف؟ هل هي المسيحية؟ هل اليهودية؟ إن أبناء الأديان الثلاثة قد وضعوا أيديهم على الزناد يطلقون النار: مدافع وصواريخ وقنابل بشرية وطائرات.. إنهم المسلمون في أفغانستان والشيشان والمسيحيون والملحدون الروس واليهود في إسرائيل. وهم جميعًا في حالة حرب.. ولكن من الذي يعتدي على من؟ إن الذين يدافعون عن أرضهم هم المعتدى عليهم، وهم المسلمون. فهم يحررون أرضهم من الاحتلال في فلسطين، وفي الشيشان، وفي أفغانستان، وفي العراق.

والأمريكان وإسرائيل يرون أن البرامج الدينية في المدارس العربية هي التي تغرق الطلبة الصغار في التعصب الديني وكراهية أبناء الديانات الأخرى.. ويرون أن الجرعة الدينية في كل المدارس تجعلهم يؤمنون بالخرافة ويؤمنون بالدين الواحد.. وأنهم في حالة من الحرب إلى أن تسلم الكرة الأرضية - هم الذين يقولون ذلك ويفترون على المسلمين والإسلام. والشائعات كثيرة من المحيط إلى الخليج، ومن البحر إلى النهر. وقالوا إن الدول العربية قد سارعت بتغيير مناهج التعليم وحذف المواد الدينية المكثفة من الكتب؟!

أما الشيء العجيب الذي أدهش المستشرق الألماني المسلم مراد هوفمان فهو الموقف السلبي للأمة الإسلامية. كيف يرون ويسمعون

ويسكتون؟ كيف يملكون كل هذه الأموال، والآبار، والشبكات، والفضائيات، ولا يبرئون دينهم الحنيف من هذه الأكاذيب؟! الواجب على المسلمين أن يذهبوا إلى خصوم الإسلام بنفس الطريقة: بالتليفزيون، والإذاعة، والكتب. وباللغة التي يفهمها الغرب.

إن رجلين استطاعا ذلك هما: الرئيس عزت بوجوفيتش رئيس البوسنة، والسفير الألماني مراد هوفمان. فما كتبه بوجوفيتش عن الإسلام تحفة وعظمة عقلية.. لقد كتب للغرب بلغتهم بمنطقهم بأسلوبهم العلمي.. لا خطب، ولا مواعظ، ولا خرافات.. وكذلك السفير هوفمان الذي تناول قضايا الإسلام، وجوهره بالحجة، والفلسفة، والوضوح. إن هذين الرجلين وحدهما وبإيمانهما يعادلان كل ما فعلته الجامعات والمعاهد الإسلامية في عشرات السنين!

هل نحن أحسن حالاً من الحيوانات أو الحشرات الأخرى؟ إننا وهذه الحيوانات لم نغير من الأسلوب الذي نعيش به: ذكرًا وأنثى من أجل أن تستمر الحياة. إننا لانعرف أسلوبًا آخر.. فالحب والهيام والعذاب والدموع كلها من أجل أن يقترب واحد من واحدة ويقولان شعرًا ويتزوجان ويجيء مولود واثنان وثلاثة. وتستمر الحياة. فكأن مأساة الحب والعذاب ليست إلا مقدمات من أجل أن تستمر الحياة. والحياة تلجأ إلى حيل كثيرة حتى يتحقق ذلك. ويجيء القانون يمحي هذه العلاقة من أجل المولود.. أي الطفل! أو الحلقة الجديدة في سلسلة الحياة على سطح الأرض التي تبدأ بالعاطفة المشتعلة وتنتهي بالغريزة. وبس!

ولكن في عالم الحيوانات هناك أساليب أخرى. ففرس البحر مثلاً تقوم أنثاه بوضع البيض. ويقوم الذكر بحمل البيض وتلقيحه. وفي هذه الفترة تكون الأنثى تلعب بذيلها مع ذكر آخر. فاذا فرغ الذكر الأول من عملية الحمل والحضانة والتلقيح وجاء يبحث عن الزوجة طردته وسلطت عليه ذكورًا أخرى!

وفي عالم العناكب والعقارب وفي حالة اللقاح تقوم الأنثى بابتلاع الذكر قطعة قطعة.. وتكِّوم بقايا الذكر طعامًا لصغارها عندما يخرجون من البيضة. وهناك أنواع أخرى من العناكب قد

تعلمت في ملايين السنين كيف تحمي نفسها من الأنثى الشرسة التي تأكل زوجها من أجل أبنائها، فعندما يقترب الذكر من الأنثى فإنه يلفها لفًا خانقًا بخيوط قوية حتى لا تلتهمه!

أما القواقع فحكايتها حكاية.. إن الواحد منها يتحول إلى ذكر ثم أنثى أربع مرات في السنة.. مرة يضع البيض ثم يجيء ذكر آخر يلقح البيض.. ومرة يكون ذكرًا فيلقح بيض أنثى أخرى. لماذا؟ وكيف؟ وما المعنى؟ وما الحكمة؟ كلها أسئلة لا جواب لها.. وإنما هي الحياة أو غريزة البقاء تختار أساليب لا نهاية لها لكي تستمر.. الحشرات والحيوانات والإنسان. بعض علماء السلوكيات يقولون إننا لو تعمقنا في سلوكيات الحيوانات والحشرات حولنا لوجدنا أنها وأننا نخضع جميعًا لقوانين أبدية صارمة.. وإن هناك شبهًا كبيرًا بيننا!

وكان أستاذنا العقاد يقول: الهنود معهم حق أو شيء من الحق.. فهم يرون أن روح الإنسان كانت قبل ذلك تسكن حيوانًا. والحيوان مات.. وانتقلت الروح إلى جسم إنسان وقد احتفظت ببعض صفات الحيوان.. وعلى كل واحد منا أن يبحث عن أصله. وذلك بأن يخطف رجله إلى حديقة الحيوان وسوف يرى حكمة ربنا التي لا حدود لها!

سلامــة النــاس!

على علب السجائر تحذير بأنها ضارة بالصحة هذا مؤكد. ومع ذلك فعدد المدخنين لم ينقص. إما لأن الناس قد اعتادوا عليها. وإما لأن الناس زهقت من تحذيرات الأطباء. وإما لأن الناس يحرصون على حريتهم ومزاجهم الشخصي وهم أحرار في اختيار السرعة المناسبة في ذهابهم إلى القبر..

وكذلك التليفون المحمول ضار بالصحة وبالذاكرة – هذه حقيقة مؤكدة – ولم تلجأ شركات المحمول إلى أن تكتب على كل جهاز نفس العبارة المطبوعة على علب السجائر. فلايزال المحمول متعة وموضة وإثارة. وفي الصحف الإيطالية أن الشعب الإيطالي يستخدم أكبر عدد من المحمول في العالم، ومعظم الناس عنده جهازان. وقد أدى هذا الجهاز إلى أكبر نسبة من الطلاق. فقد ضبطت الزوجات خيانة أزواجها بالأرقام والرسائل الموجودة على المحمول عندما نسى الأزواج أن يمسحوها. ولم يؤد ذلك إلى تناقص عدد الأجهزة في إيطاليا. فالناس يصرون عليها، وهم أضعف كثيرًا من مقاومة إغراء هذه الأجهزة التي تخرب البيوت!

وأخيرًا سوف تصدر وزارة الصحة البريطانية تحذيرًا رسميًا عن (الوشم) الذي يظهر على أجسام النساء والرجال. وأن هذا الوشم من الممكن أن يؤدي إلى السرطان والإيدز والكبد الوبائي. فالأصباغ

المستخدمة ـ والمفروض أن تدخل الجسم عن طريق الإبـر التي نغرزهـا فـي الطبقة الجلدية الرقيقة دون دخولها مباشرة إلى الشعيرات الدموية ـ هي مواد سامة.. ويرى الأطباء أن الإسراف في تعاطي العقاقير الكيماوية ضار جدًّا. ومن الممكن أن تتفاعل بعضها مع بعض فتكون النتيجة مـواد جديدة ليست في حساب الطبيب أو المريض..

وقد حذرت وزارة الصحة البريطانية وأعلنت أنها سوف تضع قيودًا على الذين يستخدمون الأدوات غير الطبية أو غير المعقمة في الوشم.

وفي كل هذه الأحـوال تحرص الدولة على سلامة النـاس. لأن مرضهم يربك مسار الحياة والإنتـاج ويهدم الأسرة. وإن كانت بعض الـمـواد المستخدمة فـي الصبغة نباتية مثل الحنـاء والجاوي الإندونيسي. وهي ليست ضارة. وإنما الضرر يجيء من الإبر التي تخرج من جسم وتدخل جسمًا آخر دون تطهير أو تعقيم. وإن الذين يضعون الوشم يجلسون على الأرض أو في الحـانات أو المواخير.. والنتيجة: لا للحكومة.. فلا غنى عن السجائر والوشم والموبايل!

مفلس تمامًا!

رغم اعتذاري عن عدم الكتابة في كرة القدم، ولكني تناولت الجانب الإنساني. فقد رأيت في انهيار ملك الكرة البريطانية دافيد بكهام الذي خابت وطاشت ضرباته إلى الهدف مرتين. وهذا ما لايفعله واحد من طفليه الصغيرين. ولكنه خيب آمال الإنجليز واعتذر بأنه لم يكن في لياقته. ولكن لماذا؟ هذا هو السؤال الذي تبحث عنه عند زوجته المجنونة وحماته الشرسة ثم جشعه هو إلى المال وخناقاته حتى الصباح. وبدأت تنصرف عنه شركات الإعلانات والجماهير التي مزقت صوره لأنه مسح ببريطانيا أرض البرتغال.

وطالبت بأن يكون دافيد بكهام موضوعًا للدراسة والبحث. حتى لا يرتكب أحد حماقاته. وقلت إنني ألفت الأنظار إلى النجم الصاعد وين روني (18 سنة) الذي من الممكن أن يلقى نفس المصير.

وصح ما توقعته، فقد صدر كتاب في بريطانيا لأعظم لاعبي كرة القدم الإنجليز بول جاسكوان(37 سنة) الشهير بجازا. الكتاب عنوانه: قصتي كما حكيتها لهنتر دافيد في 354. والعجيب أنه أهدى هذا الكتاب للاعب الصاعد وين روني. لماذا؟ لأنه يرى شبابه في هذا الشاب الصاعد كالصاروخ وقال أيضًا: إنني أخاف عليك فقد صرت عالميًا من أول لحظة!

وقـال جـازا: إن رونـي نسخة مصغرة مني وأنـا أخـاف عليه أن ينزلق بنفس سرعة صعودي، كما انزلقت أنـا.. فـأنا أعيش مفلسًا وورائـي مـاض عظيم قصير!

وكـان جازا صـانـع ألعـاب خط الوسط. ويقول النقـاد: إن الملاعب لم تشهد مثل جازا في هذه المنطقة..

ويحكي عن عذاب أسرته. وكيف أن والـده من الطبقة العاملة. العاملة يومًا والعاطلة يومين. وأنه تركه وأمه وسافر إلى ألمانيا يبحث عن عمل ونسيهما تمامًا. وقد ظهر الاضطراب العصبي على جازا وهو صغير. وأدخلته أمه أحد المستشفيات العصبية. وأدمن الخمر وقابل بنت الحلال وكانت غنية جدًا وطلقها ودفع لها مؤخر صداق ثلاثة أرباع المليون وترك لها قصرين وأقام في شقة صغيرة مفروشة. وهو مفلس تمامًا. ويقدم مأساته عبرة وعظة لكل شاب يريد أن ينجح طويلاً في بريطانيا أو في أي مكان من العالم!

إنهـــا المنشطـــات..

هذا منظر نراه كثيرًا: عربجي حنطور يضرب الحصان بـالكربـاج، ويبـالـغ في ذلك إذا كـان يريد أن يصعد مطلعًا.. ويحـاول الحصـان قدر استطاعته.. ويفلح. ثم بعد ذلك يسقط ولا يكمل المشوار..

الطلبة في أثناء الامتحانات يتعاطون المنبهات لكي يسهروا. يسهرون ولايقدرون على التركيز. وبسبب المنبهات والإرهاق فإنهم ينامون في أيـام الامتحانات أكثر من الأيـام العادية. فالمنبهات كانت مثل الكرابيج على أعصابهم. فقد انهد حيلهم. وسقطوا..وقد اكتشف الأطباء أخيرًا أن مادة ستروريد – ومشتقاتها التي يتعاطاها الرياضيون قبل المباريات الكبرى في كأس العالم أو الدورة الأوليمبية تنشط اللاعب وتعطيه مزيدًا من القوة لأنها تضاعف التمثيل الغذائي في الجسم. وبعد أن يفرغ كل ما لديه من طاقة يصبح عرضة للإصابة بأمراض كثيرة. لأن المنشطات تضعف جهاز المناعة في الجسم الإنساني. وإضعاف المناعة مثل الزيادة الشديدة في نشاط جهاز المناعة يؤدي إلى أمراض خطيرة ليس أقلها: السكر والإيدز والذئبة الحمراء والكبد الوبـائي..

وكـان تفوق الرياضيين من روسيا وألمانيا الشرقية مدهشًا ومذهلاً. ولكن الأمريكان عندما استولوا على وثائق المخابرات الألمانية الشرقية (شتاسي) عرفوا أن لديهم منشطات لا تظهر في تحليل الدم. وعرفوها وأجروا عليها تحاليل جديدة. فانكشفت.

وقد حدثنا أديب روسيا العظيم تولستوي عن أساطيرهم، من بينها السباق بين الفرسان من شروق الشمس إلى غروبها. السباق هو أن تركب حصانًا وتجري به من الشروق وتعود إلى نقطة البداية قبل الغروب. فتكون الأرض التي قطعتها ملكا لك. ولكن الذي يحدث ويسبب طمع الفرسان فإنهم يضربون خيولهم بالسياط لتجتاح أرضًا كثيرة ولكنهم يفشلون في العودة قبل الغروب بسبب إرهاق الخيول بالضرب والجري..

وقد عدل علماء الفضاء من استخدام المنبهات والمنشطات لرواد الفضاء.

فقد كانوا أول الأمر يريدون الرواد أن يناموا ساعات قليلة، فهم في سباق مع الزمن ومع التكاليف الباهظة. فعدلوا عن ذلك عندما أصيب عدد من الرواد بالجنون والرياضيين والطلبة أيضًا!

كفاية طبيبات حتى لا تنهار مهنة الطب – لم يقلها رجل وإنما قالتها أكبر طبيبة في بريطانيا. عميدة الكلية الملكية للأطباء.. وهي ثاني سيدة تشغل هذا المنصب الخطير في 500 سنة. إنها الأستاذة د.كارول بلاك، وهي أيضًا أم لمرة واحدة.

وكان هذا التحذير من الزحف النسائي على مهنة الطب، وهي ليست عدوًّا للمرأة وإنما هي حريصة على علم وفن العلاج في أي مكان.

فقد لاحظت أن نسبة الطبيبات إلى الأطباء 65٪ ومن أربعين عامًا كانت 29٪... وترى أن توقف هذا الزحف – ولكن لماذا؟

لأسباب كثيرة من بينها أن الطبيبة إذا كانت زوجة أو زوجة وأمًّا أيضًا فهي لا تستطيع أن تتفرغ تمامًا وإنما بعض الوقت... وبذلك تتفادى أعمالا طبية تقتضي العمل ساعات وأيامًا مثل الجراحة والأمراض الجلدية والجهاز الهضمي... وقد ثبت مئات المرات أن الطبيبة إذا خيروها بين الطب والزواج اختارت الزواج.. وإذا خيروها بين أن تكون أمًّا من زواج أو من غير زواج وبين مهنة الطب اختارت الأمومة.

وهذا الزحف النسائي على الطب جعل الرجال ينسحبون، فهم بتكوينهم يقاتلون وينافسون. وعندما زاد عدد الطبيبات اختفى هذا

الجو التنافسي، وليس كل الطبيبات يرقين إلى مستوى الأطباء الممتازين، صحيح هناك طبيبات متميزات، ولكن عددهن قليل، وكان من نتيجة انسحاب الأطباء الكبار السبب في استيراد أطباء أجانب من بلاد كثيرة.

وتقول د.بلاك إن التجربة الروسية واضحة: فمهنة الطب والتدريس وكنس الشوارع تحتلها المرأة، دون أن ينافسها رجل في ذلك. فالمرأة قادرة على أن تؤدي جانبًا من هذه الأعمال ولكن دون التفوق فيها!

وفي كثير من الأحوال فإن المرأة المريضة تفضل الطبيب الرجل الذي تفوق في كل الفروع؛ ولذلك نجح الأطباء أصحاب العيادات الخاصة، وهناك اتجاه إلى منح الرجل مرتبًا أكبر لكي يبقى إلى جوار الطبيبة منافسًا لها وحافزًا على التفوق. إنها ليست دعوة رجل وإنما تحذير امرأة متفوقة على الرجال في عالم الطب!

أوهـام صدقناهـا!

من الذي أفسدنـا؟

من الذي جعلنـا نؤمن بـأن كل نـاجح غشـاش، وكل غني لص.. وأن الإنسان يجب أن يكون له أكثر من عمود فقري.. عموده الفقري و(الواسطة).. فلا نجاح ولا فلاح ولا مستقبل لمن ليس له (ظهر).. لمن ليس (واصلاً) موصولاً مسنودًا.. للذي لا يفتح مخه!!

من الذي أقنعنا بأن مصـر (أم الدنيا).. وبما أننا أولاد مصـر فنحن سادة الدنيا.. دون أن نسـأل أنفسنـا عن معاني هذه الكلمات الكبيرة.

إن مصر من أقدم الحضارات وليست أقدمها.. فمن حق العراقي والسوري والصيني والهندي واليونـاني أن يقول - ومعه حق - إنه أصل الحضارة القديمة.. أو أحد الأصول.. وليس الأصل الوحيد!

وهل لو قلت إن جدي كان غنيًا أو كان عبقريًا، يكون ذلك دليلاً على أنني كذلك؟ إن أجداد العباقرة الذين نعرفهم لم يكونوا كذلك.. ولا أولادهم ولا أحفادهم.. من هو جد أينشتين؟ إنه صاحب مصنع صغير.. من هم أولاد وأحفاد شكسبير وشوقي والعقاد ودافنشي؟

ولكننـا - مع الأسف - صدقنـا نحن أن مصر أم الدنيـا.. وأننـا نحن الدنيا لأنها أمنـا.. وأغمضنـا عيوننـا عن شعوب بدأت أمجادهـا العظمى معنا وسبقتنـا قرونًا عديدة.. وليست دولاً أوروبية ولا أمريكية.. وإنما

هي دول آسيوية.. وهي منافسة بعنف لليابان دولة الإبداع اللانهائي في كل مجالات الاختراع.

فاليابان وكوريا الجنوبية والملايو وسنغافورة والهند والصين يؤكدون: أنه لا توجد معجزة وإنما يوجد سر الكون كله فوق أكتافنا هنا.. ففي هذا الدماغ الصغير تتولد شرارة الإبداع وتتواصل مسيرة العبقرية الإنسانية.. ولكننا في ضجيج الهتافات والمظاهرات والمشاحنات بالروح بالدم نفديك يا أي إنسان.. نسينا أن لنا رءوسا وعقولاً!!

فالبداية فوق كتفيك.. ثم لا تحدثني عن أبيك وأجدادنا!

طبيعــة لا تتغيــر!

هل لو واحد شرير سافل كان يسكن الطابق الأرضي فنقلناه إلى الطابق العشرين، تفتكر سوف يعتدل سلوكه في بيته وبين الناس؟ هل لو انتقل واحد من الريف إلى المدينة، فما الذي يغير طبيعته.. هل لو ترك القاهرة إلى شواطئ الإسكندرية.. هل لو هاجر إلى أمريكا.. إن الانتقال من مكان تحت إلى مكان فوق، أو الحياة من الصحراء إلى شواطئ البحيرات لا يغير طبيعة الإنسان؟!

لقد توهم الأوروبيون ذلك عندما هاجروا إلى أمريكا وأستراليا.

ماذا حدث بعد طوفان نوح عليه السلام.. إنه دعا على قومه﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ وجاء الطوفان وأغرقهم جميعًا.. وجاء خلق جديد بنوح وأولاده.. وجاء من بعد نوح أنبياء كثيرون. فكان ذلك دليلا على حاجة بني آدم إلى الهداية..

إن جريمة اغتصاب وقعت في المدينة المدارية التي تدور حول الأرض يوم الكريسماس، فقد حاول رائد فضاء روسي مخمور أن يعتدي على رائدة الفضاء الفرنسية لولا تدخل الرائد الياباني!

ولذلك فلو انتقل الإنسان إلى أي كوكب آخر.. إلى القمر الذي هو تابع لكوكب الأرض.. أو لكوكب المريخ أو لأحد أقمار كوكب المشتري فهل هذا الارتفاع.. هذا السمو، هذه العزلة المخيفة.. هذا المعنى

الرفيع، هل يؤدي إلى أن يكون الإنسان ملاكا.. عادلاً رحيمًا سالمًا ؟

إن الإنسان يتغير من داخله، فإذا تغير من الداخل، استطاع أن يغير ما حوله.. وليس أسهل من أن يشتري رجل غني أفخم سيارة أو طيارة. ولكنه سوف يحتاج إلى وقت طويل لكيلا يلقي السيجارة من النافذة أو يبصق على الأرض..

والمثل اللاتيني يقول: الإنسان للإنسان: ذئب.. وكلب أيضًا!

..إلا هـــذه المدرســـة!

كان يا ما كان لنا أيام وليال في كواليس الأوبرا القديمة. أيام كان رئيسها الفنان الكبير سليمان نجيب والشاعر الكبير عبد الرحمن صدقي، والأديب صلاح ذهني ومدير المديرين شكري راغب. فعلى مسرح الأوبرا رأينا راقصة الباليه العالمية تمارا توما نوفا ومعجزة الباليه أولانوفا.. وغيرهما..

ويوم ذهبت إلى روسيا لأول مرة تمنيت أن أرى مدرسة الباليه في لننجراد (سانت بطرسبورج).. مدرسة كأي مدرسة للأطفال. ولكن أطفالها ليسوا كأي أطفال في الدنيا.. إنهم في رشاقة الإوز الأبيض.. لا نعرف إن كان يمشي على الأرض أو يطير فوقها.. وتتراوح أعمارهم بين الرابعة والسابعة.. عدد كبير.. إنه كنز الباليه في هذه الدنيا.

وأثناء الحرب العالمية الثانية كانت القنابل تنسف كل ما حول هذه المدرسة.. وكان الجنود الألمان يحرسونها.. أما أمريكا وبريطانيا وفرنسا فكانت ترسل لهذه المدرسة البطاطين واللبن والأدويـة. وكانت ألمانيا تبعث بالأطباء. والقوات الألمانية تجتاح المدينة وتقتل وتحرق وتحرم المواطنين من النوم والماء والطعام.. إلا هذه المدرسة. وكان من مفاخر الألمان في هذه الحرب أنهم هدموا وأحرقوا وجرفوا كل شيء حول المدرسة. وبقيت المدرسة رمزًا للمشاعر الإنسانية النبيلة، واحترامًا للفن والقيم الجمالية. ولم يتوقع

أحد من الألمان أن يفعلوا غير ذلك فلا شيء يعلو على الفن والأدب إلا حب الجمال في الكلمة والخط والنغمة..

إن أروع ما قدمت روسيا للعالم (فرقة البولشوي) التي تتأهل للظهور في ثوب جديد بإدارة شابة.. وأتمنى أن نرى في القاهرة باليه (بنت فرعون) المأخوذ عن (روميو وجولييت) والذي ظهر لأول مرة في بريطانيا العام الماضي للمخرج الإنجليزي دكلان دونلان - وهذا ما أعلنوه أخيرًا. وسوف نمسك أنفاسنا ونقف على أطراف أصابعنا تطلعًا إلى هذه الأبهة الفنية الروسية!

اللغـــة العربيـــة..

سألت عددًا من الأصدقـاء فـي إسرائيل: وأنتم تعلمون أولادكم أية لغة الآن ؟!

وكـان الجواب: اللغة العربية، هي اللغة الثـانية أو هـي اللغة الثـالثة.

المهم أن يتكلموا العربية فإسرائيل دولة شرق أوسطية. وأنهم يجب أن يتعايشوا لا أن يقفلوا البـاب والشبـاك في وجه كل ما هو عربي. فلابد من السلام مع العرب في السنوات العشر القـادمة أو في هذا القرن.. لابد من السلام لتكون حيـاة.. ولا سلام بغير عدل فيأخذ كل ذي حق حقه.. وكفـانـا جوعًا وخرابًا ودمًـا!

وقد قرأت استفتـاء لصحيفة (إندبندايت) الإنجليزية عن الإقبـال على دراسة الشرق الأوسط واللغة العربية واللهجـات أيضًـا.

فجـاء في الاستفتـاء أن عددا متزايدًا من الطلبة اتجهوا إلى دراسة الشرق الأوسط. وأنهم تحولوا في بريطانيا عن الاهتمام بأمريكا وآدابها وتاريخها. واتجهوا تمامًا إلى الشرق العربي والشرق الأوسط الأكبر حتى إيران وباكستـان وأفغـانستـان..

وجـاء في الاستفتـاء أيضًا أن معـاهد في بريطانيا اعتذرت عن عدم قبول عدد من الطلبـة المتفوقين. فلم تعد هنـاك أمـاكن. وأعلنت هذه المعـاهد المتخصصة عن حـاجتها إلـى أسـاتذة كبـار ومستشرقين وعلمـاء وأدبـاء عرب..

ونحن أولى من كل هؤلاء.. فحاجتنا إلى أن نعرف عالمنا العربي أكبر وأكثر ضرورة. بل حاجتنا إلى أن نعرف بلادنا أيضًا.

والذي نراه على التليفزيون المصري يوجع القلب، فقد اعترف شباب من الجيزة بأنهم لم يروا الهرم - وهوه حيروح فين وإحنا وراه والزمن طويل - وهي نكتة سخيفة تدل على أن صاحبها لا يستحيي من جهله!

ويكفي أن تسمع طالبًا جامعيًّا يقول إن (طابا) مساحتها ستون كيلو مترًا.. أو من يقول: لا بل عشرون كيلو مترًا!

تصور - مع أن مساحتها أقل من كيلو متر مربع؟!

إنهـا حكايـة طويلـة

قارئة ظريفة كتبت تقول: قـرأت كتـابك (كيف لا أبكي) – ولم أصعب عليها؟! وإنما سألتني إن كنت على استعداد أن أبادلها: بالهرم الذي أتربع عليه وشهرتي ومجدي ومش عارف إيـه، وأن تعطيني وحدتها وحزنها على أخ مات وعلى أب مات بسبب الأخ الذي مات!

ولكني يا سيدتي لا أستطيع أن أبادلك فقد مات لي أضعاف من مات لك. وذهبت في الدنيا طولاً وعرضًا وعمقًا وبعدًا رابعًا هو الزمان الذي يلعب بكل الأبعاد وكل الناس كتابًا وقراء يعيشون وحدهم أو مع الآخرين!

وقارئ من كندا ظريف (د. شوقي شاروبيم) أيضًا. يقول إنه قرأ كتابي (كيف لا أبكي) – ولا أعرف لماذا هذا الكتاب بالذات مع أن لي أكثر من مائتي كتاب. يقول: والله يا سيدي ما عندي مانع أبكي وأستعير دموعًا من بنوك العذاب والدموع ولا أرد هذه القروض. ولكن أعطني فرصتك في رحلتك حول العالم في 200 يوم ثم أؤلف عنها هذا الكتاب الذي غير مسار حياتي وملايين الشبان أيضًا. ففي بيتنا ست نسخ من (حول العالم) للأخوة والزوجات. تصور يا أستاذ ويبكي؟ أمال أنا أعمل إيه؟. لقد خاب أملي في كل شيء وكل أحد.. وانسدت نفسي عن الدنيا المصرية فطفشت إلى الدنيا الكندية!

ولكن القراء الأعـزاء لا يعرفون كل القصة.. إنها حكاية طويلة موجعة. ولا أريد أن أوجع أحدًا يكفي الناس ما لديهم. وليسوا في

حاجة إلى دموع الآخرين..وليس غريبًا أن يبكي أي إنسان.. سواء كان كاتبًا أو لم يكن. فمن الطبيعي أن تكون له دموع على خده. والكاتب أكثر دموعًا لأنه أكثر حساسية ولأنه عادة

لا يتوارى.. لابد أن يصفها.. أن يعبر عنها.. أن ينقلها إلى القارئ لا لكي يحنن قلبه.. وإنما هو كالمطرب وكالرسام يريد أن يقول وبأعلى صوت: آه.. بصورة جميلة. وبس.

فالطرب والشجن هو (الآه) على كل مقام وكل سلم موسيقي.. لا لأن المطرب موجوع ولا علاج له.. وإنما لأنه يريد أن يقول وأن يشترك الناس معه في (آه) أجمل من آهات الناس.. إنه يعلم الناس أن يقولوا (آه) بصوت أبرع ولحن أروع – وفي ذلك شفاء له ولهم!

بسبب دقات قلب الأم ينام الطفل في بطنها. وبعد أن يولد فإنه يحب أن يستمع إلى موسيقى هادئة لها نفس الإيقاع.. وهناك تجربتان: الأولى أن الأطباء ينصحون بأن تستمع الأم الحامل إلى موسيقى هادئة ليعتادها الجنين. فإذا خرج إلى الحياة طلب هذه الموسيقى ليسترخي على صوتها وصداها.

أما التجربة الثانية فهي التي قام بها مستشفى الولادة (كوزلاش سانش) في سلوفاكيا منذ ثلاثة أشهر. وضعوا على آذان الأطفال حديثي الولادة سماعات تذيع موسيقى موتسارت خمس مرات في اليوم.. وقد وقع اختيارهم على المقطوعة الشهيرة باسم (معزوفة ليلية صغيرة).. وجدوا أنها أجمل وأرق ما أبدع الإنسان..

وفي دراسة شاملة بجامعة برلين اكتشف العلماء أن موسيقى موتسارت هي الأعظم وهي الأقدر على إسعاد الطفل وتحقيق السلام والانسجام. وكان بعض الأطباء قد اختار (هدهدة) الموسيقار برامز.. وكذلك (الفصول الأربعة) للموسيقار فيفالدي. ولكن مقطوعة موتسارت أثبتت أنها هي صانعة المعجزات. وإذا كان بعض الأمهات قد اعتدن إسماع الأجنة في بطونهن موسيقى هادئة، فلماذا لا يسمع الأطفال ذلك وهم خارج الرحم؟

وبعض الأمهات كن يعزفن على بعض الآلات الموسيقية في أثناء الحمل. ولكن الأطباء يفضلون الموسيقى التي تعزفها الأوركسترا فهي أهدأ وأكثر انسجامًا وأنعم إيقاعًا..

وهناك عبارة شهيرة حكيمة تقول: أعطني زمام الموسيقى في أي بلد، وأنا أعطيك شعبًا رقيق المشاعر محبًّا للانسجام والسلام.. وواضح جدًّا ماذا تقدمه لنا الموسيقى الناشزة والأغاني العارية وأثر ذلك في الصغير والكبير - إنهم في بلاد الحضارة يبدءون بما لم نستطع أن ننتهي إليه!

من أجل صحتك

أرجوك أن تأخذ هذا الكلام العادي مأخذ الجد. فهو ملخص عشر صفحات من مجلة (العلوم والناس) - عدد أغسطس - والهدف أن تكون في صحة جيدة ومزاج معتدل. وأن تقدم على الحياة كأنك تعيش أبدًا.

1- اضحك. فقد أكد العلماء أن الضحك شفاء. وأن النفس تصدأ إذا لم تضحك.

2- أسرف في تعاطي فول الصويا ففي ذلك وقاية للصدر والبروستاتا والقولون من مرض السرطان.

3- حاول ما استطعت ألا يزيد وزنك!

4- خمس دقائق أو عشر دقائق اجلس فيها وحدك وأغمض عينيك ولا تفكر في أي شيء!

5- اهرب من المدينة إلى الريف. فالذين يفعلون ذلك تكون أعمارهم أطول..

6- كن كريمًا.. أعط الناس. فالكرماء أطول عمرًا من البخلاء.

7- قم ببعض الألعاب الرياضية عشرين دقيقة كل يوم - في سريرك في بيتك في الشارع..

8- الذين يتناولون إفطارهم أصح من الذين يذهبون إلى مكاتبهم ومصانعهم على لحم بطونهم.

9- استخدم عسل النحل بدلاً من السكر على قدر استطاعتك..

10- قلل فناجين القهوة التي تتعاطاها يوميًّا. فالأطباء الهولنديون يؤكدون أن أقل الناس تعاطيًا هم أطول عمرًا..

11- كن مؤمنًا. فإن المؤمنين أطول عمرًا من الملحدين والمتشككين.. فالإيمان أعظم دواء للقلب والرئتين.

12- اشرب.. اشرب أكبر كمية من الماء يوميًّا.. لترين على الأقل.

13- لابد أن تنفعل ولو مرة واحدة. فالهدوء التام الطويل قاتل.

فقد أكد علماء النفس أن التوتر مرة واحدة يهز الجهاز العصبي وينشط وظائف أخرى في الجسم..

14- ابدأ يومك بكوب من الماء الدافئ: مع قطرات الليمون لتنشيط الجهاز الهضمي وطرد السموم - حكمة قديمة. ولكن هذا آخر ما اكتشفه العلماء..

15- أخيرًا. كن في حالة حب. فقد كشفت دراسات عديدة أن الذين يحبون لا خوف عليهم من الجلطة وتصلب الشرايين. وأن أكثر المصابين هم من الأزواج الفاشلين الذين يكرهون غيرهم وأنفسهم!

ولا نحتـــرم القانـــون..

كنت قد كتبت عن القضاء على حيوانات المحميات المصرية أو الحيوانات النادرة التي يحميها القانون. ونشرت هرالد تربيون الأمريكية موضوعًا عن القتل المنظم لهذه الحيوانات.. من وراء القانون أو أن القانون أغمض عينيه وأذنيه. وهذا ما حدث مع كبار الصيادين الوافدين من دول الخليج..

ومع ذلك فنحن المصريين لا نحترم القانون ولا الحيوانات الجميلة التي نوافق على القضاء عليها، بمقابل أو بلا مقابل.. وقد نبهني عدد من القراء إلى أن ما كتبته الصحيفة الأمريكية مأخوذ من مجلة مصرية تصدر بالإنجليزية هي (مصر اليوم).. وعدت إلى ما كتبته المجلة المصرية فعرفت ما هو أسوأ. وجدت مذبحة حقيقية. وعارًا قوميًا. ووجدت مواكب السيارات الضخمة الفخمة والخيام الأبهة ومولدات الكهرباء من أجل البقاء في الصحراء واغتيال الغزلان وغيرها من الحيوانات. فهل نحن بهذا الإهمال واللامبالاة وبهذه القسوة.. وهل هم بهذه الوحشية؟ إن عددًا كبيرًا من القائمين على حماية البيئة يعلمون ذلك. وقد قالوا ولم يسمعهم أحد.

ومن ألمانيا كتب (عليم وكريستنيا) عن قتل الحيوانات المصرية الجميلة وكيف نسكت على ذلك. ويحكي أن زوجته عندما جاءت إلى القاهرة ورأت الكلاب والقطط الضالة كانت تشتري لها الكباب والكفتة وتطعمها في الشوارع.. ثم عرفت بعد ذلك أن الحيوانات

الضالة بالألوف ولاتكفي لإطعامها كل محلات الكباب في مصر ولبنان. فكانت تجلس على الرصيف وتبكي!

يقول د. أمين حسان الدجوي إنه يملك مزرعة صغيرة. وفي يوم سمع كلابًا صغيرة تعوي فطلب من حارس المزرعة أن يوفر لها مكانًا دافئًا.

وفي اليوم التالي أسعده أنه لم يعد يسمع للكلاب صوتًا وسأل الخفير: هه.. وفين الكلاب الصغيرة؟ وأجاب الخفير: خلاص يا سعادة البيه.. أنا رمتها كلها في الترعة! منتهى القسوة. فلابد أن نزرع الرحمة وحب الحياة حتى لا نسكت على هذه المذابح للأشجار والحيوان في بلادنا..

الحديث النبوي الشريف معناه: أن امرأة دخلت النار لأنها عذبت قطة - لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من الشارع.. ونصف سكان مصر سوف يدخلون النار بسبب ذلك والنصف الثاني سوف يدخل النار لأسباب أخرى!

القبلات ممنوعة!

شيء عادي جدًا أن نجد مصوري وسائل الإعلام يطلبون من الزعماء أن يتصافحوا مرة أخرى. فيتصافحون وهم يضحكون. والمعنى أنها أصبحت صافية كاللبن. ورجال السياسة أعلم الناس بأن المصافحة باليد والقبلات لاتعني أي شيء، رجال السياسة لا قلب لهم، وجولدا مائير عندما رأت حرارة اللقاء بين اثنين من الأعداء هما السادات وبيجين، قالت عبارتها الشهيرة: إنهما لا يستحقان جائزة نوبل للسلام وإنما جائزة أوسكار للتمثيل – وقد حصلا على نوبل. وكل الزعماء يستحقون جائزة أوسكار...وقد حدث أن هجم بيجين على السيدة جيهان السادات فقبلها... وكانت توريطة، والتقط القذافي هذه الصورة ونشرها على أوسع نطاق. مع أن القبلات بين الأوروبيين عادية جدًا.

وقد حدث لأول مرة في تاريخ الدبلوماسية أن أرسلت وزارة الخارجية المصرية خطابات لكل الدول ترجو عدم تقبيل زوجات المسئولين المصريين!!

ثم المصافحة التاريخية للسادات وبيجين وكارتر في البيت الأبيض يوم 16 مارس 1979.

ومصافحة رئيس كوريا الجنوبية لرئيس كوريا الشمالية يوم 13 يونيو سنة 2000. وكذلك عرفات ورابين وكلينتون في البيت الأبيض

في 13 سبتمبر سنة 1993. ومصافحة الرئيس الأمريكي نيكسون والزعيم الصيني شوان لاي يوم 21 فبراير 1972.

ثم مصافحة الزعيمين الباكستاني مشرف والهندي فاجبايي يوم 6 يناير سنة 2002.

وعناق الرئيس مانديلا بعد سجن دام 26 عامًا والرئيس الأفريكاني دي كليرك يوم 18 اغسطس سنة 1990.

ومصافحة الرئيس الأمريكي ريجان في سويسرا للرئيس الروسي جور باتشوف يوم 19 نوفمبر سنة 1995. وكان موضوع المناقشة هو الحد من الأسلحة النووية وغزو روسيا لأفغانستان..

وآخر الصور العجيبة مصافحة رئيس وزراء بريطانيا توني بلير والعقيد القذافي في طرابلس في مارس الماضي!

أما الصورة الفظيعة فهي التي جمعت بين موشى ديان وحسن التهامي وأنا على مائدة عشاء في حيفا. مد موشى ديان يده لحسن التهامي قائلاً: سوف أرد على ما تنشره ضدي هذه الأيام. وقال التهامي: أنت كذاب! ومضينا نكمل العشاء!

هناك قضايا مؤجلة.. في مقدمتها قضية المياه من إثيوبيا ومن السودان.. وسوف تتعقد مشكلة المياه وتضاف إليها تهديدات ومشروعات.. ولكن حرب المياه أو حرب قطرة الماء هذه يعرفها الخبراء تمامًا. ويحمدون الله على أن الملايين لا تدري ولا تستوعب.. فمادامت تفتح الحنفية فينزل الماء أكثره في البالوعة.. تماما كما يفعل الفلاح: يفتح الماء وينام.. ويتدفق الماء في المصارف. وقد قام الخبراء المصريون والأجانب بتحليل ماء المصارف وتدويره – أي إعادته إلى ري الأرض بعد أن وجدوا نسبة الملوحة ضئيلة جدًا. فكأننا نبدد ماء النيل وإلى جوارنا إسرائيل والأردن وفلسطين ولبنان تضع الماء بالقطارة على جذور الأشجار!

وماء النيل قد نقلناه من أرضنا في إفريقيا إلى أرضنا في آسيا. ليجري بالقرب من حدود فلسطين وإسرائيل التي نشف ريقها من الماء المالح وطال لسانها يلعق الماء المتساقط من أنهار لبنان وسوريا.. وتتلهف على ماء تركيا..

وكان الرئيس السادات قد أشار وأثار حين طلب مني أن أنشر خبرًا كبالون اختبار ليعرف رد الفعل في مصر وإفريقيا وإسرائيل. فنشرت خبرا في مجلة (أكتوبر) أن الرئيس يتمنى أن يتوضأ شعب فلسطين من ماء النيل ويصلوا في المسجد الأقصى. فهاجت الدول الإفريقية وماجت ووقفت وقعدت لأن هذا يخالف اتفاقيات أعالي النيل.

ولكن لأن الفلوس قادرة على تحويل «لا» إلى «نعم».. فسوف تغير دول الحوض رأيها وقرارها!

وطلب مني الرئيس السادات أن أبلغه بردود الفعل في أية ساعة من ساعات الليل. وفي ساعة متأخرة جدًّا طلبت الرئيس لأقول له إن إحدى أعضاء الكنيست طلبتني تصرخ في التليفون: قل للرئيس السادات نحن لا نريد بلهارسيا من مصر!!

وضحك الرئيس وقال: بل سوف تركع لتشرب ماء النيل بالبلهارسيا والإنكلستوما أيضًا. وليست هذه هي المصيبة وإنما المصيبة أننا لا ندري بما سوف يحدث. وعندما يحدث سوف نقول: السادات قال!

ومن الحيوي والضروري أن نتجه ونتوجه إلى السودان.. ونستدرك ما فات.. والذي فاتنا كثير جدًّا!

حظك من السماء

من حين إلى حين أبحث عن الطالع والنجوم وحظك من السماء.. ولاحظت أن كاتب الطالع يجعله متفائلاً. ولكن الذي يقرأ الطالع يتوقف عند حظه هو دون أن يقرأ الأبراج الأخرى..

وتصادف أن جمعت ما تقوله تسع صحف عن حاضر ومستقبل برج الأسد - برجي أنا. ووضعت الصحف أمامي. ولم أجد اتفاقا بينها. فصحيفة جعلت البحر طحينة.. وصحيفة تتساءل أين البحر.. وصحيفة تجعل اليوم لا شمس فيه والليل لا قمر له.. وصحيفة تكدس الأموال ذهبًا وفضة أمامي وورائي.. وصحيفة تكتفي بالتحذير: خد بالك من شركاتك خصوصًا أموالك في البنوك.. وصحيفة تقول لك: عاوز نصيحتي: أرجو أن توزع أموالك بالعدل بين أولادك وأنت مازلت حيًّا. اشتر دماغك!

ونحن خمسة من برج واحد.. إخوة وأصدقاء وأقارب. وليس بيننا تشابه في أشياء كثيرة جدًّا. بل إن لي اثنين من أقاربي توءم ومن برج الأسد أيضًا. وهما مختلفان في أشياء كثيرة في السياسة والحياة والصحة والأولاد مع أن الفارق بينهما في النزول إلى الدنيا دقائق.. أعرف التوءم: توفيق عبد الفتاح وزير الشئون الاجتماعية وزكريا توفيق وزير التموين. وبينهما خلافات. أعرف التوءم مصطفى أمين وعلي أمين وبينهما خلافات. لقد ولدا في ساعة واحدة. ومات أحدهما قبل الآخر بسنوات.

ثم تذكرت أنني كنت أكتب (البخت) في كل الصحف التي رأست تحريرها: الجيل - هي- آخر ساعة- أكتوبر. وكان الكاتب الساخر أحمد رجب يكتب البخت في مجلة الجيل، وكنا نقلب النجوم.. فالذي نكتبه اليوم عن برج الأسد نجعله عنوانًا لبرج السرطان فلم نكن نعرف أحدًا يكتب لنا الأبراج. حتى عرفت (العبقري الفلكي) ليكتب البخت في آخر ساعة وشاركت في الدعاية له، وأضفت إلى اجتهاداته أشياء كثيرة من عندي لنلفت إليه وإلى المجلات عيون النساء والرجال..

ومع ذلك فقد طلع علينا أحد علماء الفلك البريطانيين يؤكد - علميًا - أن النجوم والكواكب لها أثر في حياتنا ومستقبلنا!

النحـــو مشكلـــة!

لا نهاية لشكوانا من أنفسنا: أخطاؤنا في الإملاء والنحو والصرف في كل الصفحات والبرامج الإذاعية والتليفزيونية كأن لغتنا العربية لغة أجنبية. ورغم هذه الأخطاء فإن أحدًا لا يلتفت إلى تصويبها، فنحن نعتاد الخطأ حتى يصبح قاعدة. وقد جاءت هذه الرسالة تعليقًا على ذلك: تأكيدًا لكلام سيادتكم فإنه قد تم حصر حوالي 200 خطأ إملائي في الصفحة الأولى لإحدى الصحف ونفس العدد تقريبًا يتكرر في باقي الصفحات (حوالي 2000 خطأ في الجريدة كلها)..

مما يعكس مدى الفوضى في استخدام اللغة العربية كأنه لا توجد لدينا قواعد لكتابة الهمزات والتاء المربوطة والياء.. وغير ذلك، ومن المعروف لدينا جميعًا أن معيار تقدم الأمم هو مدى حفاظها على لغاتها وثقافاتها وتمسكها واعتزازها بها وأن التهاون بشأن اللغة يعكس مدى تدني مستوى الدقة والإتقان في العمل والإنتاج بشكل عام. ولا يخفى عليكم مدى الفجوة الرهيبة بين الهيئات الحكومية والأهلية المعنية بالحفاظ على اللغة العربية والتطور الهائل في مجال تطبيقاتها، وتعتبر شركة (....) لبرامج الحاسب من شركات القطاع الخاص القليلة جدًا التي استثمرت في مجال أبحاث اللغة العربية وتطبيقاتها منذ عشرات السنين.. نحن ننتهز بكل الفخر والشرف هذه الفرصة لنجدد دعوة سيادتكم لزيارة الشركة للاطلاع مجددًا على أحدث أبحاثنا.

م. حمـدي سليمـان مبـارك

وكان صديقي المرحوم الشاعر اليمني عبد الله بن يحيى العلوي يشكونا ويبعث لي برسالة يوميًا عن أخطاء فادحة فاضحة في كل الصحف المصرية. وقد ضقت به. فأنا مثله حائر أمام هذه الكارثة القومية. ولكنه لم يسكت إلا بعد أن أشركته معي في برنامج في صوت العرب اسمه (شيء من الفكر). ونعيته للقراء. وهو لم يتكلم. وعندما انتهيت من الحديث سألتني المذيعة سهام صبري: من هذا الذي لم ينطق بكلمة واحدة؟ قلت: إنه الفقيد.. فقد تعبت معه فقررت أن أقتله وأنزل به إلى الشارع حيًا! ولم يسكت. فقد أصدر كتابًا جمع فيه كل الرسائل التي بعث بها وفيها كل عيوب وأخطاء الصحف ومحرريها وكتابها الكبار. وكان عنوان الكتاب: أنيس منصور.. آه منه وآه عليه.. أكلني نيًا ودفنني حيًا!

لا أعـوذ بالـلـه مـن أنــا!

كنت قد ناقشت العبارة الشعبية التي تقول: أنا ـ أعوذ بالله من كلمة أنا. وقلت: بل أعوذ بالله من اليوم الذي لا أقول فيه أنا أكلت أنا شربت أنا صليت أنا أحمد الله على كل شيء.. ثم إن الأدب هو (سيرة ذاتية) – أي يقول الكاتب أنا رأيت وأنا أحسست وأنا سعيد وأنا تعيس.. ومن غير هذه (الأنــا) لا أدب ولا فن.. على عكس العلوم.. فالعالم الرياضي لا يقول: أنا أعتقد أن 9=3×3 ولا يقول إحساسي أن الضوء سرعته 186 ألف ميل في الثانية.. لأن هذه قوانين أودعها الله في العلاقات بين الأشياء..

ثم جاءتني هذه الرسالة: أقدم هذه المداخلة وأنا غير متخصص في علوم الدين. فالمتتبع لآيات القرآن العظيم ولأحاديث الرسول الكريم لا يجد لهذه البدعة أصلاً ولا سندًا. فالقرآن العظيم يخاطب الرسول الكريم في آخر سورة (الكهف) بما نصه: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾ وفي سورة الأحقاف بما نصه: ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾. ورسولنا فيما ثبت عنه من أحاديث يقول: «**(أنا) النبي لا كذب، (أنا) ابن عبد المطلب**» ويقول أيضًا «**(أنا) سيد ولد آدم ولا فخر**» وهذه مواقف فخر واعتزاز من قبل رسولنا الكريم وهو أولانا جميعًا بالتأدب مع ربه لأنه القائل: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**». وهو بلفظ القرآن الكريم: ﴿**لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾. وختامًا فإنني أضيف أنني ناقشت

التاريخ في زجاجة

في كتاب (التاريخ في زجاجة) للكاتب السويدي أرتون تسيجلر يقول: إن عددًا كبيرًا من صرخات الاستغاثة جاءت متأخرة جدًا. هو يتحدث عن الزجاجات المغلقة والتي بداخلها رسالة استغاثة. وهذه الزجاجات يلعب بها الموج والعواصف فتصل أو لا تصل إلى الشواطئ بعد مائة أو مائتي سنة ويكون أصحابها قد ماتوا. ولكنها وثيقة تاريخية. ويذكر أن رسالة من هذا النوع قد أرسلها البحارة اليابانيون سنة 1714 يطلبون المساعدة العاجلة فسفينتهم توشك على الغرق. وقد وصلت الرسالة إلى شواطئ اليابان بعد 150 عاما!

وتحكي قصة غريبة أن أحد الإيطاليين كان يستحم في مياه شاطئ العجمي عندما رصدت عيناه جسمًا لامعًا. فسبح إليه. وكانت زجاجة وفي الزجاجة رسالة، والرسالة على ورق مصقول وبخط جميل، وصاحب الرسالة يقول: من المؤكد أن أحدًا لا يستطيع إنقاذنا. وإنما نحن قررنا أن نكتب أسماءنا لعل أحدًا يتذكرنا. وإذا تذكرنا أن يترحم علينا.. إننا فلان وفلان وفلانة على ظهر زورق صيد قادم من قبرص. وضربتنا موجة حطمتنا. والباقي من الزمن قليل.. أما تاريخ هذه الرسالة فيعود إلى فبراير سنة 1840 وبعد مائة سنة تمامًا اقتربت من شواطئ الإسكندرية!

وعلى شاطئ كوبنهاجن عاصمة الدنمارك في 13 نوفمبر سنة 1945 دفع البحر زجاجة تقول للشعب الألماني والشعوب المعادية

هذا الموضوع مع واحد من أفقه علمائنا فوافق فضيلته على مضمون هذه المداخلة.

دكتور علي علي خلف - أستاذ جامعي

ثم تلقيت من الأديبة سينا روصنم رسالة طويلة ترجمتها: أنا وجدت حلا لمشكلة (أنا) التي تضايق المتواضعين من الناس. وهي أن تنخلع قلوبنا فداء لمعداتنا وعقولنا.. فقلوبنا تضخ دمًا كرياته ثلاثة آلاف مليون مرة: ألف ونون وألف!

الإلـــه يانـــوس..

وقع خطأ مطبعي في مقال سابق فقد ظهر اسم الإله (يونـاس)، ولا يوجد إله بهذا الاسم في كل الأساطير، وإنما الاسم الحقيقي هو إله يانوس، ويجعلونه على شكل تمثال نصفي له وجهان.. واحد ينظر إلى باب الدخول وواحد إلى باب الخروج، إلى البداية والنهاية، وأحد الوجهين له لحية، وفي يده اليمنى مفتاح، وكان الرومان يستعينون بالإله يانوس لحماية مؤسساتهم، وفي زمن الحروب كانوا يجعلون أبواب معابده مفتوحة، لكي يتمكن من مساعدة القوات الرومانية، وفي زمن السلم يغلقون الأبواب.. لأنهم ليسوا في حاجة إليه..

وتقول الأساطير أيضًا إنـه كان حاميًا لمدينة رومـا، فعندما هاجمها الأعداء فجر من تحتهم ينابيع المياه التي تغلي فهربوا.. وهو الذي أدخل الفلوس وعلمهم زراعة الأرض والعناية بالثمار، وهو أيضًا الذي لقن القانون للحكماء.. وفي الوقت الذي انتشرت فيه عبادة يانوس ظهر في الصين إله مثله تمامًا، يرسمونه على الأبواب.. أبواب البيوت والمعابد والقلاع.. وهذا الإله الصيني هو الذي يحمي الداخلين والخارجين.. وهو البداية وهو النهاية.. وهو رمز الحياة والموت معًا..

وشهر يناير مأخوذ من الإله يانوس لأنه بداية السنة الجديدة.. وقد أطلق علماء الفلك اسم (يانوس) على أحد الأقمار التي تدور حول الكوكب زحل وهو القمر السادس الذي يدور في فلك يبعد عن الكوكب

لألمانيا إن هتلر حي ولم ينتحر هو وزوجته تحت قصر المستشارية في برلين. وإنما هو هنا حي معنا في أعماق العوامة نوتيليوس في طريقه إلى فنلندا أو الأرجنتين ليستأنف القتال من هناك. فألمانيا ولدت لتعيش منتصرة شامخة.

وظهرت على شواطئ كوبنهاجن رسالة أخرى تقول: هذا آخر نداء من السفينة (...) هذا النداء موجه من هتلر إلى الشعب الألماني يدعوه إلى أن يقاوم وسوف ينتصر في النهاية. وهذه الرسالة ألقتها إحدى طائرات سلاح الجو الألماني. وهتلر الآن في مكان آمن تمامًا. وسوف يعود. انتظرونا قريبًا. وتاريخ الرسالة هو 15 نوفمبر سنة 1945

ويبدو أن هذه الرسالة تهدف إلى لخبطة أجهزة المخابرات البريطانية.. فهي أيضًا سلاح آخر للتشويش وتضليل أعداء ألمانيا..

زحل بنحو 150 ألف كيلو متر دورة كاملة كل 17 ساعة وهو مكون من مادة مسامية جلدية، وقد اكتشفه العالم الفرنسي دولفيس سنة 1966 واكتشف معه قمرًا آخر في نفس المدار.. وقد تلقيت خطابًا من د. أميمة عبد الرءوف ثابت من روما تقول: إنه أحد آلهة الإغريق وليس الرومان كما ذكرت..

أؤكد لك أنه من أساطير الرومان وليس له نظير عند الإغريق.. وأن حكايته قد تداولتها الأساطير القديمة منذ أكثر من 12 قرنًا حتى ظهرت الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي؛ مما أدى إلى انحسار عبادة يانوس.. وظلت تنحسر حتى تجمدت على الأبواب والمداخل، وأصبح الإله رمزًا تاريخيًّا للنصر والسلامة..

من أ. د. حسن عبدالرءوف صوان (هيوستون) يقول: عيوننا وقلوبنا على مصر ونحن سعداء بما جرى في مصر، وانتقالها إلى المسار الصحيح. مبروك. وشرف عظيم لكم ولنا. ويجب ألا تضيقوا بما يحدث في الشارع المصري. فكل البدايات صعبة. والعبرة بالنتائج وسوف تكون عظيمة. ولسنا وحدنا في هذا الكون. ولا الطريق أمامنا لم يمش به أحد من قبل. وإنما كل المقدمات والنتائج معروفة. ولا خوف. وهذه هي المناسبة المؤكدة لأن ننظر وراءنا ونتوقف لنعرف ما الذي أخرنا وجعلنا في آخر الطابور.. أو جعلنا خارج طابور ال– 500 جامعة في الاستفتاء الصيني لسنوات 2003 و2004 و2005. إنه العلم والبحث العلمي. وأخلاقيات العلماء وكل بدايات الجامعات الرفيعة المستوى معروفة. ويمكن أن تطلبوها.. اختاروا أية جامعة واسألوها: كيف كانت في البداية.. وكيف مضت وبلغت القمة؟ هذا هو الطريق السهل. ويبقى الوضوح والإصرار والتمويل..

ويقول د. المحمدي حسين أبوالمكارم (شيكاغو): أبادر فأشكرك على أنك فتحت الباب والشباك لنرى ماذا نعمل وكيف نعمل. وأشكرك على أنك أتحت للعلماء فرصة أن يقولوا. فأنا أعرف ما كنا عليه من عشرين عامًا في القاهرة والإسكندرية. إن شكاوى العلماء لا تصل إلى آذان المسئولين.. فآذانهم مسدودة إلا عن المديح والنفاق – مع الأسف!

وجاءني من الدكاترة: سينوت أيوب الأسيوطي، وجيهان رأفت برسوم، وسعاد أحمد الحلواني (برلين) أنهم أقاموا ندوة استغرقت يومين متتاليين.

وفي هذه الندوة ناقشوا كل القضايا التي أثرتها في هذا المكان. ويسألون: هل أحب أن أقرأ محاضر هذه الندوة واقتراحات المصريين والأجانب الذين شغلتهم جدًّا تلك التحولات السياسية في مصر والتي لابد أن تجيء من بعدها تحولات علمية؟

ومن الدكاترة الإخوة والأخوات: محمد شفيق الدريني، وأحمد شفيق الدريني، وعنايات شفيق الدريني، وراقية شفيق الدريني، يشكرون على إتاحة الفرصة لهذه الموضوعات الجادة أن تشغل هذا المكان المهم من صحيفة الأهرام.. ويتطلعون إلى تصحيح المسار من أجل مصرنا الحبيبة.

كلها ضارة

لا طعام ولا شراب ولا دواء ولا عطر ليس ضارًا صحيًا.. للجلد أو للعين أو للقلب.. أو يؤدي إلى الإصابة بالسرطان. فإن شربت القهوة أو الشاي كثيرًا أو قليلاً فلابد أن تحسبها: ضارة بالصحة إن كنت كبيرًا في السن، أو سوف تكون ضارة إن كنت صغيرًا. طبعًا السجائر لا خلاف على ضررها.

هات العطور. كانت العطور فيما مضى من الأعشاب والزيوت الطبيعية، الآن معظم العطور من منتجات بترولية. أي مواد كيماوية. وكلها ضارة بالجلد. وكلها تنتقل من الجلد إلى الدم مباشرة. فالعطور التي تضعها على وجهك.. ومواد التجميل كلها التي تضعها السيدة على عينيها وخديها وشفتيها وأظفارها وصبغة الشعر والذي يلين الشعر والذي يجعله لامعًا..

والنار من السشوار. كل ذلك يؤدي الي أضرار قد تؤدي إلى السرطان.

وكما أن التدخين رغم أضراره، لم يمنع مئات الملايين من التدخين، فكذلك كل أدوات التجميل والعطور السائلة والكريمات والصبغات أيضًا. وقد بلغ استهلاك البلاد العربية سنويًا من العطور ومواد التجميل في العام الماضي أكثر من مليارين من الدولارات.. تصور! وبسبب هذه الأضرار، لابد من اختراع عقاقير لمقاومة الأضرار وللتخفيف منها: لعلاج البشرة والعظام والشعر والعينين

واليدين والساقين.. وهذه العقاقير أيضًا تكلفت في العام الماضي مليارًا من الدولارات. لاحظ أننا لم نشر إلى الطعام والشراب والملابس والسيارات والموبايلات والتعليم والتربية والسكن.. ولم نتحدث عن الموضة التي تتغير وتتبدل والتي تزلزل كل امرأة وكل بيت والاقتصاد القومي في أي بلد غني أو فقير.. أما الدول الغنية فهي التي تصنع وتكسب وترهب الناس وتطمئنهم. أما الدول الفقيرة فهي التي تقلد الدول الغنية وتخسر وتمرض.

نعود إلى ما كنا عليه.. فكثير من أساتذة الجامعات والعلماء لهم رأي هنا.. بعد أن ضاقت عنهم صدور المسئولين.. فلم يكن في استطاعة الأساتذة أن يقولوا أو إذا قالوا فلن يسمعهم أحد.. وهذه هي الفرصة لكي يقولوا ليسمعهم ويراهم من يملكون القرار في مستقبلهم ومستقبل العلم والبحث في جامعاتنا ومعاهدنا.

تقول د. نادية الهادي: إن لجنة المعادلات المختصة بإدارة الأعمال التابعة للمجلس الأعلى للجامعات لا تعترف بالدكتوراه والماجستير اللتين تمنحهما جامعة هارفارد أعظم جامعات الدنيا.

ويقول أ.د. نبيل فتح الله الأستاذ بهندسة الأزهر: هل تعلم أن مكافأة فحص ومناقشة رسالة ماجستير أو دكتوراه هي مبلغ ثمانين جنيهًا، تصرف بعد انتهاء المناقشة بثلاثة أشهر! أما مكافأة الإشراف والانتهاء بنجاح من درجة الماجستير وبعد ثلاث سنوات فهي 500 جنيه توزع على أعضاء لجنة الإشراف.. أما مكافأة الإشراف على الدكتوراه وبعد خمس سنوات فهي 500 جنيه لكل عضو.. ومكافأة عضو هيئة التدريس عن اجتماع مجلس القسم هي اثنا عشر جنيهًا.. تصور!

ومن د. أنور الحسيني وهدان (كندا): هنا يا سيدي إذا كانت لك مشكلة ففي استطاعتك أن تكتب ورقة من سطرين تقول فيها: أريد أن يسمعني أحد.. وعلى الفور يجيء من يسمعك.. لأنه لابد أن يكون

هناك خطأ ما.. وحاولت وقمت بتجربة تافهة ولم يجدوها تافهة. فقد قلت إنني أريد أن يتحول مرتبي إلى بنك قريب من البيت.. وبعد دقائق جاءني إخطار من البنك أنني أصبحت أحد عملائه؟!

ومن د. أسامة إبراهيم من معهد فيزياء البيئة من هيدلبرج (ألمانيا) يقول إنه دمعت عيناه عندما قرأ ما كتبته د. نادية العارف من جامعة الإسكندرية. ويقول إنه اكتشف أنه في مصر كان أراجوزًا.. وإنهم لا يدرسون وإنما يهرجون.. وقد ذهب إلى أحد علماء النفس يسأله إن كان هو مجنونًا.. ولا ينسى أبدًا مأساة د. مجدي أستاذ الإلكترونيات من اليابان الذي عاد إلى مصر ليموت كمدًا في الأربعين من عمره. مشكلة مصر أن أحدًا لا يستمع.. وإذا استمع لا يفهم.. وإذا فهم فشيئًا آخر.. والحل ليس في مصر وإنما خارجها.. مع الأسف!

هـــذه هـي البدايـــة

انتهى عصر 99.9٪ من أصوات الناخبين للرئيس الأوحد كما انتهى عصر الـ100 و 120 من الدرجات التي يحصل عليها التلامذة الصغار؟!

شكرًا للذين أحسنوا الاختيار عندما اختاروا المستقبل الأعقل والأفضل، وإذا كان محمد نجيب أول رئيس لمصر وحامي الضباط الأحرار، فعبد الناصر أبو الجمهورية والسادات بطل الحرب والسلام وحسني مبارك بطل الديمقراطية وراعيها وحاميها - فهذه مكانته الفريدة في التاريخ.. وفي أساطير الرومان كان لهم إله اسمه (يوناس) وكان له وجهان: وجه يتجه إلى الماضي ووجه يتجه إلى المستقبل وفي يده مفتاح.. وكان يوناس رمزا للبداية، للشروق والغروب، للأحداث الهامة كالانتقال من الشباب إلى الرجولة، من الزراعة إلى الصناعة من الريف إلى المدن، من الفوضى إلى الحضارة.. ولذلك فإن شهر (يناير) الذي هو بداية السنة مأخوذ من (يوناس)..

لقد كان يوم 7 سبتمبر مشرقًا باهرًا في تاريخ مصر، لا يهم كيف كانت درجة إشراقه وروعته علينا وفينا.. لقد كان يومًا آمنًا.. فلا خوف علينا منا، ولا خوف علينا من غيرنا.. فقد اخترنا ما نريد إلى ما نريد، كما نريد، وعندما نريد.. اخترنا طريقًا. ومن اليوم

مصيرنا في يدنا. ومادمنا قد اخترنا فنحن مسئولون، ولا مسئولية بلا حرية وقد كنا وسوف نبقى أحرارًا ولم نعد متفرجين على عذابنا وهواننا. وغمز ولمز الشعوب الأخرى.

وربما كان شاعرنا الكبير (علي الجارم) قد قصد هذا اليوم أيضًا عندما قال:

يوم كأن ضياءه من أعين   من طول ما اتجهت له الأنظار!

من المناسب هذه الأيام أن يتحدث الناس عن السرقة والسلب والنهب والنصب والاحتيال واستغلال النفوذ ثم الهرب من العقاب. ولكن من بين السرقات المريضة: أن يسرق ما لا يحتاج. مثلاً أن نرى أشهر لاعبي كرة القدم يدخلون المحال الكبرى فيخفي الواحد منهم منديلاً في جيبه، مع أنه يستطيع أن يشتري المنديل والمحل. ولكنه سرقه وليس في حاجة إليه. هذا هو جنون السرقة. أو مرض السرقة - كليبتومانيا..

ويقال كذبًا إن الملك فاروق كان يسرق ضيوفه! ولذلك كانوا يختصرون جهود الملك في السرقة بأن يضعوا أمامه الولاعات الذهبية والألماسية لأنهم يعرفون أن جلالته سوف يسرقها ويضعها في جيبه. مع أنه ليس في حاجة إلى ذلك. ففي استطاعته لو أراد أن يأتي بولاعات من الألماس، فإن كان فاروق قد فعل ذلك، فهو مريض. ولكن فاروق كان ضحية أكاذيب كثيرة، ليس أقلها جنون السرقة!

وكذلك أصحاب الملايين.. أي الذين عندهم الملايين في البنوك وفي استطاعتهم الكثير، يدفع الواحد منهم بقشيشًا كبيرًا أمام الناس. فإذا انصرف الناس وأخذ هو في الانصراف مد يده إلى البقشيش وسرق نصفه أو ربعه - وهذا هو جنون السرقة!

وإذا نحن نظرنا حولنا ونظرنا إلى اللصوص الكبار الذين سرقوا المال العام. ليسوا مجانين. ولا مرضى. وإنما هم لصوص عقلاء.

وربما الخلل الوحيد في تفكيرهم هو أنهم يسرقون الكثير بعلم الكثيرين، وفي الوقت نفسه لا يتصورون أن أحدًا سوف يفضحهم أو يحاسبهم على ذلك. هذه هي الغلطة التي تعتمد على سوء فهم الناس..

وعلى أن اللص الكبير الذي أشرك غيره من اللصوص، قادر على إسكات وإخفاء الحقيقة.. وهي غلطة متكررة. ومع ذلك يرتكبها كل اللصوص اعتزازًا بسطوتهم، واستخفافًا بالناس. ومادام هؤلاء اللصوص لم يعاقبوا، فهم على حق في الاستخفاف بالناس واحتقارهم هم والقانون أيضًا!

يقول د. أسامة العطار إنه قرأ ما حدث للدكتور جمجوم في أحد المستشفيات الخاصة فلم يجد الإمكانات ولوازم العمل كطبيب وشكواه المتعددة لمن هب ودب. ويرى أن العلاج يكمن في عدم وجود القوانين واللوائح. فأين الجهة التي أعطت الترخيص لهذا المركز وأين المراقبة عند تجديد الرخصة؟ وأين الجهة التي تحقق في مثل هذه الشكاوى.

يقول د.عبدالمتعال محمد الشورى من لوس أنجلوس: يا ساكني مصر أوجعتم قلوبنا عليكم. ماذا جرى لكم؟ لقد هاجرت إلى أمريكا من ثلاثين عامًا. وأتابع على قدر استطاعتي ما تنشره الصحف عن حال البلد وهيئاتها التعليمية. وكنت سعيدًا بما يقال عن الإنجازات في كل المجالات.

ولكن عندما قرأت هنا شكاوى وبكائيات الأساتذة والعلماء المصريين اندهشت. وأحسست كأنني كنت نائمًا في العسل. والآن صحوت على حقيقة مفزعة، فهل نحن بهذا السوء؟ أنتم تقولون نعم. كيف يمكن أن يبقى هذا الحال على ما هو عليه؟ أليس البحث العلمي يبدأ من هذه النقطة؟ هذه هي البداية وليس أي شيء آخر!

يقول أ.د. محمود عبدالناصر علي أستاذ الطب الشرعي والسموم بالطب البيطري في أسيوط: لقد أحزنني ما كتبه هنا د. محمد عامر

الأستاذ ورئيس الجامعة وهو يبكي على حاله. فقد كان في شبابه ممثلاً في مسرحيتك (حلمك ياشيخ علام).. وأخذ برأيك وتفرغ للعلم. ولكنه يتحدث عن نفسه وكأنه من سقط المتاع. فما الذي ينتظره هذا الأستاذ الكبير؟ إنه يستطيع أن يعمل في أي مجال لو أراد.. أما أن يقول إن الأستاذ الجامعي كأنه (عورة) بعد هذه السن، فهذا ما لا يصح. ولابد أن ما كتبه كان تحت تأثير شيء أوجعه!.

يقول أ.د. يحيى العباس (كندا) ما هذا الذي قاله د.محمد عامر؟ لم أندهش. فمن حين إلى حين أتلقى من زملاء الدراسة وهم أساتذة الآن، ما يؤكد تعاستهم. وأن التدريس في الجامعة أصبح مهنة من لا مهنة له. عجب!

إن كلمة بروفيسور هنا يهتز لها أي إنسان احترامًا وإعجابًا، فكيف تدهورت هذه الكلمة في بلادكم؟! لابد أن هناك أسبابًا قاهرة لمثل هذا الأستاذ الكبير – وا أسفاه!

العلوم للأطفال..

تقول د. سهير محفوظ أستاذ مساعد علوم المكتبات بآداب جامعة حلوان:

لأن الاهتمام بالعلم والبحث العلمي لابد أن يغرس في نفوس أطفالنا منذ البدايات فقد حرصنا في الندوة العلمية الثانية لمركز توثيق وبحوث أدب الأطفال بالمكتبة المركزية لجامعة حلوان على أن يكون عنوانها: الكتاب العلمي للأطفال.

وأن تكون محاورها على الترتيب: تبسيط العلوم للأطفال.. نشر الكتاب العلمي للأطفال.. دور المكتبات العامة في اجتذاب الأطفال للقراءات العلمية.

تقول د. دولت الصاوي عثمان (من السودان) وتعيش في أستراليا: أرجو من أولياء الأمور أن يقفوا إلى جوار أطفالهم وهم يلعبون في الكمبيوتر، سوف يجدون العجب العجاب. سوف يجدون مواقع مهمتها تبسيط الأحداث العلمية، فمثلاً:

رحلات الفضاء الأمريكية. سوف يجدونها مكتوبة بأربعة أشكال: للطفل الصغير. وللطالب ثم للمدرس وأخيرًا للمتخصصين. إنه موضوع واحد ومكتوب بعدة أساليب. ليس هذا فحسب بل إنهم سوف يجدون الكتب الكبرى مكتوبة بأساليب مختلفة. مثلاً الكتاب المقدس مكتوب بصور كاريكاتورية.. ومكتوب بإيجاز مع الصور، ومكتوب

بخصوص من الكتاب المقدس. وكذلك المتاحف والآثار التاريخية الكبرى كلها مكتوبة بكل الأساليب والأشكال. والمعنى: إنه لا عذر لأي إنسان، صغيرًا أو كبيرًا أن يعرف. وأن يتعلم تعليمًا صحيحًا وبأشكال جذابة ممتعة!

وتقول د. أماني عبدالسلام الخولي (روما): عندي ولد وبنت توءم. مختلفان تمامًا. والغريب أن البنت تريد أن تكون طبيبة والولد يريد أن يكون موسيقيًا. وقد لاحظتهما جيدًا. فوجدت أن هذه الاستعدادات عميقة جدًا. وأنها صحيحة. إذن من واجبي أن أوجه كلاً منهما إلى هدفه.

واستشرت جارة لي فقالت: في بلدتنا متحف نصفه للعلم ونصفه الثاني للفن؛ الشعر والمسرح والموسيقى. أما الكتب ففي كل مكان.. وأعتقد أنني شجعتهما. وأنهما الآن على الطريق الصحيح. والبداية أن يهتم الأب والأم باهتمامات الطفل.. والباقي تتولاه الدولة - فأين نحن من هؤلاء؟!

ولا يهمك ولا همني وأهمني ولا هزني ما يقال وسوف يقال عن هذا الاختيار العظيم للشعب. فهؤلاء الذين يهلوسون في الشوارع وفي الإذاعات وعلى الإنترنت لا يعرفون كيف كنا من خمسين عامًا. فلم يكن لأحد رأي أو رؤية أو قرار.

ولا أمل عندنا في شيء آخر. لا أحد يجرؤ أن يحلم أو يتخيل أو يهمس أو يقول في سره - صورة بشعة! نعم تلك كانت الصورة التي لا يعرفها الذين يصرخون ويتظاهرون في الشوارع... ومع ذلك فمن حقهم أن يفعلوا ومن واجبنا - باسم الحرية التي ارتضيناها - أن نحميهم!

من كان يستطيع أن يسأل رئيس الدولة عن أمه وأبيه وصاحبته وبنيه؟ ولا واحد. ولا واحد قد ولد في ذلك الوقت..

من الذي كان يستطيع أن يقول: هذا رأيي. فإذا الجماهير تتظاهر وتجتمع وتنفض دفاعًا عنه؟!

ولكن حدث ذلك أيام حسني مبارك الجديد.. ما الذي تقوله صحف المعارضة والصحف الحرة؟ من الذي يستطيع أن يرفع أصبعًا باعتراض؟ لا أحد. من الذي يهدد أحدًا بالسجن أو يحطم قلبه أو رقبته؟ لا أحد.. من الذي يقول لكل هذه المظاهرات الصوتية والكلامية: قف عندك... لقد تجاوزت الخطوط الحمراء والزرقاء والسوداء؟ لا أحد..

من الذي يمنع أحدًا من أن يقول: لا تعط صوتك. قاطع. لا يكن لك رأي. لا تختر أحدًا. يعني انتهز هذه الفرصة ونفذ حكم الإعدام في رأيك واختيارك لمصيرك ومصير الملايين؟ لا أحد!

من الذي يتهمك بأنك أعطيت صوتك مرتين وثلاثًا ؟ لا أحد؛ لأنك تستطيع أن تضع أصبعك الفوسفوري في عينه. لنضع هذا اليوم إلى جوارنا ثم ننقله إلى ذاكرتنا، إنه يوم عظيم مضى.. ولنتوجه ونبتهل إلى الله أن يهبنا السداد والرفاهية والسلام. فنحن أحرار نستحق كل ثمار الحرية ـ آمين!

من المركز القومي للبحوث تلقيت هذه الدعوة: كتابات سيادتكم التي جاءت تعبيرًا صادقًا عن إيمانكم المطلق بأن البحث العلمي يمثل قوة الدفع الذاتي لتنمية المجتمع، والنهوض به؛ لذلك يشرفني دعوة سيادتكم لزيارة المركز للتعرف على تجربة مصرية جديدة قامت بها عقول مصرية، نجحت في إثبات أن البحث العلمي وقضايا المجتمع وجهان لعملة واحدة. من خلال أسلوب جديد ومتطور للعمل الإداري والبحثي، مما حدا بالبنك الإسلامي الدولي للتنمية أن يمنح المركز جائزته الدولية لعام 2005 وهذه الجائزة التي تمنح للمؤسسات التي حققت مساهمات علمية وتكنولوجية بارزة.

رئيس المركز أ.د. هاني الناظر

والله يسعدني أن أقرأ وأسمع وأرى مثل هذه الإنجازات. لكن بقدر حماسي بقدر ترددي وشكي في قصائد المدح التي اعتدنا عليها عندما نتحدث عن أنفسنا. وعن قصائد القدح والهجاء التي ننظمها عندما نتحدث عن غيرنا. وإن كنت لا أعرف بالضبط ما الذي تحقق علميًا لديكم. وإن كنتم قد نشرتم أبحاثكم في المجلات العلمية وإن كانت واحدة من الهيئات العلمية رفيعة المستوى قد أحست بكم.

ومع الأسف دفعني إلى مثل هذه التحفظات ما تلقيته من رسائل لأساتذة حاليين وسابقين وعمداء حاليين وسابقين، وهم ينهشون بعضهم بعضًا، لدرجة أنني اعتقدت أنهم يقصدون بالتفوق بهدلة

الآخرين، وأن هذا هو المطلوب من البحث العلمي؟! مثلاً د. هارون سماحة الصاوي الكيميائي من كندا يقول: أنا تركت مصر العزيزة لسبب بسيط جدًّا.. أنني حضرت اجتماعًا للأساتذة. وما سمعته جعلني أطفش.. فقد كانوا ينافقون السيد العميد. وبس. وأنا أعرف وهم يعرفون أنه لا شيء من كل الإنجازات الوهمية قد تحقق. قلت في نفسي: ياواد مالكش عيش في البلد دي! فكان له عيش وكيك في بلاد أخرى أكثر احترامًا للعلم والعلماء. ويحزنني أيضًا!

ميزانية البحث العلمي

يقول أ.د. نبيل فتح الله من كلية الهندسة جامعة الأزهر: إن اليابان تنفق على البحث العلمي 13 ألف مليون دولار سنويًا.. أكثر من دخلنا القومي.. ولكن مشكلتنا في مصر هي البيانات والتصريحات التي تنتهي بأن مصر بلد زي الفل.. وكل شيء فيها فل الفل.. ياريت تبقى زي الفل! ومن نيوزلندا كتب المهندس محمد عبدالرسول الفرنواني: كنت أزور أحد مصانع الألبان هنا.. مصنع صغير طبعًا نظيف جدًا.. ندخله ونخرج منه لا نسمع صوتًا كأنه مصنع للساعات السويسرية.. سألت الناس قالوا لي: وفهمت أن هذا المصنع له ميزانية خاصة بالأبحاث المتعلقة باللبن والجبنة والزبدة.. وأن عنده ميزانية أخرى لأبحاث لا علاقة لها باللبن..

وهذه الميزانية لتشجيع البحث العلمي عند أي إنسان.. أي واحد من الشبان في أي مجال.. مثلاً: وجدت قائمة بأسماء الباحثين، بعضهم صيني وهندي.. لا يهم.. فواحد من هذه الأبحاث عن حساسية بعض الناس من لسع النحل.. وكيف يمكن علاج ذلك.. بحث آخر عن تطور صناعة الجلود.. فليست هيئة واحدة هي التي تبحث.. وإنما كل الهيئات.. ومعلومة من هنا ومعلومة من هناك تسهم في تقدم البشرية..ويقول أ.د. خيري حسان من كلية الهندسة جامعة أسيوط إنه عندما زار إحدى الجامعات اليابانية قام العميد بإعداد الشاي له.. لا سكرتارية ولا موظفين يبتلعون ميزانية البحث العلمي في الجامعات..

وأنـا مندهش لماذا نحن في الخـارج في غاية الحيوية واليقظة والنشاط؟! ويقول د. أحمد إسماعيل العطار: بحكم عملي كطبيب بالخليج سافرت إلـى بريطانيا لاستكمال دراستي، رأيـت احترام الدارس وتقديم كل الإمكانات له بصرف النظر عن دينه وقوميته مع كل العروض الجيدة ليمضي في العمل بعد الانتهاء من أبحاثه ودراساته.. أقول لك مـاذا حدث عندما عدت إلى مصر؟.. بلاش.. أنت تعرف!

من د. عبداللطيف الأزهري: اسمع ياسيدي خلاصة الكلام: البحث العلمي لا يبدأ من الجامعة ولا بعدهـا.. وإنما من أول السلم.. من البيت ومن الصحف بتاعتكم! معك حق ياسيدي!

شاعــــر وطبيـــب..

ضيفي اليوم أ.د.مدحت محمد علي عميد طب المنصورة سابقًا..

لما نعدل ستة وسبعين.. راح تتبدل سبعة وستين..

ياترى فاكرين.. ياترى حاسين.. حد السكين؟

والا احنا خلاص ناسيين؟ سبعة وستين!!

نحلم بالقدس.. نركع ونصلي حنين

وبحيفا ويافا وتل أبيب تبقى فلسطين

وصحينا الصبح.. نسمع راداوينا

بتبشرنا وتقول راجعين!!

ياترى فاكرين أغانينا.. و (حليم) بيغني آهين؟

ويا أهلا بالمعارك.. يابخت من يشارك وحنرجع منصورين!

ياترى فاكرين.. كام طيارة وقعناها.. سبعة وستين؟

وبقينا المغرب.. والراديو سكت.. والقلب سكت.. واسود الليل!

وحليم.. يبكي ويصيح.. ماتقولش دبيح.. على شط النيل!

عدى النهار والمغربية جاية تتخفى ورا ضهر الشجر..

ليه يا حليم.. ياللي غناك علمنا معنى الحب وليالي السهر؟

كنا معاك.. نبني قصور تعلى وتتحدى القدر..

وفي لحظة هبت ريح.. راح كل شيء واندثر..

ولا عشان.. ماهو انت حلو لازم تكون كداب؟!

رويت عواطفنا طول السنين وهم وسراب

ورويت حكايتنا وكأن تاريخنا هو الزعيم المستهاب!

لو كنت غنيت لنا.. موش للزعيم اللي انتهى عصره وغاب.

لو كنت علمتنا إن النجاح علم وكتاب

كنا بقينا اليوم بنعرف في تاريخنا وفي الحساب!

إيه اللي رجعنا نعيش الماضي ونقول اللي كان؟!

دي المسألة مادة نعدلها.. نعدلها.. وننساها كمان!

وهي دي الموضة.. حنكتبها.. نلحنها.. ويعزفها الكمان!

ولو حليم يرجع لنا تاني.. يغنيها في حفلة للسلطان!

شكرًا يادكتورنا الشاعر وشاعرنا الطبيب.

من أجمل ما قرأت في مجلة (نيوزويك) الأمريكية ما كتبه الاستاذ فريد زكريا ولا أعـرف من هو ؟ المهم أن لديه قـدرة على الشرح والتحليل واختيار الأمثلة المقنعة من التاريخ العالمي، فكلها عند أطراف أصابعه، يقول: إنك لا تستطيع أن تفرض الديمقراطية في العراق بالسلاح، ثم إن الديمقراطية الأمريكية ليست النموذج الذي يمكن أن يكون تمثالاً تركع أمامه وتصلي بقية الشعوب... وشعب العراق فتافيت: العرقي والديني والمذهبي والبعثي... ثم إن الانتخابات لم تأت بالديموقراطية، والأمثلة على ذلك في أربعين دولة إفريقية وعشرين أمريكية.

لقد سأل أهل العراق فقال أحدهم: نريد الديمقراطية والويسكي والجنس، أما هذه فسهل جدًّا أن تأتي بها أمريكا، إن لم تكن قد أتت بها، ولكن الديمقراطية لا تأتي هكذا، وليس هذا هو المدخل الملكي إليها، فأمريكا عسكريًا قد نجحت، وكان من المؤكد أن تنجح.. ولكن ماذا بعد النصر العسكري، يقول فريد زكريا في كتابه (مستقبل الحرية): إن الطريق أطول وأعرض من ذلك كثيرًا، وإن الذي يجعل الطريق طويلاً عريضًا عميقًا هو الشعب العراقي.

فإذا كان الأمريكان يريدون العراق نموذجًا رفيع المستوى لما يحلمون به، فليست هذه هي الطريقة... وليس بهذه السرعة التي ينادي بها شعب عرف القهر والهوان والعذاب ويحلم بالحياة الكريمة،

وطبيعي أن يسقط النظام ويستسلم الجيش - فهذه هي القاعدة في كل الدول الشمولية، فكل شيء من أجل سلامة الحاكم وأولاده ومحاسيبه، فإذا اختفوا، تلاشى الجيش، فليس همهم الدفاع عن الوطن، وإنما عن سفاح الوطن.

ولأن شعب العراق ذكي ومستنير ومتعجل الانتقام والعودة إلى الدرب الحضاري الذي سار فيه وسايره ألوف السنين، فسوف يعرفون الطريق صغيرًا ثم متعرجًا ثم واسعًا... إدارة صغيرة وبعدها إدارة كبيرة حتى تتوافر الضروريات ويهدأ ويأمن ويهنأ الناس..

إن الكاتب فريد زكريا قوي المنطق بارع التحليل ومعتدل الخطوة، واسع النظرة؛ لأنه فتح عينيه على أمريكا التي هي وطنه الأول أو الثاني، لا أعرف، وعينيه على هذه الزخرفة والزركشة الشرق أوسطية شديدة التعقيد... ولذلك سوف تتأجل خارطة العراق إلى أجل غير مسمى، قريب أو بعيد، ولكن لابد أن تستقر الأوضاع وتثبت النظرة والخطوة من أجل مستقبل سوف يكون أفضل!

والشعب لم يرد!

لا تنصح أحدًا بأي شيء، فكلامك مرفوض. ثم إن أحدًا لم يطلب منك أن تقول كلامًا.. فالناس أصبحوا تماثيل، أفواههم مطبقة وعيونهم مغلقة وآذانهم مسدودة وأيديهم مغلولة. ويفضلون الموت على الحياة.. لقد أصبحنا تماثيل ماضينا الطويل. والكلام مثل أمواج البحر تدق صخورًا ولا تزحزح شاطئًا.. وصوت الموج هو الملل الأبدي.

والناس لا يريدون أن يقول لهم أحد: أنتم السبب. ولا يريدون أن يقال لهم: افعلوا شيئًا. اصرخوا قولوا آه.. لا يريدون أن يقولوا آه.. فلا تقل لهم أف ولا تنهرهم. إنهم اختاروا الصمت أو اختارهم الصمت.. أو أن التاريخ قد تجسد العالم العربي لكي يفرض علينا إحدى معجزاته النادرة: كيف يتحول الصمت أناسًا، والعجز شعوبًا، واليأس دينًا، والمستقبل ماضيًا؟ وصحيح تمامًا ما قاله أبو القاسم الشابي شاعر تونس:

إذا الشعب يومًا أراد الحياة   فلابد أن يستجيب القدر

ولكن القدر لم يستجب لأن الشعب لم يرد. فما الذي يريده الشعب أو ما الذي يريده الشعب من الشعب.. أما الشعب الأمريكي – البريطاني فهو لا يريد الشعب العربي: وإنما يريد شعبًا أمريكي الزي بريطاني الهوى.

أما أقلامنا وشاشتنا فإن لم تكن أمريكية الصنع فمدادها إنجليزي. فماذا نكتب وماذا يقرأ الناس؟ والحل واحد: أن نكسر أقلامنا. فإذا كسرناها فما سلاحنا؟ سلاحنا شعبنا. وسلاح شعبنا شبابنا. وعيون شبابنا آراء أخرى غير آرائنا. والوقت طويل وهناك متسع للتفكير، فلن يخرج الأمريكان غدًا، فلم يأتوا بملايينهم وملياراتهم ليخرجوا. وإنما جاءوا ليبقوا حتى يسدد بترول العراق فواتير الحرب والسلام وديون روسيا وفرنسا وألمانيا.

فعند الشباب وقت لأن يجعلوا أرضهم أثبت ومستقبلهم أوضح. شباب العراق وشباب العرب وشباب أمريكا الذي رفض حرب فيتنام وشباب بريطانيا الذي رفض العدوان الثلاثي على مصر.. والشباب في كل الدنيا لغتهم واحدة هي: الحياة والسلام والحرية والعدل.

فــي النـــار يغنـــي!

الإمبراطور الشاعر الموسيقـار والمطرب (نيرون) قتل أمه وزوجته وراح يغني. أراد أن يدخل التـاريخ مطربًا فمات مجرمًا وعاش مطربًا.. لأن الفن أبقى من الدمار. وأسمى من الموت.. ففي وجه النار والشرار سوف نجد واحدًا يغني - حتى لو كان متهمًا بإحراق روما.

مرة أخرى احترقت بغداد ومات الألوف من أبنـائها.. لقد أحرقها إمبراطور آخر.. ووسط الركام وقف واحد يغني.. يغني حتى ولو لم يسمعه أحد.. يغني حتى ولو لم يكن معه عازفون، يغني ويعزف على آلات بلا أوتار.. إنه الموسيقار العراقي عبد الرزاق العزاوي.

مات ولداه في لحظة واحدة بصاروخ إيراني سنة 1980. بكت القيثارة في يديه وكان مثل قوس قزح كلما اسودت السحب ازداد بريقًا ولمعانًا..

لقد هجر الفنانون بغداد ولجأوا إلى عواصم أخرى، حيث الفن والمال والأمان والسلام. ويبقي عبد الرزاق العزاوي وحده. وقرر أن يهتف بحياة الفن في وجه الموت، والجمال في وجه الدمار.. ويلملم المستمعين ليجعلهم عازفين.. ليكونوا (كورس) أقوى من النسيان..

وفي الأساطير الإغريقية القديمة كان (أرجوس) يحرس إحدى الجميلات التي يريد أن يستولي عليها كبير الآلهة. وكانت لأرجوس مائة عين يطبقها جميعًا إذا نام إلا عينين اثنتين. فاحتال عليه كبير

الآلهة. فأرسل له من ينفخ في الناي ليلاً ونهارًا حتى نام أرجوس وهجم كبير الآلهة على الحسناء وخطفها.. فالفن الجميل أقوى من قوة الآلهة الإغريقية، وتخليدًا لما أصاب أرجوس، فإن الآلهة طبعت عيونه على ذيل الطاووس رمزًا جميلاً لحارس مخلص لم ينم، ولكنه لم يستطع أن يقاوم الموسيقى.. فكان نومه أعظم تحية للموسيقى.. كما كانت يقظته أعظم تحية للضمير..

وأنت لا تعرف المايسترو عبد الرزاق العزاوي ولا أنا.. ولكننا معًا أمام (فنان ظاهرة).. وقف فوق أطلال بغداد ليسمو بها فوق الألم.. والمثل يقول إن بداية الربيع زهرة واحدة تتفتح.. وبداية الجمال آلة واحدة تعزف..

فهل يدعوه الفنان فاروق حسني وزير الثقافة إلى مصر ومعه بقايا أوركسترا بغداد تحية من عاصمة المعز إلى عاصمة الرشيد؟!

قالوا وياما قالوا. ولكن الواقع له كلام آخر!

قالوا إن القاعدة الإرهابية أبيدت. أو على الأقل نصفها. وظهرت أشكال وألوان من التدمير في أماكن مختلفة من العالم، ولأسباب مختلفة. والأمريكان يقولون: إنها جيوب القاعدة. والرئيس مبارك قال لهم: إذا مضى العنف بهذه الصورة في الشرق الأوسط فسوف يظهر مائة بن لادن..

وأبو مازن رئيس وزراء فلسطين سمع من شارون أن لديه متطرفين من مثل ليبرمان، وأنه لا يستطيع أن يغفل مطالبه، فقال أبو مازن: وأنا عندي مائة ليبرمان.

والسبب عند أبو مازن وعند شارون أن العنف يولد العنف، والإرهاب أبو الإرهاب وأن استنساخ مجرمين مثل ليبرمان أمر طبيعي على الجانبين..

وقالوا: انتهت أفغانستان. استكانت، استسلمت، دخلت الشقوق، والواقع غير ذلك.. فالعنف على أشده، والأمريكان في داخل الشقوق والحكومة الأفغانية العميلة لا تملك أن تأمر وأن تتوقع من يطيعها في أي مكان، أما أفغانستان فقد أفرغوها من الطعام والشراب والأمان..

والعراق لا طعام ولا شراب ولا أمان ولا نظام ولا حكومة. وإنما احتلال راسخ حول آبار البترول.. وقد انفتحت الحدود الأردنية لتجار

العراق، ودخلت مئات ملايين الـدولارات.. وانفتح البـاب للعراقيين اليـهود ليعاودوا حياتهم ونشاطهم..أما القانون والديمقراطية فـالظروف لا تسمح الآن - وربنـا لم يـخلق الدنيا في يوم واحد.. لقد انتظر الشعب العراقي ثلاثين عامًا فلماذا لا ينتظر حتى ينجح الرئيس بوش في الانتخابات المقبلة؟!

وفي عبارة واضحة: شارون لن يتغير وعرفات لن يتغير.. والأقوى هو الذي يطرد الأضعف، فإذا خرج عرفات لأي سبب، فسوف يزداد التمسك به حاضرًا وغائبًا.. لأن جريمة عرفات أنه زعيم وطني اختاره الشعب. وما دام حيًا فلن يفرط في حقوق الشعب. ولا يهمه أن يقال إنه إرهابي. ومن ليس إرهابيًا في ظل الاحتلال؟! لقد كان كل زعماء إسرائيل إرهابيين أيام الانتداب البريطاني.

أما خريطة الطريق - الخريطة المزعومة والطريق الوهمي، فإن لم تكن كفنًا فهي نعش لكل أمل في السلام في هذا القرن!

الفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل له رواية اسمها: عفريت في الضاحية.. يتحدث عن تغيرات عجيبة أصابت الناس، وكانت النتائج مروعة.. شيء من مثل ذلك في بغداد وطهران.. فبعض رجال الدين الذين وضعهم صدام حسين تحت الأرض، ظهروا على وجه الأرض وطلبوا من المرأة أن تدفن وجهها وألا تخرج وألا تقود سيارة.. وألا تكون بشرًا..

بينما رجال الدين في طهران يواجهون غزوًا شبابيًّا يهتف بسقوط من كانوا يركعون أمام ظله... وفي المظاهرات العنيفة قصرت المرأة فستانها وضيقته على جسمها وجعلت له ولشعرها ألوانًا، وظهرت لها من تحت الحجاب وجنتان وشفتان... وفي عمان قالوا: يجوز للمرأة أن تكشف وجهها أمام صناديق الانتخابات؟!

وانسحب من فوق المنابر أكثر من ألف خطيب... فقد (زودوها)... أي كانت الجرعة الدينية كالحقن في الجلد، وفي العضل. لماذا؟

يقال إنهم الأمريكان قد طالبوا بذلك من سنتين - أي من بعيد لبعيد، فلما أصبحت أمريكا ملاصقة لكل الحدود العربية وقد اتهمت الإسلام بأنه مصدر الإرهاب في المنطقة، وفي العالم فلابد أن يغير المسلمون مادة الدين وطريقها إلى الناس، ويقال إن بعض دول الخليج حذفت آيات وأحاديث من برامجها.

أنا لا أعرف بالضبط كيف هددت أمريكا الدول الإسلامية.. ولكن لا أستبعد أن تفعل ذلك، ونحن لا ننسى ماذا قال الرئيس بوش من أول لحظة: إنها حرب صليبية. وعاد الرئيس وخفف من وقع هذه الكلمة الشنيعة... خفف اللهجة علنًا فقط ولكنه ضاعف التهديد سرًّا!

والشباب الإيراني يهدد ويتوعد في طهران، ورجال الدين يحذرون من الوقوع في الفخ الأمريكي، ولكن ألوف الشبان قد عكفوا على شبكة الإنترنت يتفرجون على غانية إيرانية تحكي للشبان ماذا حدث لها وماذا فعلت وماذا فعلوا بها.. بالصور الملونة؟... ولا أحد يستطيع أن يوقفها.. فمذكرات هذه الغانية هي (خريطة الطريق) إلى التحرر والتحلل... وهي النتيجة الطبيعية للضغط وتقييد الحريات والكبت العاطفي والقهر الفكري والإرهاب السياسي.. فكل شيء يتفجر وتتجه الشظايا إلى اليمين وإلى اليسار... والذي نراه الآن ليس إلا المقدمة... أما النتائج فعلمها عند الإنجليز والأمريكان - اللهم الطف بالشرق الأوسط والأدنى والأقصى!

الرئيس بوش هو موضوع لعلماء النفس الأمريكان. لا لأنه رجل مجنون، لا سمح الله. ولكن لأسباب أخرى. ففي أمريكا معاهد ومجلات مشهورة تعبر عن مدرسة في علم النفس وفي التاريخ هي (التفسير النفسي للتاريخ).

وقد طبق هذه النظرية وبمنتهى البراعة أستاذنا عباس العقاد في سلسلة العبقريات وفي الدراسات الأدبية: ابن الرومي

وأبو نواس وشعراء الغزل وغيرهم. كان العقاد يظل يبحث حتى يجد (مفتاح الشخصية). ويكون المفتاح دقيقًا صغيرًا. ولكنه قادر على أن يدخل بك في سراديب الشخصية فإذا أنت فاهم كل ما لم يكن مفهومًا لديك. وكان أستاذنا طه حسين ينكر عليه ذلك..

وفي البرنامج التليفزيوني الوحيد الذي أعددته لطه حسين مع عدد من الأدباء استنكر دراسة العقاد للشاعر أبي نواس. وقال ليس هو العقاد الذي يتكلم:

إنه العالم النمساوي فرويد!

ولم يكن طه حسين مبالغًا، ولا كان الأستاذ العقاد.

وفي أمريكا الآن هيئات مهمتها التفسير تفسيرًا نفسيًّا. فالرئيس بوش الابن شديد التعلق بأمه وفي الوقت نفسه ليس كذلك بأبيه.

فنحن إذن أمام عقدة الفتى أوديب الذي عشق أمه وقتل أباه.. فبوش الابن دخل نفس المدارس والجامعات التي دخلها أبوه، وتخرج فيها. واشتغل بصناعة والده: بيع وشراء البترول.

وقد زاد ارتباطه بأمه عندما ماتت أخته بالسرطان وكان في السادسة من عمره. فاقترب من الأم التي عانقته طويلاً عندما سمعته يقول لزملائه: لا أستطيع أن أترك أمي وحدها في هذه الظروف..

وأبوه قد استخدم صدام ثم حاربه وهزمه وطرده من الكويت. وكادت القوات الأمريكية تدخل بغداد فردها بوش الأب على مدى سبعين كيلو مترًا. فجاء الابن وسار في الطريق نفسه وانتصر. وقضى على صدام حسين. وسوف ينجح حيث فشل أبوه في الفوز بفترة رئاسية ثانية!

ويقول علماء (نفسانية التاريخ) إن بوش الابن قد أسعد أمه كثيرًا ولم يسعد أباه الذي حذره من الحرب وحذره من مكافحة الإرهاب. وطلب إليه أن يكتفي بهذا القدر من النجاح.. ولكن الابن ردد ما قالته أمه:لا!

كلمة (أحسنت)..

نجحت فكرة مهرجان الإذاعة والتليفزيون. وفي نجاح المهرجان تأكيد لاحترام الجميع للقاهرة. ويؤكد احتياج الفنان إلى من يقدره ويقول كلمة واحدة: أحسنت.

كثير من الفنانين المكرمين ليسوا في حاجة إلى تكريم فقد حصلوا على كل ما يمكن من المال والشهرة والمجد، ولكن الفنان لا يرتوي. إنه ولد وعاش ويعيش بين موجات التصفيق حتى ولو لم يكن هناك فلوس وكثير من الفنانين مجهولون فالفن مثل الساعة، الظاهر فيها العقارب.. ولكن العقارب تتحرك لأن هناك تروسًا مجهولة تدور حول بعضها بعضًا في دقة وإحكام ولولاها ما عرفنا النهار من الليل. هذه القوى الخفية يجب أن نقول لها: أحسنت!

ولأن الفن لا حدود له فليس الفن مصريًا وإنما هو عربي، هو إنساني وإذا نحن كرمنا المصريين فالأشقاء العرب يستحقون التكريم أيضًا لأنهم حاولوا وتعبوا ونجحوا وأسعدوا وأضافوا وأهلاً بهم في كل وقت..

وكما في المكتبات مطبوعات من كل العواصم العربية، ففي العواصم العربية أيضًا مطبوعات لأدباء وشعراء ومؤرخين وعلماء وساسة مصر وهذه فرصة متجددة لتأكيد أن القيم لا وطن لها، فالأغنية الجميلة جميلة في كل بلد عربي لأن لنا ذوقًا واحدًا وتراثًا مشتركًا، وكذلك في الأدب والفكر والسياسة والاقتصاد والعلوم..

والمفكر الإنجليزي أرسكن يقول: سلمني زمام الموسيقى في أي بلد وأنا قادر على نشر الحب والسلام بين الناس.

ولسنا في حاجة إلى من يمسك الزمام.. وإنما نحن في حاجة إلى من يفتح الأبواب والنوافذ.. وأن يعطي المواهب حظها من التعبير.. وفي جو الحرية تنمو المواهب، ويتقدم الإنسان.. ومهرجان الإذاعة والتليفزيون هو زفاف الفن إلى القيم الرفيعة من أجل أن تزول الفوارق وأن يتحقق السلام النفسي والعقلي بين المواهب والشعوب..

كبائــر بــوش الصغيــر!

قالوا إن المهدي المنتظر سوف يظهر ليملأ الأرض عدلاً بعد أن امتلأت ظلمًا.

واختلفوا. قالوا: صدام حسين.. وقالوا: بن لادن.. وقالوا: شارون..

ولسنا في حاجة إلى أن نكون من أسماك القرش لنشم رائحة الدم في كل مكان.. ولكن طلع علينا الأمريكان بأن المهدي المنتظر من أيام الرئيس ويلسون هو الرئيس بوش الصغير. هو الصغير سنًا ولكنه أكبر من بوش الكبير ألف مرة. فبوش الكبير حارب أكثر من دولة، ولكن بوش الصغير يحارب كل الدنيا باسم العدل والحرية والديموقراطية والتسامح الديني، وقد تغطى بأوراق التوت من طراز أباتشي. أما أغصان الزيتون فهي من طراز سي. إيه.ا. وإف بي. آي. والموساد..

وكلها سنة أو سنتان ويتفرغ الرئيس بوش لكتابة مذكراته مثل اعترافات القديس أوغسطين. وهو مثل القديس أوغسطين يحب أمه.. وهو مثل الفتى (أوديب) يحب أمه ويكره أباه.. وهو مثل الفنان زويكس الذي رسم لوحة لرجل يضحك فظل هو يضحك حتى مات.. وسوف يرسم الرئيس بوش لوحة لطفل يبكي وسوف يبكي عليه حتى يموت..

صحيح أن بوش الصغير ليست في حياته مونيكا.. ولكن مونيكا الجميلة أهون كثيرًا من ألوف الأرامل والأيامى واليتامى والمشوهين

والجياع.. إنها حكاية أستاذنا سقراط وبلدياتنا جحا. قال أستاذنا سقراط إن رجلاً كان يحصي عدد حبات السمسم في جيبه فوجدها كثيرة جدًا فلكي يسهل هذه العملية أتى بكميات أخرى ليعدها معًا.. أما جحا فكان يملأ جيبه بحبات الحمص ليعرف متى يجيء العيد، فكان يلقي من جيبه كل يوم حبة. وفي يوم لاحظت ابنته أن والدها مغرم بالحمص فملأت جيوبه. فسألوه: متى العيد ياجحا.. فأدخل يده في جيبه وقال: السنة دي مالهاش عيد!

هذا ما يفعله الرئيس بوش.. أراد أن يحل مشكلة فلسطين فأنشأ فلسطين أخرى في العراق أعنف وأقسى وأصعب.. وبقدر ما فيها من بترول، سوف يكون فيها دم ونار ودخان.. وهكذا بذلك تتحقق نبوءة العراف الفرنسي نوسترادموس ويصبح العراق ضحية صدام مرة وضحية بوش ألف مرة!

أغنيــات تطريــك

طبيعي لا أحد عندما يسمع الأغاني الجديدة المعاصرة يقول: الله.. أو لا يتراخى في مقعده ويضع يده على خده ويقول:

يا سلام ياست.. أو يا أستاذ.. أو يا حليم.. فأنت مع الأغاني الجديدة قد زودوك بمقاعد فيها مسامير.. أو لا داعي للمقاعد.. وإذا كان فيك نفس فارقص ولا يهم ماذا يقول المغني.. ففي كل الأغاني الحديثة خمسين ستين لا توجد إلا ثلاث أغنيات تطربك. من بينها أغنية: سيدي بعادك للمطربة المصرية أنغام..

فهل هذا انحطاط للأغنية؟ الجواب: لا.. إنها موضة.. مزاج.. أو لغة العصر. فمن شاء أن يغني ويرقص ومن شاء أن يغني فقط أو يرقص فقط، وكما يوجد السندويتش والهامبورجر توجد أيضًا الوجبات الجالسة والولائم.. وأنت تختار ما يمتعك..

حتى برامج: سمعنا صوتك واستوديو الفن وغيرهما، فهم يختارون ما يعجب الجمهور الشباب في الاستوديوهات أو في البيوت.. وفي الوقت نفسه هناك ألوف السعداء الذين يذهبون إلى الأوبرا.. ففي الأوبرا كل التراث الغنائي الجميل. وقد سمعت من أشقاء عرب أن الأوبرا المصرية هي أعظم وأجمل معالم ليالي القاهرة. وأن هناك طريقين للسعادة الفنية: أن يذهبوا إلى الأوبرا وألا يسمعوا هذه الأصوات الجديدة المصابة بفقر الدم وهيافة الكلمات وتفاهة المعاني.

وأذكـر أن فريد الأطـرش سألني في إحـدى الـمـرات عن أغنية للمطربة الكبيرة صباح.. فقلت له: يا سلام: طبعًا جميلة.. لحن فريد الأطرش وغناء صباح!

واليوم جاءنا من لبنان (لحم) صباح.. فالمطربات اللبنانيات جميلات أنيقات ظريفات. وليس هذا غزوًا.. لأن القاهرة هي صوت وسوق العرب.. لكل مطرب وملحن وشاعر وأديب - هي الآن وكانت وسوف تبقى كذلك. فالفن الجميل لا دين ولا وطن ولا لون له. إنه فن جميل على رءوس الجميع..

كلمة واحدة

آسف، رجعت في كلامي. فقد كنت أتوقع أن الرئيس بوش لن يعاد انتخابه. والسبب عندي أن أحدًا لا يريد حل القضية الفلسطينية. وإن كان الرئيس بوش يريد. فقد ضحكوا عليه وقالوا له: أنت رجل متدين وكلمتك واحدة. ولذلك فالجالية اليهودية الأمريكية القوية ستعمل على إسقاطه. وتأتي بواحد يتنصل من كل كلمة قالها الرئيس بوش. وهكذا تعود القضية الفلسطينية كما بدأت من خمسين أو من مائة سنة. وكأننا يابدر لا رحنا ولا جينا. وعلى ذلك فليس من المصلحة إعادة انتخاب الرئيس المسيحي الطيب جورج بوش الذي كلمته واحدة.. وهو الذي قال لنا ذلك: أنتم تعرفون أن جورج بوش، كلمته واحدة. وإذا قال فعل!

عرفنا ياريس الكون.. وسمعنا وأطعنا ودعونا الله أن يعيدك إلى البيت الأبيض كمان وكمان!

ولكن الجالية اليهودية القوية في أمريكا ليست في حاجة إلى شن الحملات على بوش الذي أصبحت جيوشه على حدود إسرائيل. ثم إنه لن ينسى الدور العظيم الذي قام به العراقيون اليهود. لقد قدموا له العراق حكومة وزعيمًا وجيشًا وبترولاً وشعبًا بأقل تكلفة. هل سمعتم أن حربًا جبارة مثل حرب أمريكا على العراق وفي العراق يكون ضحاياها أقل من ضحايا أي مباراة في كرة القدم بين مانشيستر

يونايتد وريال مدريد؟ هذا ما حدث في العراق. ومنذ نهاية الحرب لم يمت سوى خمسين أمريكيًّا!

ثم إن الرئيس بوش بدأ يتراجع في وعوده وعهوده، فهو يلوم الفلسطينيين على أنهم لم يسمعوا كلامه. ولم يحلوا أنفسهم، ثم إن السور الخرساني الفاصل بين فلسطين وإسرائيل قد وصفه الرئيس بأنه (حاجز) كالذي يجده في حظائر الدجاج. أي أنه شيء تافه. ولم يكتف سيادته بذلك. وإنما قال: لكي تتوقف إسرائيل عن بناء السور، يجب أن يبدأ الفلسطينيون بهدم البنية التحتية لفصائل المقاومة أو بعبارة أخرى: يقف البناء إذا بدأ الهدم!

ولذلك أعتقد أن الرئيس بوش سوف يعود إلى البيت الأبيض على حصان أكثر بياضًا!

المريخ أوضح..

في يوم 27 أغسطس الحالي ولأول مرة من ستين ألف سنة يقترب كوكب المريخ من كوكب الأرض ويكون على مسافة 55 مليون كيلو متر. ولن يعاود هذا الاقتراب مرة أخرى إلا في يوم 28 أغسطس سنة 2287.

فهذه هي فرصتنا الأخيرة لنراه أقرب وأكثر لمعانًا في السماء – أقل لمعانًا من القمر والزهرة. ولكن يمكن بالعدسات المكبرة العادية أن نراه أحمر باهتًا في السماء.. تمامًا في حجم القرش إذا نظرنا إليه من مائة متر..

وفي عيد الميلاد القادم سوف تهبط سفينة الفضاء الأوروبية على سطح المريخ.. وفي يناير تهبط سفينة الفضاء الأمريكية.

وسوف تتجه كل عدسات المراصد الأرضية والمدارية وعدسات الهواة إلى المريخ لرؤية أوضح وصور أقوى، والهدف: شكل التربة وما إذا كان فوقها أو تحتها ماء. فإن كان ماء أو جليد، فمعنى ذلك أن هناك حياة كانت حياة أو لاتزال أو من الممكن أن تكون..

يعني إيه؟ يعني أننا نبحث عن أصلنا في كل الكواكب حولنا.

فحياتنا على الأرض إنسانًا وحيوانًا ونباتًا قد جاءت من فوق.. ثم تطورت بمرور ملايين السنين.. ومعنى ذلك أيضًا أن كل الميكروبات والفيروسات جاءت من فوق ولاتزال تجيء. ومعنى ذلك

أيضًا أن هذه الكائنات الصغيرة قد مرت بتجارب قاسية جدًّا من الحرارة والبرودة والمغناطيسية والجاذبية وتغلبت عليها وتطورت وتحورت واتخذت الأشكال التي نفاجأ بها كل يوم على كوكبنا تصارعنا ونقاومها..

وليس بالقليل إذا نحن تطلعنا إلى حل هذه الألغاز الكونية.

وحققنا شيئًا من النجاح.. أما الباقي فسوف يجيء!

معرفة رأي الناس

أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية عن موقع لها على الإنترنت. الموقع اسمه: بورصة الأخبار. يعنى إيه؟ يعنى أنهم يعلنون عن خبر ويطلبون إلى القراء أن يقولوا رأيهم وأن لهم جوائز. مثلاً: كيف تتوقع نهاية الزعيم الفلاني.. هل سيموت بالسم أو بالرصاص أو موتة ربنا أو أن انقلابًا سوف يقع في بلاده؟ أنا لم أذكر أي اسم. ولكنهم في هذه البورصة يذكرون الاسم والجسم..

وقد اعترضت إحدى لجان الكونجرس على هذه الفكرة، وقالوا: سخيفة جدًا. ولكن وزارة الدفاع وافقت عليها. وقالت: إنما أردنا أن نعرف رأي الناس. إننا نجمع أخبارًا عن الرأي العام في بلد هذا الزعيم أو في البلاد الأخرى. وقالت وزارة الدفاع: ونحن على موعد مع القارئ.

لأننا نطلب منه أن يقول لنا كيف سيموت الزعيم الفلاني وله الحلاوة. والحلاوة بضعة آلاف من الدولارات...

هناك أخبار أخرى كثيرة تريد أن تعرفها وزارة الدفاع من ملايين القراء. ومن كل هذه الآراء تستطيع المخابرات أن تضع يدها على مواجع الناس في الشوارع والبيوت والمؤسسات والمنظمات. وقد تساءلت إحدى لجان الكونجرس: ما الرأي وما الموقف إذا عرف أحد الزعماء وكان صديقًا لأمريكا أنه معروض في المزاد العلني كل يوم؟!

مثلاً هذا السؤال ـ هذا المثل من عندي أنا ـ متي يروح شارون في ستين داهية... قتيلاً.. طريدًا.. مسمومًا.. مهزومًا؟ فهل تستطيع وزارة الدفاع الأمريكية أن تضع اسم شارون؟! الحقيقة أنها لم تضعه.

وإنما وضعت أسماء زعماء آخرين.. فما موقف الحكومة الامريكية إذا عاتبها الصديق بأنها تستعدي عليه شعبه والشعوبِ الأخرى؟ ثم كيف تقابله بالأحضان في البيت الأبيض ثم تفتح له هذه الشبكة ليسقط فيها؟!

لم يستطع الكونجرس أن يلغي هذا الموقع. فوزارة الدفاع تريد أن تعرف وأن تدفع الناس إلى مستنقع النفاق لأصدقاء وأعداء أمريكا عبر الآبار والأنهار!

من 25 عامًا يحاولون في أمريكا القضاء على ورد النيل ـ ذلك النبات الفخم الضخم ذو الزهور الزرقاء الجميلة والأوراق العريضة والأغصان المتينة ونحن نرى ذلك في النيل والترع في مصر ونحاول أن نمزقه باليد أو بالأذرع الحديدية. وهذا النبات قد أصاب العالم كله قادمًا من حوض نهر الأمازون في أمريكا اللاتينية. وقد نقلوه إلى الحدائق في أمريكا وأوروبا وإفريقيا لجماله. فاتخذوه للزينة. وتكاثر هذا النبات بسرعة وانقلب علينا شيطانًا قاتلاً.. فهو أولاً يمتص الماء ـ الكثير جدًّا من الماء. ـ ثم إنه يغطي سطح الماء ويحرم الكائنات والأسماك من أن تتنفس فتموت.

والأمريكان وجدوا حشرة صغيرة طولها مليمتر ونصف. هذه الحشرة تنفث سمومها في سيقان النبات وفي السيقان التي ترفع الزهرة والبذور فتقضي عليها. وهذه الحشرة لحسن الحظ سريعة التكاثر كما وجدوا في الهند وفي أمريكا اللاتينية حشرات أخرى قاتلة لهذا (العفريت الأزرق) – كما يسمونه.. وفي بلاد السنغال يسمونه: عفريت البنغال.. أو لعنة البنغال. ومن الممكن أن نسميه في مصر نبات (وأد النيل).

ولا أعرف كم هي المساحات التي يغطيها في بلادنا ورد النيل، وكم مليونًا من الأمتار المكعبة يمتصها ويحرمنا منها.

ولا أعرف إن كنا قد جربنا هذه الحشرات في معاهدنا العلمية أو على نطاق واسع. وإن كنت أتمنى شيئًا من ذلك..

وقد قرأت في مجلة (العلوم الأمريكية) أن عددًا من العلماء قد قاموا بتجارب جديدة على هذا النبات من بينها إصابته بالشلل.. ومن بينها تربية عدد من الطيور لا تأكل إلا بذوره.. ثم إنهم أتوا بأنواع مختلفة من الحشرات من حوض الأمازون ومن أواسط إفريقيا. وقالوا إنهم نجحوا إلى حد كبير. وقد سألت بعض الباحثين تليفونيًّا فأحالوني إلى (الموسوعة الزراعية الجديدة). وقرأت تحت كلمتي (ورد النيل) وطريقة إبادته.. وأدهشني أن بعض الحشرات قد استوطنت هذه النباتات الخضراء الرائعة المروعة. وأنها لم تعد راغبة إطلاقًا في أن تعض اليد التي أطعمتها. لقد استأنسها ورد النيل. ويقال إنها انقلبت تدافع عن ورد النيل؟! - عجبي!

طريـــق العلميـــن..

فزورة: إيه اللي زي الثعبان أسود ضخم طوله 130 كيلومترًا وتظهر على جلده علامات بيضاء وتدوسه العربات فلا يموت وهي التي تموت؟!

إنه طريق العلمين إلى الإسكندرية، فقد اختصر ثمانين كيلومترا، أي جعل الوصول إلى الموت أسرع، فالطريق ليس مرصوفًا جيدًا، وليس به أي معالم يهتدي بها السائق ليلاً، الأرض ابتلعت الإشارات البيضاء، أو ضاعت تحت العجلات وأشعة الشمس الحارقة، فقط عندما تقترب من الإسكندرية، عندما تقترب جدًّا تظهر بعض أعمدة النور التي لم تعرف الكهرباء بعد.

وكل من مشى في هذا الطريق ليلاً له حكاية ويحمد الله أن أنقذه وأولاده من الموت المحقق.. ولا أعرف بالضبط ماذا يقولون عندما يرفعون أيديهم إلى السماء ويذكرون بالخير الصديق د. إبراهيم سليمان وهو من أنشط الوزراء وأخفهم دمًا.. فواحد يقول إنه كانت هناك سيارة واقفة وقد أطفأت الأنوار، ولكن الله سلم في آخر لحظة.. وآخر يقول لك إنه مشى وراء سيارة لوري لها مقطورة تتلاعب يمينًا وشمالاً، أو إنه فوجئ في الظلام الدامس بعدد من الجمال الشاردة، والويل لمن نقص من عنده الماء أو البنزين أو انفجرت إحدى عجلات سيارته، فلا تليفون ولا إسعاف، وإنما الداخلون مفقودون.

والناس لا يطلبون شارعًا حريريًا.. وإنما فقط أن تظهر العلامات البيضاء ليمشوا عليها إلى شاطئ الأمان، فقط لا أكثر من ذلك بأن يضاء الشارع من أوله لآخره.. ولو بالفلوس.. وإنما أقل من ذلك بأن تظهر على صدر الشارع تلك العلامات التي يهتدي بها السائقون في الليل الفاحم.. وليس هذا بكثير لا من الناس، ولا على السيد الوزير!

إلا إذا كان الغرض من ظلام الشارع تحديد النسل.. ممكن.. ولكنَّ هناك طرقًا ألطف وأرق يا سيادة الوزير.. لا نسألك رد القضاء وإنما اللطف فيه.

زرايــــر بنطلونـــه..

الرئيس كلينتون أشهر رئيس سابق في العالم. لقد كان رئيسًا فذًا في فترتي الرياسة. وقد نشرت الدنيا كلها علاقته بالفتاة مونيكا التي أدت إلى أكبر فضيحة في كوكب الأرض.. وخلال ساعتين من المحاكمة توقفت فيها الأرض عن الدوران. وأحسست أن كلينتون عندما كان يبلل ريقه بالماء ليرد على أسئلة القضاة، أنه شرب كل مياه البحار والأنهار – لقد جف ريق ستة آلاف مليون نسمة في تلك اللحظة.

واستطاع أن يفلت من فضائح كثيرة – علاقته براقصة 12 عامًا وبواحدة أخرى خمس سنوات.. وقالت زوجته هيلاري: إنه كان من الممكن أن يكون أعظم لو توقف عن فك زراير البنطلون عمال على بطال – وهذه عبارتها.

ولكن وسوف يكون له وضع مميز. فزوجته عضو مجلس الشيوخ.

ومن الممكن أن تكون أول رئيسة لأمريكا. ومعنى ذلك أنه سوف يدخل البيت الأبيض مرة أخرى عندما تصبح السيدة الأولى الرئيسة الأولى.. أي السيدة الأولى والسيد الأول!

ولايزال كلينتون يتمتع بالجاذبية وروعة الحضور والفصاحة والشجاعة أيضًا. والرئيس كلينتون قد زحف على قدميه ورجليه ليكون عند القمة..

.. فقد نشأ في بيئة صعبة جدًّا. زوج أمه كان سكِيرًا وكان يضربها كثيرًا وفي مذكرات أمه تقول: إنها لن تنسى لابنها مواقفه الشجاعة ضد هذا الرجل الشرس. وأمه كانت ممرضة وتضع الأبيض والأحمر وتنام حتى إذا استدعوها قفزت من السرير إلى الشارع إلى السيارة. وكان أخوه منحرفًا مدمنًا. واستطاع أن يفلت من مظاهر الإفساد والانحلال والإدمان في أسرته وأن ينفرد بالقمة في أمريكا كواحد من أعظم رجالات القرن العشرين.

وفي شجاعة أعلن أن إسرائيل يجب أن توطن نفسها من الآن على أنها سوف تنسحب من الضفة والقطاع إذا أرادت السلام في الشرق الأوسط!

وعلى الرغم من الكتب الكثيرة التي أصدرها عنه زملاء الدراسة والعمل في البيت الأبيض، إلا أننا في شوق إلى قصة حياته بقلمه!

الكلام عن الحيوانات أمتع..

فعندما دعاني الرئيس دنكتاش رئيس قبرص التركية إلى الغداء كنا وحدنا في المطعم النظيف الذي تدلت عليه الستائر.. وفجأة لاحظت أن عددًا كثيرًا من الذباب قد تسلل.. فنظر لي الرئيس دنكتاش وقال لي: هذا الذباب يغزونا من قبرص اليونانية!

ولم أقل: لو كانت قبرص التركية نظيفة ما جاء إليها!

وفي برلين قامت مظاهرة من مئات الكلاب، يطالب أصحابها بحق الكلاب في الحرية والحياة الهادئة. وهم يطالبون بمساحات أكبر تلعب فيها الكلاب، وفي الوقت نفسه لا داعي لربطها بالسلاسل معظم الوقت!

وفي روما مظاهرة أخرى من أصحاب الكلاب. فقد أصدرت الحكومة الإيطالية قوانين صارمة بأن تظل الكلاب مربوطة بالسلاسل، وأن تبقى الكمامات على أفواهها خوفًا من أن تعدو على الغرباء من الناس.. والعقوبة ثلاثة أشهر سجنًا أو غرامة بالشيء الفلاني.. والحكومة لن تتراجع.

أما آخر أخبار قبرص التي انقسمت نصفين سنة 1974 بقدوم القوات التركية إلى شمالها والبقاء فيها، فقد احتج القبارصة اليونانيون على القوانين التي أصدرها الرئيس دنكتاش بأنه لابد من

التأشيرة لدخول قبرص التركية.. آخر كلام.. واليونانيون يريدون الدخول والخروج من غير تأشيرة كأنها دولة واحدة!! أو لابد أن تكون واحدة يومًا ما!!

وكان الرئيس دنكتاش قد قال في إحدى المرات: إن السكان الأصليين لقبرص من الحمير.. ولذلك أطلق القبارصة اليونانيون عددًا كبيرًا من الحمير لعبور الحدود بين الدولتين.. واعترض كثيرون.. المشتغلون بالسياسة رفضوا دخول الحمير مجال السياسة.. أي تسييس الحمير.. يكفي جدًّا (حمورية) الساسة!

وجماعات الرفق بالحيوان في قبرص وفي بريطانيا اعترضت على تعذيب الحمير وتركها بين تركيا واليونان.

أما النظريات المطروحة الآن فهي: التعايش السلمي بين الإنسان والحيوان.. الحمير في قبرص والكلاب في ألمانيا وإيطاليا.. عجبي!

نظرية: الابـن البكر أقـوى وأنـجـح. والـذي يليه يكون مسالمًا دبلوماسيًا. صاحب هذه النظرية مؤرخ ومحلل أسترالي هو: مايكل جروس في كتاب له بعنوان (لماذا الابن الأكبر يحكم الدنيا والأصغر يريد إصلاحها)...

فقد لاحظ ذلك الأستاذ جروس بعد دراسة لمئات الزعماء والقادة والأغنياء والـرواد في كل المجالات، فالابن الأكبر هو الابن الذي يحظى بفرحة الآبـاء والأمـهـات. وكثيرًا ما كان ذلك سببًا في أن يعوض الأبناء الآخـرون هذا النقص بالاجتهاد أو بالانسحاب ـ كأنهم غير مرغوب فيهم..

يقول المؤلف: إن معظم رواد الفضاء هم الأبناء الأكبر.. الأكثر شجاعة وجرأة واستعدادًا للتضحية من أجل المجد.. وكثير من هؤلاء لم يستعد لياقته العقلية والبدنية. ولكنهم عاشوا في زفة شعبية إعلامية.

وأول إنسان نزل على القمر اسمه نيل أرمسترونج هو ابن وحيد..

وكثير من الذين فازوا بجائزة نوبل هم الأبناء الأكبر.. وكذلك كان تشرشل وستالين وصدام حسين وموسوليني وكارتر وكلينتون..

والممثلون: همفري يوهارت وستالوني وشين أوكنري. أما نابليون وهتلر وتاتشر وبوش وتوني بلير، فلم يكونوا الأكبر بين الأبناء..

فما الذي يريد أن يقوله المؤلف للآباء والأمهات؟ لا حيلة لأحد في أن يكون الابن الأكبر أو الابنة الكبرى. هذا قضاء وقدر.

ولا حيلة لأحد في أن يكون الأصغر. ولكن الآباء يقعون في غلطة تربوية وهي أن يبالغوا في تفضيل الأكبر عن بقية الأبناء. وهم الذين يدفعون الأصغر إلى الانحراف.. بأن يعمل على إثارة اهتمام وشفقة الوالدين.. بالمرض أو التمارض أو بالسقوط في الامتحانات أو بالحقد عليهم وعلى الأخ الاكبر. هنا يجب أن يتنبه الأب والأم إلى خطورة ما يرتكبون من جريمة بحسن نية..

ومن الممكن أن يكون العكس أيضًا. فقد يفسد الطفل الأول أو الطفل الوحيد بسبب التدليل المستمر. حتى إذا جاء طفل آخر يكون الطفل الاكبر قد فسد نهائيًا، ويكون ذلك مبررًا لأن يحاول الطفل الثاني أن يصير أحسن وأفضل.

صحيح أن القدر هو الذي يلعب وهو الذي اختار..ولكن لم يكن القدر دائما هو الذي يعمل.. فالآباء يستطيعون أيضًا!

نبوءة: بعد 125 ألف سنة سوف ينقرض الرجال، ويتركون الأرض ومن عليه للمرأة! أحد علماء الإنسانيات والفلك اسمه بريان سايكس يقول ذلك- وهي أمنية الرجال وأمنية النساء أيضًا، فقد تعب أولاد آدم من بنات حواء.

ولم يرضوا بقدرهم وهو أن يعيشوا معًا، وبسرعة قامت المجلات النفسية والاجتماعية تسأل النساء: كيف تكون الحياة بلا رجال؟

واحدة قالت: والله أحسن، فاختفاء الرجل سوف يوفر علينا العذاب عند الكوافير والرجيم والكعب العالي.

وواحدة قالت: خسارة ومن الذي سيغسل الأطباق ويرتب السرير ويأخذ باله من العيال؟

وواحدة قالت: والله أحسن.. ونعيش من غير وجع قلب! فالنساء، عندما يجلسن معًا لا يكون الحديث لهن إلا عن الرجل، قطيعة!

وواحدة قالت: سوف تصبح الحياة كئيبة فمن أجل الرجل نتجمل ونقلب في مجلات الموضة ونبحث عن أحدث الألوان والتسريحات وندخل في مناقشة مع من لا نعرف من النساء.. كل ذلك من أجل الفوز بالرجل والاحتفاظ به أطول وقت ممكن.

وواحدة قالت: ومن الذي سيدفع فواتير التليفون والكهرباء والبنزين.. ومن الذي سوف يجعلنا أمهات؟

وأخيرًا قالت واحدة: مأساة حقيقية للمجتمع.. إن اختفاء الرجال سيؤدي إلى اختفاء الحروب وإغلاق المحاكم والعيادات النفسية وتهريب المخدرات والمنشطات وإغلاق ملايين دور السينما والمجلات الجنسية.

وقد قدمت لنا أساطير الإغريق حكاية أن المرأة قررت أن تعيش وحدها رغم وجودها مع الرجال.. فقطعت ثدييها حتى إذا حملت خطأ مات طفلها جوعًا.. ثم كيف هربت النساء إلى إحدى الجزر ليعشن معًا: أخشن وأقسى حياة!

وكان أحد علماء الذرة قد أعلن أنه لو اختفت الحياة من الأرض بسبب انفجار نووي فسوف تبقى الخنازير، لأنها أقدر الحيوانات على امتصاص الأشعة.

إذن الخنازير هي البديل عن الرجل في كوكب كله من النساء!

ولكن المجلات لم تسأل الرجال عن الحياة بلا نساء، والإجابة نعرفها جميعًا.. إذن لم يبق غير ما نحن فيه الآن: الحياة معًا والبكاء على الأيام الحلوة التي عاشها أبونا آدم قبل أن تخرج منه حواء.. لكي تخرج عليه بعد ذلك.

كيف يجيء النوم؟..

وإذا كنت أنا تعبان فإنني لا أعرف كيف أنام.

وإذا كنت مستريحًا فلا أرى للنوم ضرورة. فأنا في الحالتين

لا أعرف كيف أنام. وأنظر إلى السرير كل ليلة في دهشة وأتساءل ما هذا: تابوت؟ هو زورق في محيط القلق والأرق؟ وكثيرًا ما أتلمس الفراش وأجده جافًا. وأضغط على المخدات وأتخيل أنها عالية أكثر من اللازم.. وأتقلب بين المخدات وتحت اللحاف وأنظر إلى النافذة. فإن كان هناك هواء خارج النافذة.. أغلقها وأحكم الغطاء على جسمي.. والتكييف؟ لا أستطيع أن أنام إذا سمعت صوته، ولا إذا خرج منه هواء.

فالذي يريحني ألا يكون صوت ولا هواء. ويجيء النوم؟

لا يجيء تمامًا كما لو كانت هناك عواصف ثلجية تهب ناحيتي وحدي. وأنظر من النافذة وأجد أجهزة التكييف تدوي في كل مكان، والنوافذ مغلقة والناس نيام. وأسمع من يقول إنه ينام عاريًا ـ أو كأنه. عريان ـ والهواء يهب عليه باردًا منعشًا؟! كيف؟ لا أعرف. ولكنهم يقولون إنهم كثيرون جدًا يؤكدون ذلك.

قالوا لي: أحسن لك تنام مثل نابليون؟

وكان نابليون ينام ساعات قليلة فوق حصانه في قلب المعارك الحربية ـ ولا عندي حصان ولا حرب ولا أنا نابليون.

وقالوا لي: إذن عليك أن تنام مثل صديقك كامل الشناوي!

وكان كامل الشناوي لا يكاد يركب السيارة حتى ينام، وكان يطلب منا أن ننطلق بالسيارة من الهرم إلى مصر الجديدة. وفي هذه الساعة يكون قد نال ما يحتاجه من النوم. فإذا طلع النهار فهذا أنسب وقت للنوم؛ لأنه لا ينام في الظلام.

والهنود يقولون: إن الإنسان كان يعيش في جسم حيوان قبل أن تنتقل روحه إلى جسم إنسان. وعلى كل واحد منا أن يبحث عن الحيوان الذي جاء منه والذي يحتفظ ببعض عاداته. وبحثت ووجدت. وقالوا لي: ليس أمامك إلا أن تنام كالحصان. والحصان ينام واقفًا.

ولكنني ما عرفت كيف أنام واقفًا ولا جالسًا ولا مستلقيًا.

إذن لم يبق إلا أن أنام مثل الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم. كان يركب الطائرة فتدور به في سماء العراق. أما الطيار فيتفرج على بغداد أو ضواحيها، بينما الزعيم العراقي يتنقل في الطائرة من مقعد إلى مقعد لعله ينام. وكان ينام.. بضع دقائق أو يخيل إليه ذلك!

حتى قرأت بالأمس أن أربعين معمرًا يابانيًا تتجاوز أعمارهم مائة سنة عاشوا طويلاً لأنهم لم يعرفوا النوم - فحمدًا لله!

كيف يلعب؟

إذا أردت أن تعرف شعبًا فانظر كيف يلعب. يلعب كرة القدم بالذات. هذا رأي علماء الاجتماع ودراسة السلوك الإنساني عند الانفعال. أي عندما يكون الموقف أقوى منك!

يعني يريدون أن يقولوا إن هذا العنف الذي تراه في الملاعب الأوروبية واللاتينية، هو أكبر دليل على أعماق المجتمع. فأعماق المجتمع عنيفة. وعنفها موجه ضد نفسها.. أحيانًا ضد اللاعبين حتى الذين يتحمسون لهم.. وضد الحكام الذين هم من شعب آخر غير شعب الفريقين المتنافسين.. ثم إن فوز الفريق أو هزيمته يضعه عند قدمي المدرب الأجنبي أو فوق دماغه!

فالمتفرجون أصبحوا جزءًا من اللعبة. وأكبر عقوبة للفرق المنافسة حرمانها من المتفرجين - فهي عقوبة مضاعفة للاعبين وللمتفرجين أيضًا. وكثيرًا ما كان عدم حماس المتفرجين سببًا في هزيمة فريقهم؛ ولذلك يقال: إن الفرقة الفلانية تلعب على أرضها ووسط جمهورها ومع ذلك قد انهزمت.. أي كيف تنهزم وهي على أرضها التي تعرفها وأمام جمهورها الذي يحبها ويتحمس لها ويصرخ ويطبل ويزمر!

فما الذي يحدث؟ إن الجمهور يشعر بأنه هو الفريق الذي يلعب.. وأنه هو الذي يكسب والذي ينهزم. وهو يصرخ فرحًا إذا جاء الجول،

وإذا ضاع يصرخ ويلعن ويشتم. وأذكر أنني ذهبت أتفرج على مباراة بين الأهلي والزمالك، وهي المباراة الوحيدة التي شاهدتها في الملعب. واندهشت جدًّا كيف أن أناسًا محترمين يقفزون وتتناثر من شفاههم ألفاظ نابية.. ويرغم أن اللاعبين لا يسمعونهم فهم حريصون على أن يتوجهوا بهذه الكلمات وبأعلى صوت كأنهم يريدون أن يسمعهم اللاعبون؟!

فكيف نحكم على الشعوب من هذه السلوكيات؟ علماء الاجتماع يقولون كلامًا غريبًا، ويربطون بين هذه السلوكيات والعنف و(القاعدة) وصدام الحضارات.. شيء غريب؟! مع أن هذا سلوك طبيعي؛ فعندما يشعر المتفرج بأنه هو شخصيًّا الذي ينهزم أو ينتصر، فالشعوب كلها متطابقة في سلوكها تمامًا. وأن الناس بسبب الكبت والضغط على أعصابها والإحباط ينفسون عن كل ذلك في الملاعب.. فلا لوم عليهم ولا على الكرة، ولا على المدربين.. بل إن الذهاب إلى الملاعب نوع من العلاج النفسي الجماعي.. وبالأهداف!

الرئيس مبارك يكرر النصيحة والتحذير لأن المواقف المأساوية تتكرر في فلسطين وفي العراق وفي أفغانستان. وكلام الرئيس مبارك واضح جدًّا ونتائجه مؤكدة؛ فهو يرى أن العنف أبو العنف، وأن الظلم أبو القهر، وأن القهر هو زناد القنابل البشرية في كل مكان..

والرئيس مبارك يحذر وينذر ويتوعد الذين يعالجون الظلم بالظلم والعنف بالعنف. يقول ذلك لإسرائيل ولأمريكا أيضًا. والذي سوف يواجهه الأمريكان في العراق أقوى وأشد.. إلا إذا عجلت أمريكا بإصلاح ما فسد في الدولة العراقية الغنية بالناس والحضارة والأرض الزراعية والبترول. ومليون جندي في الشارع وملايين من قطع السلاح في كل بيت وتحت كل بيت.

ولن تمر حرب العراق دون عقاب. أما عقاب الإمبراطور بوش والرئيس بلير فإنهما قد خدعا شعبيهما ولابد من المحاسبة.. فإن كنا قد نسينا فالذي حدث هو أن أمريكا قررت أن تحارب. انتهى. ورصدت المليارات وجمعت عشرات الألوف من جنودها وطائراتها وصواريخها وأقمار التجسس. وأرسلت الجواسيس والعملاء قبل احتلال العراق. القرار هو الحرب.. وبعد الحرب راحت تبحث عن أسباب الحرب. وكانت الأسباب جاهزة:

أن العراق لديه أسلحة دمار شامل، وأنه كما هدد الكويت سوف يهدد إسرائيل، ثم إن صدام حسين على صلة قوية بابن لادن.

وإنهاسوف تثبت ذلك لشعب أمريكا ولشعوب الأمم المتحدة، وكذلك أعلنت بريطانيا.. وحتى الآن لم يثبت أن لدى العراق أسلحة.. ولا ثبت أن كانت له صلة بابن لادن. إذن أمريكا وبريطانيا خدعتا العالم كله..

ولم يتعرض الرئيس مبارك في تحذيراته إلى موقف هاتين الدولتين من شعبيهما ومن شعوب العالم. ولكن الذي نفذ إليه الرئيس مبارك هو النار والشرار والدمار وإبادة الشعبين العراقي والفلسطيني، فإن هذا الفعل العنيف سوف يلقى رد فعل عنيفًا ضد هذه القوات الأجنبية: القوات الأمريكية والقوات الإسرائيلية التي لم يعترف بها الشعب الفلسطيني ودول الجوار العرب..

والذي نراه ونأسف له وعليه ونحزن على مستقبله ليس إلا القليل من الكثير الذي ضاع وسوف يضيع!

وصايـــة جديـــدة

مـادام الـهدوء لـن يسود فلسطين ففـي الأفق اقتراح (يطبخونه) سرًا هو: فرض الوصاية الدولية على فلسطين.. تمامًا كما فرضت (عصبة الأمم) الانتداب البريطاني عليها قبل ذلك..

ففي سنة 1915 أعلن الرئيس الأمريكي ويلسون أنـه ليس من الديموقراطية أن تحتل دولة أية دولة أخرى..

وبعدها بسنتين أعلن قائد القوات البريطانية التي احتلت فلسطين بعد طرد العثمانيين منها أن الغرض من الاحتلال هو تحرير الشعب الفلسطيني، وأمريكا أعلنت أن سبب احتلالها للعراق هو تحرير الشعب العراقي.. وقبل ذلك قال نابليون: إن احتلال مصر هو تخليصها من إذلال المماليك لها..

كما أعلن رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج احترامه التام لحق فلسطين وسوريا والعراق والجزيرة العربية في الحرية والاستقلال وإقامة الحكومات الوطنية.

وأكد (وعد بلفور) مرة أخرى كل التزامات بريطانيا في مساعدة العرب والبلاد التي استقلت أخيرًا عن الدولة العثمانية لنيل حريتها.

وفي سنة 1916 كانت اتفاقية (سايكس - بيكو) التي وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ووافقت (عصبة الأمم) على ذلك في المادة 22 التي جاءت فيها هذه العبارة الشاعرية: إن حرية هذه

الشعوب أمانة مقدسة في عنق الحضارة الإنسانية، وذلك بأن تتولى الدول (الراقية) حمل هذه الأمانة..

والتاريخ يعيد نفسه بعد تسعين عامًا بأن تقوم الأمم المتحدة بالوصاية على فلسطين حتى تحقق لنفسها الحرية والديموقراطية واختيار حكومة وطنية.. وهذه هي الأمانة المقدسة في عنق الولايات المتحدة وإسرائيل.

ولا أحد يسأل: ولماذا عجزت فلسطين عن تحقيق هذه الحرية طريقًا إلى الديموقراطية لقيام الدولة الفلسطينية! لا أحد يجيب ولن يجيب؛ لأن أمريكا قد وضعت الشعب الفلسطيني في السلاسل وراء الحوائط الخرسانية ثم قالوا: أرونا شطارتكم كيف تتحررون!

ولكن مادام الشعب الفلسطيني قد أصبح عاجزًا فلابد عن ذلك - إذن لابد من وصاية الأمم المتحدة تسعين عامًا أخرى - إنه ميلاد لمأساة جديدة!

منك لله يا محمد قابيل – فقد أطار النوم من عيني، بعد أن انتظرته ثلاثة أيام أتوسل إليه. ولكن لم أكد أسمع الزفة التي أقامها محمد قابيل للموسيقار رياض السنباطي في ذكراه، حتى اعتدلت في جلستي وكأنني سحقت طيور النوم. فماتت وبقيت صاحيًا. لقد أسعدني الناقد والملحن محمد قابيل بهذه التحيات العميقة الصادقة لموسيقار عظيم هو رياض السنباطي. وقد أشعل محمد قابيل النار في مستمعيه من العرب في كل مكان. وإن كان هو أكثرنا حماسًا ونشوة..

وتمنيت لو أن محمد قابيل قعد على حيله، وكلمنا بهدوء وهو يضع أصابعه على مواطن الجمال والأبهة في موسيقى وألحان رياض السنباطي.. وقد أسمعني (الأغنية المشكلة) من نظم الأستاذ العقاد والتي غنتها الفنانة نادرة التي رفض أن يلحنها محمد عبد الوهاب فغضب الأستاذ العقاد.. ثم لحنها السنباطي..

وأنا لم أر السنباطي إلا مرة واحدة وأجريت معه الحديث الوحيد في حياته ونشرته في مجلة (آخر ساعة). وقد صارحني برأيه في كل الفنانات وفي ابنه أحمد السنباطي.. كما استعادني الفنان أحمد السنباطي حكاية هذا الحديث اليتيم مع والده على قناة (الأوربت). وحتى عندما قرر صوت العرب أن يقطع هذه الزفة كان السبب أذان الشيخ محمد رفعت أكثر الأصوات العربية فخامة وشموخًا، وعندما

استأذن صوت العرب في أن يوقف تدفق محمد قابيل كان بسبب مسلسل لكاتب وفنان كبير هو إحسان عبد القدوس.

كأنما أراد صوت العرب أن يؤكد لنا أن الكبار يجتذبون بعضهم بعضًا، وكأنها دعوة للحفاوة بهم..

وعندي تجربة يعرفها محمد قابيل وهي أغنية (أنا هويت) لسيد درويش.. وكنت أمتحن بها كل المطربين الشبان في بيتنا. وقد غناها عبد الوهاب وغناها السنباطي. عبد الوهاب هو المفكر والسنباطي هو الفنان.. عبد الوهاب هو المهندس والسنباطي هو الرسام.. عبد الوهاب يغني من عقله والسنباطي يغني من قلبه – وقد أسعدنا التاريخ بأن عشنا في عصر هذين الرجلين.. وأم كلثوم!

الحل هو هيلاري كلينتون. الأمريكان يرون ذلك بعد الذي فعله الرئيس بوش في الشعب الأمريكي والذي فعله لزيادة كراهية الشعوب لأمريكا في الشرق والغرب والذي أدى إلى الوحدة الأوروبية بعيدًا عن أمريكا، والورطة التي وقع فيها الحليف الوحيد توني بلير. والرأي العام الأمريكي يزداد رفضًا للرئيس بوش الذي أزهق أرواح مئات الأبرياء وبدد مئات مليارات الدولارات بلا سبب، بلا قضية، فلا أسلحة دمار

ولا أسلحة دمار شامل في العراق، ولا علاقة لصدام حسين بابن لادن.. ولا الذين يقذفون الحجارة في فلسطين والصواريخ في العراق إرهابيون.

ولا يرون سببًا معقولاً لأن تمشي أمريكا العظمى وراء إسرائيل الصغرى في هدم البيوت وتجريف الأرض والقتل وقطع الأشجار حتى لا تقف وراءها قوات المقاومة في العراق..

ممكن أن تنجح هيلاري كلينتون وتنتصر على بوش الابن كما انتصر الرئيس كلينتون على بوش الأب ممكن. وقد يفرح الناس بالوجه الجديد. والسيدة القوية التي سوف تكون أول رئيسة لأمريكا. ولكن سوف تكون الرئيسة هيلاري أكثر تشددًا من سلفها الرئيس بوش. فإذا كان بوش الابن قد أعطى إسرائيل باليمين فإن هيلاري

سوف تعطي بالشمال وباليمين. ولو استطاعت لأخرجت من جسمها ألف ذراع أخرى لإسرائيل. فيهود أمريكا هم الذين بهدلوها وأذلوها حتى اعتذرت عن استضافتها لزوجة ياسر عرفات، وعلموها اللغة العبرية لتفكر يهوديًا، ثم اختاروها عضوًا في مجلس الشيوخ عن عاصمة إسرائيل: نيويورك.

وهي قد رأت هي وزوجها كيف أن يهود أمريكا قد دفعوا بنتًا صغيرة تتدرب في البيت الأبيض لتكون سببًا في إذلاله ساعتين وقفت فيهما الكرة الأرضية عن الدوران حتى يفرغ الرئيس كلينتون من كوب الماء بعد أن نشفت الفضيحة ريقه ودمه. فإذا صارت رئيسة فهي تعرف أن لها هي الأخرى قصة حب يمكن السكوت عليها ويمكن نبشها عند اللزوم. وهكذا سوف نعرف أن الرئيس بوش الابن كان أرحم منها كثيرًا جدًا!

متى وماذا ومن بعد ياسر عرفات؟

لم يكن مفاجأة أن يقدم أبو مازن استقالة مقبولة؛ فقد اختاره الأمريكان وهو مرفوض من الفصائل الفلسطينية. ولم يكن غريبًا أن يتهموه بالخيانة والعمالة؛ فقد اتهموه بأنه باع شعبه واشترى صواريخ إسرائيل وخريطة أمريكا.

وليس غريبًا أن يعلن شارون أنه لن يتفاوض إلا مع أبو مازن، ومعنى ذلك أنه يرفض رئيس الوزراء الجديد الذي يختاره ياسر عرفات، لأنه يرفض ياسر عرفات.

وقد أعلن السيد عمرو موسى في إيطاليا أن هذه خطوة إلى الوراء. وأنا لا أعرف لا الوراء ولا الأمام في شارع الضباب الذي يفضي إلى خريطة الطريق المسدود.

وأبو مازن قد أحرقوه قبل أن يضيئوا به وله؛ فأمريكا لم تضغط على إسرائيل فتعطيه ما يشجعه على المضي وما يغفر له عند الشعب الفلسطيني، ويؤكد أنه مواطن صالح وزعيم صادق. فكان مثل شمعة أضيئت من الناحيتين... فذاب وسقط في أيدي المجتمع كما سقط من عيونهم أيضًا!

والمطلوب الآن هو المطلوب قبل ذلك. وهو أن يذهب أبو عمار إلى مكان يختاره بالذوق وإلا دفعوه إليه بالقوة. وهكذا يخلو الجو لما

لانهاية له من الخلافات والفتن والحرب الأهلية التي تجعل إسرائيل تؤكد لأمريكا أنها في خطر.

ولن يمضي وقت طويل حتى تأذن أمريكا لشارون بأن يدخل فلسطين لا سالمًا ولا آمنًا. وهكذا تنفتح في الشرق الأوسط جبهتان، في كل جبهة ألف حزب وفصيلة... وتنشق الأرض من تحتهم طرقًا بلا خرائط.

.. فقد فتحت إسرائيل على نفسها حربًا فلسطينية عربية، فإن لم يكن العرب قد أدركوا أن الشعب الفلسطيني يستحيل أن يموت وحده وأن يكون فناؤه بأيدي إسرائيل والأمريكان، إذن فالشعوب العربية لا حق لها في الحياة، ولا كرامة لها غدًا كما لم تكن لها كرامة بالأمس!

فرانكفورت (ألمانيا)

هذه مدينة لها أنياب من ذهب وأظافر من ألماس، ففيها 400 بنك. في هذه المدينة على نهر الماين ولد أمير الشعراء جيته وروتشيلد عميد أغنى أسرة يهودية في العالم؛ فهي مدينة الجمال والمال.. والقيم والأسعار..

وفي أحد ميادينها مكتوب بالحديد على الأرض: هنا أحرق النازيون كتب الشاعر اليهودي هينريش هينه.. (ونحن أيضًا أحرقنا كتب الإنجليز أيام احتلالهم لمصر).

وكأن المدينة إرادت أن تكفر عن إحراق الكتب والفكر والفن فأقامت أعظم معرض للكتاب في العالم.

وهو مفخرة للشعب الألماني (82 مليون نسمة). وهذا المعرض يملأ الفنادق والمطاعم بأعضاء اتحاد ديدان الكتب من كل الدنيا وكذلك الفنادق العائمة الجميلة. ولايزال معرض فرانكفورت إعجازًا في الإدارة وفنون العرض والنظام والنظافة. وتقول الأرقام إن عدد العارضين فيه قد زاد وكذلك عدد القراء. وأعظم ما قيل هو أن الحكومة الألمانية قررت تثبيت سعر الكتاب. وهذه أروع مساعدة للناشرين والمؤلفين والقراء..

ولا أعرف كيف قرروا ذلك.. ولا سمعنا لهذا القرار العظيم صدى عند الناشرين المصريين الذين لا يملون البكاء على صناعة النشر التي قد عادت عليهم بخسارة.

ولا يعيب معرض الكتاب في فرانكفورت إلا أن عملية بيع الكتب – وهي قليلة – لاتتم إلا في الساعات الأخيرة من اليوم الأخير.. والمعرض يشغل مساحة هائلة لا يمكن إدراكها بأي نوع من السيارات. ثم إن العارضين يأتون بنسخ قليلة من الكتب؛ فهم لا يتوجهون إلى القارئ وإنما إلى تجار الجملة من الناشرين.. حتى هذا العيب له أسبابه المقنعة... ولكن من أجل جمال ونظام ونظافة وأبهة هذا المهرجان الثقافي العظيم، تهون مثل هذه المآخذ الصغيرة.. والحقيقة أنه بلا عيوب.. وإذا كانت هناك عيوب فهي في بعض الناشرين. وحتى هذه الذنوب مغفورة. فكل عام والناشرون والمؤلفون بخير وفي خير وحرية وكرامة!

صدمة.. هل نحن في حاجة إلى صدمة لكي نفيق. نفيق من ماذا؟ من الدوخة.. من الدروشة.. من اللامبالاة.. من الغرور. أساليبنا في حاجة إلى صدمة فالذي نحن فيه والذي نراه في الشباب وهو يتكلم في الإذاعة والتليفزيون يجعلنا نبكي دمًا بدل الدموع؛ فالجهل واضح، واللامبالاة والهيافة. هذه هي الصدمة. اسألوا علماءنا الذين فتح الله عليهم في بلاد أخرى. ما المعجزة؟ المعجزة أنهم خرجوا من مصر. والمعجزة الثانية أنهم وجدوا الجو العلمي هناك. والجو العلمي هو: الفرصة والفهم والعمل الجماعي.

الأمريكان أصابتهم صدمة عنيفة. زلزال. عندما سبقهم الروس إلى الدوران حول الأرض. وصدمة أخرى عندما أطلقوا كلبة.. والصدمة الثالثة عندما طلع أول إنسان حول الأرض.. وأول رائدة.. هذه الصدمات كانت زلازل وأعاصير هبت على البيت الأبيض وكل بيوت الخبرة والمعاهد العلمية في أمريكا وأوروبا. ماذا جرى؟ كيف أن دولة شيوعية متخلفة لا فيها حرية ولا فلوس ولا كرامة فيها للإنسان.. كيف استطاع الحكم الشمولي أن يطلق سفينة فضاء قبل أمريكا التي فيها ما لا نهاية له من الفلوس والعلماء. كيف استطاعوا؟ ما الذي تعلموه؟ وكيف حدث ذلك سرًّا!

هذه الصدمة جعلت الرئيس الأمريكي يستدعي جيوش العلماء ويطلب إليهم أن يفكروا ويدبروا وأن ينقذوا سمعة الديموقراطية

والرفاهية والحرية.. وانعقدت لجنة. وتقرر أن تظل منعقدة إلى نهاية القرن. وبحثت وقررت وأصدرت كتابا بعنوان (أمة في خطر). هذا الكتاب حملته إلى الرئيس مبارك في بيته فأرسله للدكتور مصطفى كمال حلمي وزير التربية والتعليم في ذلك الوقت.. ثم ظهر اسم هذا الكتاب في البيان الإصلاحي الذي أصدره د. فتحي سرور.. وبعد ذلك كل وزير تربية وتعليم يذكر هذا الكتاب بالخير، أي أنه يرد غيبة التقرير الأمريكي الخطير. وبس!

وقبل ذلك ذهب الرحالة الأمريكي جون جنتر إلى روسيا ليعرف كيف تقدم الروس في العلوم بينما لم تتقدم أمريكا. فوجد أن التلامذة الصغار يدرسون الجبر والهندسة والتفاضل والتكامل في المدارس الابتدائية.. وأن ساعات العلوم أضعاف ساعات الأدب والفن والسياسة..

فإن كنا في حاجة إلى(خريطة الطريق) إلى الإمام، فعندنا كل الدول التي سبقتنا ولاتزال تتقدمنا. وكل شيء واضح ولا يبقى إلا العزيمة وإلا الصدق والصبر..

آخر ما قاله الرئيس مبارك وسوف يقول: إنه لا سبيل إلى إصلاح أي شيء في بلدنا إلا بالعلم. ولا الخطب ولا اللجان والعنتريات، كل ذلك ليس هذا مكانه ولا أوانه. بمنتهى الأمانة: نحن متخلفون عن كثير جدًّا من الدول.

كيف؟ لابد أن تتغير مناهج التعليم والتربية. وليس معنى ذلك اختصار الكتب القديمة أو طباعتها على ورق أبيض لامع ولا حتى على ورق بنكنوت.

وإنما يجب أن تزداد الجرعة العلمية.. بلاش كلمة الجرعة. لابد من إضافة علوم وتطبيقات. لابد أن يشغل المعمل في كل مدرسة مكانًا محترمًا. لابد أن يعاد النظر في كل ما نلقنه للتلامذة في كل مراحل التعليم. لابد أن يعتمد التلميذ على نفسه وأن يسأل بلا خوف.. وأن يناقش.. لمَّا سألوا الفيلسوف الأمريكي سنتيانا:

ما هي في رأيك أسرع طريقة إلى الحقيقة أجاب: أسرع ليست هي الكلمة المناسبة؛ فلا معنى للسرعة لكي نفهم.. ولكن السرعة تجيء بعد الفهم إذا أراد الباحث أن يطبق ما اكتشفه!

بعبارة أبسط: يجب أن نتعلم بوضوح وعلى مهل بشرط أن يكون الطريق الذي نسير فيه هو الصحيح.. يعني بعبارة أخرى قد غضبنا عندما قالتها الصحف البريطانية والأمريكية: يجب ألا يكون أساس

التعليم هو الحفظ الصم.. أو التهام الصفحات الكلامية والبلاغية.. يجب أن نفهم وأن نتعلم الصبر حتى نفهم أكثر..

أو بعبارة أخرى: لابد أن يعرف الطالب الباحث أنه لا توجد ثوابت في العلم لا تتغير.. بل العلم يتغير، ويظل الباحث والعالم متمسكًا بنظريته حتى يجيء من يغيرها. في هذه الحالة يجب أن يتجه إلى الجديد.. ولاشيء يشقى به العلماء ألا أن تتجمد الدنيا في أيديهم ومن حولهم فلا يكون جديد!

بداية النهضة الأوروبية جاءت مع حذف عبارة واحدة في كل الكتب؛ فقد ظل الفيلسوف الإغريقي العظيم أرسطو مسلطًا على العقول. وكان يكفي أن يقال: هكذا قال أرسطو حتى يتوقف التفكير، أي ما قاله أرسطو هو الكلام وما عداه فارغ. بدأت النهضة بعبارة أخرى، هكذا قال أرسطو ولكن عندنا ما نقوله أيضًا.

والصواب كذا وكذا.. حتى هذا الصواب تغير.. وأبواب العلوم مفتوحة إلى غير نهاية على المستقبل ابتداء من السفينة الشراعية حتى سفن الفضاء.

وإذا كنا عاجزين عن فعل شيء فلنتعلم من العالم حولنا.. لابد من تغيير المناهج والذين يضعونها، وهذه هي الخطوة الصحيحة في الطريق الصحيح، لا خطوة غيرها ولا طريق غيره!

يـــوم: بلا سيـــارات!

تجربة رائدة رائعة في 22 سبتمبر الماضي: فقد قررت 1126 مدينة أوروبية أن تعيش يومًا في الأسبوع بلا سيارات.. أي بلا ضوضاء صوتية وضوئية وبلا عوادم سيارات، أي أنها جربت العودة إلى الماضي الهادئ ولو أسبوعًا واحدًا. وقد نجحت التجربة. وهناك تفكير بأن تعاد هذه التجربة كل سنة ولفترة أطول..

وفي كثير من المدن الأوروبية مناطق منزوعة السيارات.. والناس يمشون فيها ويجلسون في هدوء على راحتهم تمامًا. وذلك بأن تتحول الشوارع إلى متنزهات للفرجة والشراء أو تتحول إلى مطاعم مفتوحة، ونحن مع الأسف – ومش فاهم ليه – لم نحول شارعي قصر النيل وسليمان باشا إلى منطقة منزوعة السيارات والضوضاء والهواء المسموم. وقد ذكرت هنا من قبل أن أحد رجال الأعمال اللبنانيين على استعداد لأن يؤجر شارع قصر النيل، وهو قادر على أن يحوله إلى سوق لراحة الأعصاب والفرفشة مضافًا إلى نهر النيل وهو الشارع المائي الذي تسبح على سطحه أجمل المطاعم والمقاهي أيضًا!

وقد فعلوا ذلك في بيروت الجديدة في منطقة السوليدير؛ ففيها أكبر تجمع من المطاعم والمقاهي وهي بؤرة الجذب السياحي في العاصمة اللبنانية.

صحيح إيه يعني لو امتنع الناس عن التدخين يومًا وعن اللحوم وعن استخدام الموبايل.. يومًا أو يومين من كل أسبوع.. وكذلك السيارة.. إيه يعني لو أخذ كل واحد إجازة من الزوجة أو من الأولاد يومًا أو يومين من كل أسبوع أو من كل شهر.. يطفش فيها الزوج أو الزوجة ويستريح الأولاد. إيه يعني؟

إن الذي تراه ضروريًا حيويًا ليس كذلك، وإنما هي العادة التي صارت إدمانًا عندنا. والحقيقة أننا لو جربنا هذه الحريات الصغيرة فسوف نعتاد عليها.. نريح ونستريح.. ولنبدأ بما هو صعب.. إن ملايين الأزواج يسعدهم ذلك!

وليس ذلك اختراعًا وإنما هو موجود في كثير من الدول الأوربية.. مع الاحترام التام لكل الأطراف!

عالـــم إلا قليـــلاً!

أستاذنا العظيم أرسطو الفيلسوف الإغريقي دخل التاريخ على أنه فيلسوف علمي يؤمن بما يراه وما يفكر فيه. وأساس العلم الملاحظة: ومن الملاحظة تتكون الفكرة وعلى الفكرة تقوم النظرية ومن بعدها نظرية أخرى تكملها أو تبطلها.. فكل إنسان يضيف شيئًا. والإنسانية تمضي من نصر إلى نصر، ومن حرية إلى مزيد من الحرية. وأمامنا نماذج ناجحة للدول التي مسحت خرافاتها وخزعبلاتها والدول التي كشفت الغطاء عن عيونها وعقولها، وتقدمتنا فوق فوق في السماء.

حتى أستاذنا أرسطو رغم عقليته العلمية- لم يكن عالمًا بدرجة كافية، فله ملاحظات تحتاج إلى أن يتحقق منها. مثلاً، كان من رأي أرسطو أن المرأة أسنانها أكثر عددًا من أسنان الرجل؟ لماذا؟ هو قال. وسارت وراءه البشرية ألفي سنة. وعلى الرغم من أن أرسطو قد تزوج مرتين، فلم يفكر في أن يفتح فم إحداهما ويحصي كم أسنانها! ومن رأي أرسطو أيضًا أن المرأة الحامل إذا تعرضت لرياح الشمال جاء مولودها في صحة وعافية- ولابد أن زوجتيه كانتا تفعلان ذلك، ثم إنه لم يقدم لنا دليلاً على صحة النظرية. وكان من رأيه أن الكلب إذا عض رجلاً

فلا خوف على الرجل، بينما الفأر إذا عض حصانًا فإنه يقتله. كيف؟ لم يقل. وكان من رأيه أيضًا أن هناك تيارين في البحر أحدهما بارد والثاني دافئ؛ فنزل إلى البحر يتأكد من ذلك فغرق فمات. وكانت هي المرة الوحيدة الصحيحة.

ولكن ليست الأخيرة بالنسبة للعلماء..

فالعلم ليس فقط تنشيطًا للملاحظة، وإنما هو دافع إلى التجربة.. إلى التطبيق.. فلا علم بلا تكنولوجيا.. والعقلية العلمية هي التي ترفض الجمود وترفض الهيصة والمظاهرات التي لا علاقة لها بالعلم..

ومثل هذا النوع من الكلام الذي يتخذ شكل النصيحة والتعالي مر المذاق، ولكنه هو الكلام الذي يقال والذي نحتاجه. ولم أندم في حياتي على أنني قصرت في شيء إلا في علوم الكيمياء والفيزياء.. فقد أغرقتني الفلسفة فيما لا نهاية له من الأسئلة وما له نهاية من الإجابات.. وواجبي أن أدعوك ألا تفعل مثلي، وألا تنصح أحدًا بذلك!

العدل الضعيف..

في مدينة فرانكفورت تمثال للعدالة. والتمثال أمام بيت العمدة. والعمدة هنا سيدة قوية. والتمثال ليس معصوب العينين تمامًا كالتمثال المرسوم على مجمع المحاكم أمام صحيفة الأهرام، فالفنان عندنا وعندهم يرى بحق أن العدالة ليست معصوبة العينين - فهي تفرق بين قوي وضعيف، أبيض وأسود، حاكم ومحكوم. إنها ترى وتحكم بما ترى؛ ولذلك ففي سجون الدنيا قضاة مرتشون؛ لأن القاضي لم يعد معصوب العينين. وتمثال العدالة في فرانكفورت أمام دار العمدية يرى أو ينتظر ما تأمر به الحكومة.. السلطة.. ليستلهم الظلم.. فهو تمثال للعدل الضعيف.

وكانت كتب القانون في العالم تحكي القصة الشهيرة، وهي أن أحد الأباطرة الألمان أراد أن يوسع حديقة قصره، فأمر بهدم بيت لرجل فقير عند حدود القصر. ولكن الفقير احتكم إلى القضاء. فوقفت كل مواد القانون على حيلها. وحكمت للرجل الفقير ضد الإمبراطور.. فأبقى الإمبراطور على بيت هذا الفقير رمزًا للعدالة ودلالة على أن في ألمانيا قضاة!

وقد حدث شيء من مثل ذلك في مارينا بالساحل الشمالي. فحكم القضاء ضد وزارة التعمير. وطالبت بأن يبقى المسكن على ما هو عليه دليلاً على أن في مصر قضاة. ولم يأخذ أحد برأيي رفضًا لفكرتي وإحقاقًا للواقع وإهانة للقانون؟!

وفي مدينة فرانكفورت قطعة أرض كانت سلخانة. أما الذي فعله مهندسو العمارة في الأرض والشاطئ فقد أقاموا الفنادق والبيوت والمطاعم والحدائق.. يمكن أن تقول إنها عبقرية الإنشاء والتعمير والذوق الجميل.. يكفي أن تنظر إلى الشوارع وكيف وضعوها حجرًا لامعًا إلى جوار حجر أكثر لمعانًا. وكأنهم أقاموا شيئًا عاديًّا فلا دعاية ولا طبل ولا زمر.. ولا أحد يقول: من أجل ألمانيا رصفنا الشارع وأقمنا الحدائق ـ كما نفعل نحن مثلاً. وإنما أقاموها وتركوها واتجهوا إلى ما هو أكثر جمالاً ـ منتهى التواضع!

فوجئت هذا الأسبوع ومثلي ملايين من سكان الأرض لعدد من قطاع الطرق الإلكترونية.. فلا نكاد ننتهي من فيروس يفسد شبكة الإنترنت حتى نفاجأ بواحد جديد.. والفيروس لا يطلب منك شيئًا وإنما هو بسرعة مذهلة يمسح العملات التي تستخدمها فإذا هي ورق أبيض، أو يحذف بعض السطور

أو بعض الحروف أو مدخراتك المسجلة في الكمبيوتر، وأغرب واحد يقول لك: أمامك 30 ثانية وينتهي كل شيء. كذاب - ففي أقل من هذا العدد يكون الجهاز قد توقف تمامًا. ثم تنادي عليه فلا يرد وتنتظر الفرج بإقفال الجهاز وينفتح الجهاز لتعلم أن برنامج نورتون المضاد للفيروسات قد قام بالواجب. وقضى نيابة عنك على فيروس جديد.

وفي هذا الأسبوع استوقفني، وغيري بمئات الألوف، ستة فيروسات ولكن لماذا؟ لا أحد يعرف أنهم عيال شياطين يضعون المسامير أمام كاوتش السيارات لكي تنفجر.. هاها.. هكذا يضحكون أو أنها الشركات المضادة للفيروسات لكي يبيعوا برامج جديدة. تمامًا كما تجد في الريف المصري عددًا من المسامير ملقاة في الشارع على مدى أمتار من دكاكين لحام الكاوتش!

وكما أن هذه الأجهزة الإلكترونية الساحرة من إبداع العقل الإنساني.. فإن تعطيلها ونسفها من صنع عقول ذكية وشريرة. ومن

المؤكد أنها شديدة الذكاء لأن لديها قدرة فائقة على معرفة نقاط الضعف في هذه الأجهزة برغم ألوف الملفات والاحتياطات في داخل كل جهاز..

وبالأمس قد دخل الجهاز عندي فيروس ودودة - الفيروس هو الذي يعتمد على برامج في الجهاز، أما الدودة فهي القادرة على أن تعتمد على مزاياها الخاصة وتفعل ما تشاء.

وكان لابد أن أسأل العارفين بالطرق وقطاع الطرق: ما الحل؟ وكان الجواب السريع القاطع الحاسم: لا حل. إنها مصيبة ويجب أن تستسلم لها حتى تمر. وكيف تمر؟ كما جاءت فإنها تذهب ككل الكوارث. يعني امسك أعصابك وانشغل بشيء آخر - ولا حول ولا قوة إلا بالله!

أمريكا خائفة من العراق.. فلديها أسلحة أخرى. وقد استخدمت هذه الأسلحة عند انسحابها من الكويت. فأحرقت 600 بئر، وألقت في الخليج أربعة ملايين برميل؛ فماتت الأسماك ومئات الألوف من الطيور.

ولن تعود الأسماك إلى ما كانت عليه قبل مائتي سنة. أما السحب التي سدت عين الشمس في الكويت فكانت من الكبريت وأول وثاني أكسيد الكربون بما يعادل نصف مليار طن. ثم سقطت أمطار مسمومة في الخليج وفي بلاد تبعد عنها ألفي كيلو متر.. واحتشدت كل تكنولوجيا العالم لإنقاذ الكويت بترولاً وأرضًا وشعبًا.

ولكن العراق يملك بترولاً أكثر واحتياطيًّا أعظم. ومافعله صدام ببترول الكويت في أسبوع واحد يعادل 10٪ من الإنتاج العالمي. وفي استطاعة صدام حسين أن يفعل ما يمليه عليه اليأس من النجاة بأن يتقمص روح شمشون الجبار فيحرق العراق ويحترق معه..

والذي فعلته أمريكا حتى الآن هو ضرب كل نقاط القوة العسكرية في العراق.. وتمزيق عضلاته الدفاعية.. أما العلماء فسوف ترحلهم إلى أمريكا تمامًا كما فعلت قبل ذلك مع العلماء الألمان في الحرب العالمية الثانية. ولولا هؤلاء العلماء الألمان ما انطلقت سفن الفضاء الأمريكية تنافس السفن الروسية وتتفوق عليها. وكان في مقدمة

العلماء الألمان فونبراون مخترع الصاروخ (ف 2) الذي ضرب لندن.. وهو الصاروخ الذي حمل سفن الفضاء الأمريكية حول الأرض إلى القمر والكواكب الأخرى..

ولابد أن تكون أمريكا قد استعدت لهذا السلاح العراقي اليائس.. وأسلحة ميكروبية أخرى. وحتى إذا لم يحترق صدام حسين فيكفي جدًا الخلاص من رجل قضى على أغنى الشعوب العربية.. شعب له نهران وأرض زراعية وثاني دولة منتجة للبترول..

ولابد أن الأمريكان وسط هذا الجو الكئيب الحزين يضحكون كما ضحكنا عندما أعلنوا أكثر من مرة: أنهم ليسوا وراء البترول. إذن لابد أن كل هذه الجيوش برًّا وبحرًا وجوًّا والاستعدادات من أجل (بلح البصرة الذي يجعلونه تمرًا معلبًا محشوًّا باللوز والجوز؟!

ومطلوب منا أن نصدق ذلك؟!

«تعالوا نؤمن بالله واليوم الآخر، ونتوضأ قبل أن نركع ونسجد متجهين إلى القبلة خمس مرات يوميًا»، هكذا تدعونا الصحف في أمريكا وأوروبا، ويقولون إن أي تشابه بين ديننا وهذا الذي يدعوننا إليه هو مجرد مصادفة!

العالم قد أدرك فجأة أن هدم الدنيا على من فيها هو من تعاليم الإسلام، وأن كل المسلمين متطرفون، وكل المتطرفين يعملون للقضاء على أمريكا خصوصًا الذين يعيشون في الكهوف والجبال، فهم العباقرة الذين صمموا أروع تخطيط لهدم ناطحات السحاب في أمريكا، وضرب البنتاجون والبيت الأبيض والمحطات النووية، وملاحقة طائرة الرئيس بوش في أثناء خروجها من استراحة كامب دافيد، كأن أمريكا بلا أعداء في داخلها أو في أوروبا وآسيا.. ولكن فجأة صرنا تلامذة في جامعة الذين لم يسمعوا عن الإسلام، ولما سمعوا وقرأوا تحولوا بقدرة قادر إلى أساتذة في الشريعة والفقة على المذاهب الأربعة... ومن يدري ربما أضافوا مذهبًا خامسًا، وأول تصريح للرئيس بوش كان وصفه الإرهاب بأنه بداية حرب صليبية، أي حرب بين الذين يحملون الصليب والذين يرفعون الهلال، ونسي أن الحرب الصليبية لم تكن إسلامية وإنما هي بين المتطرفين المسيحيين..

ثم عدل الرئيس بوش بسرعة عن زلة اللسان هذه، واستقام، واتجه إلى موائد الرحمن عند مسلمي أمريكا، واستدرك ولم يقع في الغلطة التي وقع فيها قبله: نابليون وموسوليني وهتلر عندما أشاعوا أنهم مسلمون!

ولذلك تطالعنا الصحف الأمريكية كل يوم بضرورة التمسك بجوهر الإسلام والعدول عن حفظ القرآن، أو الحفظ والصم لكل شيء.. وتدعو إلى تغيير مناهج التعليم الوطني والأخلاقي، وتحقيق العدل والحرية والمساواة بين الرجل والمرأة والأغلبية والأقلية، ولديهم استعداد عظيم لإنشاء مدارس ومعاهد وجامعات على حساب الحكومة الأمريكية لتعلمنا كيف نتمسك بجوهر الدين الحنيف - صدق أو لا تصدق - طبعًا لا تصدق!

انهزم الـعـراق قبل أن تعلن أمريكا الـحـرب. فـالضرب مستمر والضحـايا أيضًا. ولجـان التفتيش قد صححت مواقع المصانع التي رسمتها طائرات التجسس.. وما فعله الحلفاء في ألمانيا يطبقونه حرفيًّا في العراق. والفـارق الوحيد هو أن خسائر العراق أقل. ولم يبق أمام الأمريكان بعد الشلل التام لكل العقول والأعصاب والعضلات القتالية في العراق إلا الاجتياح من قطر وتركيا وإسرائيل. وأهم من كل ذلك أن يمنعوا صدام حسين من إحـراق الآبـار وإغـراق الخليج بالبترول وإطلاق الأسلحة البيولوجية التي اخترعتها العالمة العراقية الشهيرة (رحاب طه) والتي تعلمت في بريطانيا كيف تقتل وتبيد.

وقد سأل المفتشون كل إنسان له علاقة بالمصانع والورش والمعاهد العلمية والقصور الرياسية. ولم يجدوا شيئًا جديدًا. فكل المعلومات قديمة. ومعنى ذلك أن صدام حسين لم يقم مصنعًا سريًّا جديدًا. وأما العلماء فقد حاصروهم وسوف يقعون في أيديهم. وسوف ينقلونهم إلى قطر ومنها إلى أمريكا.. وسوف يسمعون حكايات وروايات. والعلماء عندهم جواب واحد: هذه هي سياسة الدولة ولابد من تنفيذها!

ولا خطأ في ذلك. ولكن إذا كانت أمريكا في حاجة إلى سبب قوي – ولا أعتقد أنها في حاجة إلى أي سبب – فسوف يطلبون استجواب صدام حسين شخصيًّا. ولن يوافق. فإذا أعلن أنه لا يوافق كان ذلك

إخلالاً بالتفسير الأمريكي لقرار مجلس الأمن. ولابد من ضربه وتأديبه.. هذا إذا لم ينتحر صدام حسين. لأنه لا بقاء له في بلاده، ولا ملجأ له خارجها..

وفي الرعد والبرق والدخان والحرب الإعلامية في الدنيا تستطيع أمريكا اغتيال صدام حسين بأيدي العراقيين وكذلك اغتيال ياسر عرفات بأيدي المعارضين. أو طرده إلى مصر. ولن يشعر أحد بذلك.. وإنما سوف ترى أمريكا أن هذه هي الخطوة الأولى لتعديل وتبديل وإحلال خريطة جديدة للشرق الأوسط.. والبقية تأتي!

كنت قد شكوت من أن (مصر للطيران) في إحدى الرحلات لم تقدم إفطارًا للصائمين، وإنما تكتفي بأن تعلن أن المدفع ضرب في مصر – ويكون الركاب في مسقط أو الكويت أو في الطريق إلى القاهرة، مع أن هذه الوجبات غير مكلفة، وخاصة أن تذاكر طائراتنا أغلى كثيرًا من كل الشركات، وتلقيت هذا الرد:

بداية أود أن أسجل لسيادتكم إعجابي الشديد بكل ما تتناولونه بكتاباتكم، وخاصة ما تطالعنا به جريدة الأهرام كل صباح تحت عنوان مواقف، أما فيما يتعلق بالرحلة المشار إليها ووفقًا لما جاء بالتقرير أنه حان موعد الإفطار بعد الهبوط في مطار مسقط بنحو 3 دقائق فتم تقديم مشروبات ومياه للركاب الترانزيت انتظارًا لصعود باقي الركاب، وبعد الإقلاع يتم تقديم الإفطار، وأود أن أوضح لسيادتكم أنه لا يتم تقديم أية وجبات على الأرض لعوامل، أولاً: السلامة، ثانيًا: لاستحالتها عمليًّا لضيق الوقت، وهذا مطبق في جميع شركات الطيران، وعلى رأسها الشركة السعودية، وإدارة الشركة تراعي دائمًا تلك الظروف... وخير دليل على ذلك ما وافانا به أحد ركاب مصر للطيران، معبرًا عن شكره وتقديره لما لقيه من مستوى خدمة وحسن أداء لدى عودته من برشلونة على الرحلة رقم (764 m.s) (مرفق صورة). حيث وافق موعد الإفطار في رمضان قبل موعد الوصول إلى القاهرة بنحو ساعة.

كما أود أن أوضح لسيادتكم أن أية رحلة قبل الإقلاع تخضع لفحص شامل للتأكد من كل وسائل السلامة والأمان وإسعافات أولية، وأؤكد لسيادتكم أن إدارة الشركة تسعى دائمًا لتقديم أفضل خدمة لعملائنا الكرام.... من أجل تدعيم اقتصادنا القومي.

طيار/ عبد الفتاح كاطو

رئيس مجلس إدارة

الشركة القابضة لمصر للطيران

شكرًا، هذا ما نتمناه وما نتوقعه من حسن إدارتك ويقظتك الدائمة...

كتب أ.د. محمود جابر مرسي نائب رئيس جامعة أسيوط يقول: في هذا العدد من (البيئية لجامعة أسيوط) 500 صفحة - تضيف الجامعة (بصمة) أخرى من بصماتها العديدة في مجال خدمة المجتمع وتنمية البيئة. وهذه الموسوعة تضم ما قام به الباحثون والعلماء ودراساتهم التي تهتم بقضايا البيئة وحماية الأفراد من أخطار التلوث والمحافظة على الموارد البشرية.. وهي بذلك تعد مرجعًا للباحثين والعلماء والمهتمين بقضايا البيئة في جميع المجالات.. من أجل سلامة المواطنين وحقهم في العيش في بيئة نظيفة..

أما هذا الذي قاله نائب رئيس جامعة أسيوط عن هذه الموسوعة فصحيح. ولا أدعي أنني قرأتها. ولكن قلبت فيها كثيرًا. فهي دراسة علمية متخصصة. وهي فعلاً دراسات لكل موارد الحياة للإنسان: الحيوانات والنباتات والأطعمة من لحم ولبن وبذور وأشعة.. ودراسة الأمراض التي تنتقل من حيوانات الحقل للنساء والأطفال ومن الكلاب والقطط..

وكنت أتوقع في هذه الموسوعة دراسة مستفيضة للماء بالذات. ربما كانت أسيوط لا تعاني من التلوث الذي نعانيه في القاهرة أو التلوث المميت في شمال الدلتا بيولوجيًا وبيوكيميائيًا وفزيوكيميائيًا.

ويكفي أن تنظر إلى النيل والبحيرات لترى الأسماك قد طفت ميتة على سطح الماء.

أما الذي كنت أنتظره فهو ماذا نعمل في هذه الأمراض التي تنتقل إلينا في الماء واللبن والزبادي والأسماك واللحوم.. ولم أجد في الموسوعة ماذا نفعل في عسل النحل.. ولم أقرأ سطرًا عن أمراض النحل - هل لأن أسيوط ليست بها مناحل؟ أو لأن العسل لا يصاب بمرض، بل يقضي على كل مرض كما تقول الأساطير الشعبية؟!

إن جامعة أسيوط قد انفردت بالريادة العلمية في محاولات كثيرة. وتميزت وتقدمت على كل الجامعات في معايشة البيئة ومتابعة وملاحقة كل ما يصيبها. وعلى الباحثين في أمراض الإنسان أن ينهضوا لإكمال هذه الأبحاث العلمية المحترمة. ولكي تكون الفائدة عامة والتحذير مفهومًا كان لابد من خطوة أخرى جديدة هي أن يكون للموسوعة ملخص سهل يفهمه عامة الناس. صحيح أنها لا تتوجه إليهم، وإنما الناس هم الهدف وبذلك يسهمون في الوقاية والعلاج. شكرًا لعلماء وباحثي جامعة أسيوط..

إلا كراهيـــة اليهــــود!

كتب وأفـلام ومسلسلات وكارتون تـهاجم الإسلام والمسلمين. والسبب هو اتـهام المسلمين بـالعنف في فلسطين وفي أفغانستان والشيشان وإندونيسيا وإفريقيا وأماكن غيرها من العالم. وهي اتـهامات حقيقية لولا أنـها تصف الإرهـابيين بـأنـهم مسلمون. مع أن لـهم توجـهات سياسية أخـرى.. وأنـهم نوعية خاصة من المسلمين والعرب.

ولكن ردود الفعل الإسلامية لا ترقى إلى عنف وتنوع النقد العنيف للإسلام والمسلمين. بينما المنظمات اليهودية في غاية النشاط، فلا يكاد كاتب أو أديـب أو صحفي أو فنان أو سياسي يقول كلمة أو كلمتين ضد اليهود حتى تنقلب الدنيا في كل شبكات التليفزيون والصحف. وتظهر جمعيات يهودية من تحت الأرض تصرخ وتنادي: الحقونا.. إنـهم سيقتلوننا!

لا لأن الذي قيل ضدهم سوف يؤدي إلى هذه النتائج الوهمية، ولكن لأنـهم في غـاية اليقظة ولا يقللون من خطورة أية كلمة.. كلمة فوق كلمة فوق عبارة.. كتـاب إلى جانب مسرحية إلى جانب أغنيـة..

كلـها تؤدي في النـهاية إلى نتيجة واحدة: كراهيـة اليهود.

أما شكل الاعتراض فيبدأ من تحريض الألوف على إرسال خطابات احتجاج بـالبريد وعلى الإنترنت وفي كل شبكات التليفزيون.. وتحريض

المسيحيين أيضًا على الوقوف معهم.. وكذلك الأقليات في كل مكان، وهكذا يخلقون رأيًا عامًا معاديًا..

والأمثلة التي تثيرهم كثيرة تبدأ من مقالات في الصحف العربية إلى خطب في المساجد إلى عبارات غامضة في المسلسلات إلى قصص قصيرة لشباب مجهول في إيطاليا أو في الأرجنتين.. أو كارتون. إنهم لا يسكتون ولا يستهينون بما يقال مهما يكن عابرًا أو تافهًا..

ومنذ ضربت ناطحات السحاب في أمريكا ازداد الهجوم على الإسلام.. وفي الوقت نفسه ازداد الإقبال على الكتب الإسلامية لعلهم يعرفون حقيقة هذا الدين الذي يرتكب أبناؤه القتل والإبادة ثم يكتشفون أن الإسلام دين سلام ورحمة ومحبة.. وأنه دين لم ينتشر بالحديد والنار.. وأن الإسلام يرفض الجرائم التي ترتكب باسمه.. وسوف يظهر على الشاشة فيلم أمريكي عن (محمد) ﷺ. وقد بلغ من حماس المنتجين أنهم أسلموا إيمانًا بصدق الدين وعظمة الرسول..

الحقوا: إنه يشتمنا!

المنظمات اليهودية أصيبت بالجنون! فلا يكاد أي إنسان ينطق أو يكتب كلمة (يهودي) حتى تفزع جمعيات ومؤسسات وهيئات: الحقوا إنه يشتم اليهود ويدعو إلى كراهيتهم. امسكوه!

الطفلة المصرية راندة غازي سلامة (15 سنة) أبوها مهندس وأمها خريجة قسم الفلسفة في جامعة الإسكندرية كتبت باللغة الإيطالية رواية ترجموها إلى الفرنسية.

الرواية اسمها: حالم بفلسطين.. طبيعي أن تبكي فيها على

ما أصاب الشباب والأطفال من عذاب وهوانٍ.. طبيعي أن تحزن على الذين هانت عليهم حياتهم فاختاروا الاستشهاد: أن يموتوا مع أعدائهم. طبيعي أن يسيل دمعها حبرًا على 200 صفحة.

ونشطت جماعة (المحامين بلا حدود) في فرنسا وطالبت بمصادرة الرواية إعمالاً للقانون الذي صدر سنة 1949 لحماية الأقليات من أي شكل من أشكال التعبير يؤدي إلى الكراهية والعنف والجريمة! وجاء في عريضة الدعوى أن الرواية قد وردت فيها هذه العبارة: الشعب الملعون!

ولكن المحاكم الفرنسية كانت قد رفضت قبل ذلك مصادرة كتاب ضد الإسلام للكاتبة الإيطالية أوريانا فلاتشي، ومصادرة كتاب لمتعصب آخر هو ميشيل هوليبك تطاول على الإسلام مستخدمًا ألفاظًا نابية.

ولاتزال الحملات عنيفة على الأديبة الشابة التي تنتقل بين المدن الإيطالية تشرح روايتها للشباب في مثل سنها..

وهذه الحساسية اليهودية التي على أشدها منعت مسلسلاً كان يعده التليفزيون البريطاني عن طفولة هتلر. مع أنه لا يشيد بالزعيم النازي لا طفلاً ولا شابًا ولا رجلاً..

وفي مصر قرأت حديثًا مع السيدة العاقلة الرزينة كارمن فايتشتين المسئولة عن الطائفة اليهودية، فقد انزعجت تمامًا من الكلام عن (بروتوكولات حكماء صهيون) المدسوسة على اليهود. مع أن هذه البروتوكولات لم يكن لها أي أثر في المسلسل التليفزيوني المصري.. ولن تضيف رواية الطفلة المصرية لا هي ولا المسلسل شيئًا جديدًا إلى كراهية العرب لليهود؛ لأن الذي يرتكبونه في فلسطين قد ارتفع بالكراهية إلى أقسى وأقصى مداها. فلا مزيد مهما صدرت عشرات الكتب والمسلسلات.

واليهودية العالمية تحتاج إلى مئات السنين لإصلاح ما أفسده زعماء إسرائيل الذين اختارتهم.. وسوف تختارهم مرة أخرى ؟!

وحـــدي مـــع الآخريـــن!

قال لي الصديق لويس جريس إنه فوجئ أثناء تناوله الطعام بزوجته سناء جميل وقد أمسكت سكينًا وهجمت عليه.. فانزعج.. لقد كانت سناء جميل مندمجة في دورها في مسرحية (الأحياء المجاورة) التي شاركها في بطولتها حمدي غيث. إنها مسرحيتي في ثلاثة فصول. يقوم ببطولتها اثنان فقط ولمدة ساعتين ونصف الساعة. وكانت مغامرة. ونجحت. والأستاذ سيد بدير هو الذي اختار البطلين. وكان من رأيه أن كليهما (وحش) مسرحي. وأنهما قادران على الأداء والإقناع.. وقد كان!

وهي مسرحية كوميدية بوليسية. ويتوقع المشاهد أن يجيء أحد غيرهما. وتتردد أصوات وأصداء وينتظر الممثلان والمشاهدون أن يقتحم بينهما أحد.. ولكن أحدًا لايجيء. والعين على الباب والأذن على الشباك وتهب أصوات من الشارع أو من الراديو وسيارات الإسعاف والبوليس. ولكن أحدًا لا يجيء.. كأن هذه المسرحية إحياء للمسرحية الشهيرة (انتظار جودو).. ففيها اثنان يجلسان متجاورين ينتظران مجيء جودو ولكنه لايجيء. ولن يجيء..

وقد طلبت مني المرحومة سناء جميل مع زوجها الزميل لويس جريس أن نعيد ظهور مسرحية (الأحياء المجاورة) وأكدا لي – وكذلك حمدي غيث – أنها قادرة على إثارة الانتباه والاهتمام والاحترام. ولكني اعتذرت إلا إذا أعدت كتابتها. وكثير من المؤلفين يفعلون ذلك.

فعلى مسارح القاهرة مسرحية (أمير الأراضي البور) من تأليف ماكس فريش ومن ترجمتي. وقد أعيدت كتابتها ثلاث مرات..

ولم يطل عمر الفنانة الكبيرة سناء جميل لتقوم بالبطولة الوحيدة في مسرحية لي اسمها (وحدي مع الآخرين) أي أنني وحدي حتى لو كان معي ألف شخص. والمسرحية مونولوج طويل وحديث مع النفس ومع كل الناس الذين لاوجود لهم إلا في خيالي.. فإن لم أكن وحدي فعلاً، فإنني أحاول ذلك.. وقد ندم من عاش مع الناس للناس، ولم يندم من قاوم الناس ليفوز بوحدته ليرى الناس أوضح.. رحم الله سناء جميل ما ألطفها وأرقها وأبلغها وأقدرها!

قلـة أدب زمـان!

الفنانة الكبيرة مديحة يسري الزميلة بمجلس الشورى منزعجة جدًّا من الألفاظ والحركات النابية في التمثيل - على المسرح وعلى الشاشة. وعلى المسرح الخاص أكثر وأكثر. ولهم فلسفة أن هذه الحركات والإيماءات هي التي تأتي بالفلوس، لأن هذا ما يريده المشاهد.. يعني المشاهد يريد أن يوفر عليه المسرح أن يتردد على كباريه وغرزة حشيش - هكذا يقولون. مع أننا شاهدنا مسرحيات مضحكة وفي غاية الاحترام: الملك لير.. تحب تشوف مأساة.. الدروس الخصوصية.. وغيرها..

أذكر أن الناقد الكبير د. محمد مندور شاهد مسرحيتي: «الأحياء المجاورة» بطولة سناء جميل وحمدي غيث. وجاء في المسرحية أن البطلة تصف لزوجها أنها كانت ترقص مخمورة حتى لم تعد تعرف ماذا تقول وماذا تفعل. فقال لها حمدي غيث: آه.. في حالة انعدام الوزن - فضحك المتفرجون. فقد كان تعبير (انعدام الوزن) جديدًا من أربعين عامًا. ولكن د. مندور رأى أن هذا تعبير قليل الأدب وأنه لا يليق - لايجيء على قلمي ولا على لسان أحد!

ولم يعجبه أيضًا ما جاء على لسان حمدي غيث عندما سأل سناء جميل! تعرفي يا حوا.. ليه ربنا خلق آدم الأول وبعد كده خلق حواء.. فقالت: ليه.. فقال: علشان يبكي على الأيام الحلوة اللي عاشها من غيرك!

إلى هذه الدرجة كان الكاتب الكبير محمد مندور حساسًا لأي تعبير (يخدش) أو يحاول أن يخدش حياء ووقار المسرح! ولم يعش الناقد الكبير مندور ليرى ويسمع ماذا أصاب المصريين على المسرح وعلى الشاشة ومن أي مستنقع يأتون بهذه الألفاظ والتعبيرات والغمز واللمز باليد والرجل وغير ذلك. وإذا كانت مديحة يسري قد انزعجت، فمن المؤكد أنها لم تتردد على كل المسارح الملاكي.. وإلا لدارت بها الأرض ولم تتوقف عن الدوخة!

لا أحـد أقـوى منهـا!

انتهى مولد سيدي بوش... سكتت الموسيقى وابتلع المطربون أصواتهم ونزل الستار، ورفعت الأقلام وجفت الصحف، وبعد. فإما أن الرجل مخلص في دعوته للسلام فلا شك في ذلك، وإما أنه قد قال كلامًا جديدًا فلاشك أيضًا، فقد جرؤ على ما لم يجرؤ عليه أحد من أسلافه الذين كانوا أقوى وأذكى وأحكم، وإسرائيل لا تريد أن تحرجه أو تخسره، وهي تعلم أن هناك مشكلات أخرى ليست في مصلحة إسرائيل أو أمريكا: مشكلات العراق وإيران وسوريا ولبنان وكوريا والاتحاد الأوروبي وروسيا والانتخابات الأمريكية.

وشارون أقوى رجل في إسرائيل.. والمطلوب منه بعض تنازلات مؤلمة له ولهم، ولكن لابد من تنازلات وفقًا للمفاوضات وإرضاء للرئيس، وتخفيفًا من الأعباء الواقعة والواقفة والملتصقة بالإدارة الأمريكية.

فإذا لم تفعل إسرائيل يكون ماذا؟ ولا حاجة. فقد فعلت ذلك كثيرًا، فقرارات الأمم المتحدة في الأعوام الخمسين الماضية أين هي الآن؟ لا أحد يعرف، وإنما هي تظهر من حين إلى حين

ولا قيمة لها ولا قوة، فهل تستطيع إسرائيل إغضاب الرئيس بوش؟ ممكن، فمن الممكن أن تحدث في السياسة الإسرائيلية ألاعيب وألغاز لا أول لها ولا آخر، وفي واشنطن خبراء قادرون على إقناع

الحكومة والتلاعب بأعصاب الشعب، وسوف يكتشف الرئيس بوش أن إرييل شارون قد ضحك عليه، فلا شارون هو مناحم بيجين ولا أبو مازن هو أنور السادات، ولا بوش هو كارتر.

يعني إيه؟ إن خريطة الطريق إلى السلام معقدة جدًّا، ومليئة بالأشواك. وفيها مساحات مظلمة من التغيرات اللاسلكية... وفيها محاذير.. وبعد أن قرأتها أنا أكثر من مرة، عرفت فقط كيف كانت البداية... أما النهاية فلا أعرف لها شكلاً ولا اسمًا ولاجسمًا، لا هذا العام ولا في الأعوام المقبلة!

هل نتفاءل؟ لابد من التفاؤل... وفي الوقت نفسه لابد من الصبر المر وضبط النفس... نفس من ؟ هذه هي المشكلة!!

مطلوب عملاق جديد!

استضاف معرض الكتاب هذا العام دولة روسيا الاتحادية التي جعلت شعارها: صفحات جديدة - أي صفحات أخرى غير الصفحات السوفيتية... لأنها دولة جديدة في ظروف قاسية، فقد تفككت الدولة السوفيتية وانفردت جمهورياتها السابقة بنفسها لتنهض بعيدًا عن روسيا، أو بالقرب والخوف منها، المهم أن الجميع يقلب صفحات جديدة، ولم يكن الجناح الروسي كما كنا نتوقع، إن روسيا قد احتلت مساحة كبيرة، ولم تعتذر عندما جعلت رفوفها خالية من الكتب... فالزائر متسامح ويقبل عذر روسيا التي انهدت على أدمغة ساستها وقادتها، ولكنها سوف تقوم، فهي دولة لها حضارة عظيمة في الأدب والفكر والعلم والموارد الطبيعية ومواردها الإنسانية وسوف تقوم على أكتاف رجالها الممتازين.

والذين ترددوا على الجناح الروسي كانوا سعداء ويشفقون على روسيا، ويتمنون لها أن تتعملق من جديد... فالدنيا أتعس في غيابها، فلم تسعد البشرية بانفراد الأمريكان بحكم الدنيا، كما أننا لم نكن سعداء باقتسام روسيا وأمريكا لهذه الدنيا.

ومادمنا نعيش في ظل حضارة الموت، فلا يهم كثيرًا إن كان الموت بسبب الحرب الباردة أو الحرب الساخنة!

والجناح الروسي لم يقدم لنا كتابًا واحدًا بأية لغة أخرى غير الروسية... وقد مررنا وعذرنا وقدرنا وتسامحنا واتجهنا إلى أجنحة

أخرى أجمل وأروع.. ووقفنا ولم تعرض روسيا جميلاتها اللاتي ملأت بهن الأسواق ابتداء من دبي إلى كل العواصم.

وكنت أتصور أن مستوى الجمال قد هبط في مصر إلى درجة لا يمكن مقارنتها بأية دولة أخرى، ولكن الذي رأيته، وبكيته في ألمانيا جعل مستوى الجمال المصري أعلى كثيرًا من الجمال الألماني، عجيبة!

إلا إذا كانت المرأة الألمانية هنا هي المرأة العاملة في البنوك والدائخة بين اليورو والدولار... وإلا إذا كانت روسيا قد صدرت كل جميلاتها فلم يبق عندها إلا المرضعات...

حتى هذا لا يهم، فالأمل عظيم في أن تعود روسيا إلى ما كانت عليه وأكبر وأعمق!

في 450 صفحة هادئة بسيطة حكت الملكة نور ملكة الأردن حياتها من أولها لآخرها. أما اسم الكتاب فهو (إلى الإيمان – مذكرات حياة غير متوقعة)...فكيف رآها الملك وكيف وقعت في نفسه وكيف أحبها وأحبته وزاد إعجابها بشخصه وزعامته ووطنيته... وعلى الرغم من أنها أردنية المولد، فهي لم تعش في وطنها. وإنما كانت تعمل في الطيران.. وكانت تعمل في طهران.. وعندما التقت بالملك أكثر من مرة، لم تفهم ما الذي يقصده الملك عندما قال لها إنه يريد أن يقابل والديها.

واعترضت أمها على أن تعيش ابنتها بعيدة عنها. وأن يكون ذلك في بلد عربي. واعترضت على أن يتغير اسمها فيكون عربيًا. ولكن الابنة أسعدها أن تغير دينها إلى الإسلام، فيكون لها دين آخر. واعترضت الأم.

وعندما تغير اسمها إلى نور.. نور الحسين أسعدها ترجمة هذه التسمية. فاختارت من المعاني ما يرضيها ويسعدها... فلم تر أن اسمها هو نور زوجة الحسين.... وإنما نور الحسين، أي النور الذي يهتدي به الملك الحسين... ومن المؤكد أنه أحسن من اسمها واسم أمها وأبيها... ودخلت الملكة نور وأولادها في صميم الحياة الأردنية والمشكلات والمآسي العربية... وشهدت بأن زوجها الملك كان صيادًا بارعًا في بحار المشكلات العربية والدولية...

ولا أعرف ولا سألت أحدًا إن كان الشعب الأردني يحبها كما أحب ملكات قبلها، أو يكرهها كما كره ملكات من بنات جنسها، ولكن من المؤكد أن الشعب الأردني شديد التسامح معها. في كل الذي قالته عن حياتها قبل الزواج من الملك وما نقلته عن رأي أمها في حياتها الجديدة

ولكنه برغم ذلك فسوف ينظر إليها باحترام، فهي قالت ما عندها. ولم تخف شيئًا. ورغم أن أمها لم تسعد بأن ابنتها غيرت دينها واسمها ولغتها ووطنها، فإن الملكة نور تفيض بالسعادة والامتنان للأردن شعبًا ومليكًا.....

عظمـــة بوجوفتـــش

اثنان من العلماء الأوروبيين استطاعا الكتابة عن الإسلام والدفاع عنه، ما لم يستطعه أحد في عصرنا الحديث هما: السفير الألماني مراد هوفمان والرئيس البوسني علي عزت بوجوفتش يرحمه الله. فقد دخل المستشفى وخرج منه كثيرًا في هذا العام حتى استقر الألم في قلبه فأتى عليه ومات بعد صراع طويل مع نوعين من العذاب: القلب والحرب.. ونجح في مقاومة وحشية الشعب الصربي. ودخل السجن وخرج وخطفوه.. ولكن الزعيم بوجوفتش لم يهدأ حتى استقلت بلاده وحتى اختارته رئيسًا لها.. ثم انسحب من السياسة والحرب واكتفى بالرياسة الفخرية لحزب العمل الديموقراطي..

ولما رأيت الرئيس بوجوفتش في القاهرة تقدمت وصافحته وهنأته على ظهور الترجمة العربية لكتابه البديع عن الإسلام. وكان الرجل مهمومًا بما هو أكثر من صدور كتاب.. مع أن كتابه هذا ليس كالكتب. فعلاً ليس كالكتب. فالعالم الإسلامي بوجوفتش عندما تحدث عن الإسلام بين الأديان، وعن فلسفته بين الفلسفات الحديثة كان هذا هو الاختلاف.. فهو كأوروبي توجه إلى العقلية الأوروبية باللغة الفكرية التي يفهمونها..

لم يخطب. لم يشتم. لم يفتح أبواب جهنم لمن يخالفه الرأي والرؤية. وإنما ظل في كتبه يقارن بين الفلسفات الأوروبية الحديثة وما اهتدى إليه الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا. ولابد أن القارئ العربي

يندهش لأسماء الفلاسفة الأوروبيين الذين جاءوا على قلمه: هيجل وماركس وديكارت. ولابد أن يندهش كيف جاء بهم وهو يتحدث عن النهج الإسلامي في الشرح والإقناع..

ربما كان ذلك غريبًا علينا.. لكن ليس على الأوروبي الذي يفكر في الشيوعية والمثالية والوجودية والطاهرانية.. والديالكتك. كل ذلك مألوف لديه.. أما براعة بوجوفتش ففي قدرته على النفاذ إلى عقل الأوروبي غير المسلم وإقناعه بالحديث معه وليس بالتعالي عليه أو باستخدام تراكيب لغوية أو بلاغية ليست كذلك في أسلوبه الأوروبي.

ورغم أنه كان يكتب في فترات متفاوتة بين دخول السجن والخروج منه أو البقاء الطويل فيه، فإن شيئًا من هذا لم يظهر على عقله أو قلمه - يرحمه الله - كان أستاذًا جليلاً كما كان رئيسًا عظيمًا!

ذكــــرى الجبرتـــي..

نتهامس ونتهم الذين تسببوا في أن تكون «الجامعة العربية» ضيف معرض الكتاب في العام القادم. ولا يخفي العرب فزعهم من الفشل على أرفع المستويات الثقافية والإعلامية فلدى العرب يقين بأنهم فاشلون أينما ذهبوا فرادى أو جماعات أو جامعة عربية؛ أي مادمنا قد فشلنا في السياسة فلابد أن نفشل في الثقافة أيضًا، مع أن دولاً كثيرًا صغيرة جدًّا قد تمزقت وتهدمت ولكنها تقيم معارضها الأنيقة دون خجل فهي صغيرة ولكنها لم تمت، وهي صغيرة وتريد أن تكون كبيرة..

فدول أوروبا الشرقية وفتافيت يوجوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وروسيا السوفيتية كلها لها أجنحة..

وأنا أختلف مع الكثيرين من العرب فليس من الصعب أن تنجح الجامعة العربية، ففي المعرض نماذج لدول كثيرة ناجحة: ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وكلها متاحف مفتوحة لمن يريد أن يرى ويتعلم في أسرع وقت، وليس مطلوبًا

من (الجامعة العربية) أن تطلق سفنًا للفضاء وإنما فقط أن تنسق بين الناشرين العرب المعروفين..

وفي العام المقبل سوف تحتفل مصر بمرور 250 عامًا على ميلاد مؤرخنا الكبير عبد الرحمن الجبرتي، وسوف يجيء إلينا علماء من كل مكان، وأرجو أن يدعو الفنان فاروق حسني وزير الثقافة هذا

العام الحجة في تاريخ الجبرتي: شموئيل موريه.. وبالمناسبة فله كتاب تحفة في مطابع أكاديمية الفنون. وقد ترجمت الأكاديمية هذا الكتاب وأعدته للطبع وصححه المؤلف وأضاف إليه، ولم يتمكن الصديق د. فوزي فهي من نشره.

وأرجو أن يأذن رئيس الأكاديمية الجديد الصديق الفنان د. هاني مطاوع بنشر هذا المرجع البديع عن المسرح المصري في العصور الوسطى.

فلا خوف على الجامعة العربية أنها لن تكون مثل روسيا الاتحادية التي وجدنا لها عذرًا مقبولاً.. وأعتقد أن جناح (الجامعة العربية) سوف يكون أحسن حالاً فلا بد أن يكون لها حضور في أعظم ميدان للمنافسات النبيلة لأسمى صناعة عرفها الإنسان: صناعة الفكر والإبداع والجمال.

فالخلافات بين الأدباء والمفكرين تبعث على الاحترام. وطبيعي أن نختلف ونتنافس وننسجم ونتنافر في الحق والعدل والخير والجمال- تمامًا كموج البحر وهبات الرياح وتألق النجوم..

إعلان فوق الكنيسة!

اندهشت جدًّا عندما وقفت أمام الكاتدرائية الإمبراطورية – التي كانت مكانًا لتتويج الملوك والأباطرة. اندهشت وحاولت أن أجد نفس التعبير على وجوه الذين يتزاحمون على أبواب الكنيسة من السياح.

أبدًا، أنا فقط المندهش. ولما سألت عن الشيء الغريب الذي أراه لأول مرة، وجدت الناس مندهشين لدهشتي! أي أن هذا الشيء عادي جدًّا.. أما هذا الذي أدهشني فقد تغطى وجه الكاتدرائية كلها بإعلان كبير جدًّا للسيارات اليابانية! إعلان على وجه كنيسة – طبعًا نحن لا نتصور ذلك على واجهة أي مسجد من المساجد مهما يكن صغيرًا مجهولاً..

أما الهدف النبيل فهو أن الكاتدرائية في حاجة إلى ملايين من اليورو لإصلاحها. والبلدية لا تستطيع والدولة أيضًا. ولابد للكاتدرائية أن تجد لها حلاً. ووجدت الحل. فما هي الغرابة في ذلك؟!

فالإعلانات تخترق نشرات الأخبار والأفلام وكل ما تعرضه الشاشة في كل الدنيا؟ ولم يعترض أحد على ذلك..

وراقبت الناس وهم ينظرون إلى الكاتدرائية الرائعة من الداخل والخارج والموسيقى السحرية تنبعث من تحت أبوابها الثقيلة. لم يندهش أحد لذلك، كما أنهم لم يندهشوا عندما راحوا يتبادلون كيسًا من القماش يضعون فيه ما تجود به نفوسهم من مساعدات مالية..

ولا أن يذهب المسلمون والمسيحيون فيشعلوا شمعة ويتمنوا الشفاء لمرضاهم والنجاح لمسعاهم والستر في الدنيا والرحمة في الآخرة..

ولما سألت رجلاً يابانيًا وأنا أشير إلى الإعلان. طبعًا إنت سعيد جدًا. فقال بسرعة: فعلاً. فالجو هنا جميل جدًا. والمسافات بين الناس كثيرة. على عكس اليابان..

هذا هو الذي أسعده، وليس الذي كنت أنا أشير إليه وهو أن سيارات اليابان قد ارتفعت تغطي أرفع أماكن العبادة في ألمانيا!

ثـــروت أباظـــة

تقول السيدة عفاف عزيز باشا أباظة في كتابها عن زوجها فقيد الأدب والشجاعة ثروت أباظة: رحل زوجي ثروت. فقالوا لي: اكتبي كما كتبت عن أبيك عزيز أباظة. ولكني كنت غارقة في أحزاني. ولم يكن في استطاعتي أن أكتب. أو حتى أفكر. ومرت الأيام واستطعت أن أتمالك نفسي وأمسك بالقلم.. وأما زواجنا فيربو على خمسين عامًا. ولا أدعي أن هذه الأعوام كانت كلها سعادة وسلامًا. فليس هذا من طبع الأيام.. لكني اكتشفت حين بدأت الكتابة: أنني لا أذكر إلا الأيام الجميلة واللفتات الرقيقة. وما عدا ذلك فقد غاب عن مخيلتي ونسيته تمامًا. ليتنا عرفنا ذلك قبل أن يرحلوا..

وهذا أصدق وأرق ما جاء على لسان الأديبة عفاف أباظة عن زوجها وعن الترجمة الذاتية. وأعمق ما جاء في كتابها (زوجي ثروت أباظة) في سلسلة (اقرأ).

وبعد أن حكت لنا ما كنا نعرف وما لا نعرف عن زوجها ثروت أباظة، شاءت ألا تتركه وحده فجاءت بكل أصدقائه الذين أحبهم وأحبوه وأسمعته أصواتهم وحبهم وأسفهم على فراقه. وقد أقامت له جنازة مشى فيها وتحدث وتغنى كل الأدبــاء والشعراء وأعضاء الشورى والشعب..

وأعادت الأديبة عفاف أباظة نشر أجرأ وأقوى مقال كتبه أديب عن عبد الناصر قال: في أي شيء صادق.. وفي أي شيء صدق. أي

غرابة في أن يقال ما يقال؟ وما المآل وقد سرق أمننا، ولعن كرامتنا وامتص دماء أبنائنا، وأهدر على رمال سيناء شرف مصر والعرب وتاريخ أمة ومستقبلها. وفي أي شيء صدق حتى في ذمته. قال: ارفع رأسك يا أخي، وحطم كل رأس، وفكر وأبى أن يجعل أحدًا من الناس أخًا بل أرغم الجميع أن يكونوا عبيدًا له. قال: ديمقراطية. ثم مشى وحده مسعورًا منفردًا بالحكم مشغولاً عن رصده كل خفقة نفس في البلاد.. وقال: قضينا على الإقطاع.. فإذا بأصحاب الملايين في عهد الرأسمالية كانوا لا يتجاوزون أصابع اليدين عددًا، فأصبحوا خمسمائة نتيجة لعهده.. ثروة الواحد مهما تبلغ من الضآلة تلتهم ملايين الإقطاع والإقطاعيين. وقال: ثورة بيضاء فأهدر دماء الشباب في حروب اليمن وسيناء من أجل مجده الشخصي وخراب مصر في دمائها ومالها وكرامتها..

وما لا نهاية له من عبارات هي قذائف صاروخية – لقد كان صادقًا شجاعًا يرحمه الله!

فئـــران بالملاييـــن

الأستاذ الكبير على أمين قلب الدنيا لأن فـأرًا دخـل شبكات الكهرباء وقرضها فأظلم حي السبتية. ودخل التاريخ فأر من طراز جديد اسمه (فأر السبتية) ولم يكن إلا فأرًا تجرأ على ذلك عن جهل – فصعقته الكهرباء.. ولاتـزال الفئران تفعل ذلك دون أن تعرف أن اسمها هو فئران السبتية والحوامدية والإسكندرية وغيرها من المدن.. ولاتزال الفئران تأكل الأسلاك والدوسيهات في كل البيوت والمكاتب. وفي استراليا منذ أصبحت الفئران بالملايين – استوردوا لها القطط فأكلتها وأكلت معها الطيور والأرانب فاستوردوا لها الكلاب..

وفي الهند عندما أكلت الفئران محاصيل القمح بالملايين سلطوا عليها الثعابين، ولما ظهرت موضة الأحذية والشنط والأحزمة المصنوعة من جلد الثعابين اختفت ملايين الثعابين فاستشرت الفئران. فحرمت حكومة الهند صيد الثعابين حتى تطارد الفئران التي ابتلعت محصول القمح.

ولكن طرازًا جديدًا من الفئران قد ظهر في العاصمة الأمريكية.. إنها الفئران الدبلوماسية أو المعادية للدبلوماسية.. قد فوجئت وزارة الخارجية الأمريكية بألوف الفئران تزحف عليها. وهات يا أكل في الدوسيهات السرية. فقضت على كثير من دوسيهات السياسة والاقتصاد والدبلوماسية.. وأصدرت الخارجية الأمريكية بيانًا تدعو

فيه سكان واشنطن ألا يخلقوا البيئة التي تساعد على تكاثر الفئران وألا يطاردوها فتهرب إلى وزارة الخارجية. وإنما أن يقضوا عليها أولا بأول.. لأن الفئران مع قدوم الشتاء سوف تأوي إلى مكان أدفأ. ولن تجد مكانًا أفضل من وزارة الخارجية!

وقد سارعت وزارة الخارجية إلى كل البيوت المجاورة ووزعت عليها مصائد للفئران ومبيدات حشرية.. وأنشأت خطًّا ساخنًا لتعرف من المواطنين حجم الفئران وأنواعها ومسارها..

ونحن في انتظار أن يصدر بيان من الخارجية والدفاع (المخابرات) يقول لنا إن كانت لهذه الفئران صلة بالإرهابيين: بن لادن وعرفات وصدام؟!

لا أزال أذكر اللواء محمود صاحب مدير سجن مصر الذي دعاني لكي أشاهد أغرب مسرحية في الدنيا.. ولا أعرف لماذا اختارها.. إنها مسرحية (بيت برناردا ألبا) للشاعر الإسباني لوركا.. فقد أقام المسرح في السجن. والمسرحية كل أبطالها من السيدات.. البطلة أرملة عندها خمس بنات. فرضت عليهن الحداد ثماني سنوات.. وكانت للبطلة أم ترتدي ملابس الزفاف.. وفي استطاعتك أن تتخيل كم سجنًا عاشت فيها البطلات وكل المتفرجين: حزن وحرمان وتقشف وقهر وقسوة. لابد لهذه السجون المتداخلة أن تؤدي بالبطلات إلى الجنون!

وقد أدهشني أن يكون النص المسرحي قد بعث به أحد أصدقاء اللواء محمود صاحب؟!

ومنذ أيام خرجت من السجون البريطانية ست سيدات ليشتركن في نفس المسرحية على مسرح (كريتيريون).. سجينات قررن بكامل الحرية أن يدخلن سجن لوركا (1898 ـ 1936) قد امتلأ المسرح ليرى الناس هذه الأعجوبة التي حدثت لأول مرة.. فعلى باب المسرح فكوا أغلال السجينات.. وعلى المسرح التفت حول أيديهن وأعناقهن وعقولهن أغلال أبشع.. ولكن السجينات دخلن السجون الفكرية والوجدانية والجنسية والجنائزية بمنتهى الاقتدار.

وقال لي د. أسامة أبوطالب إن هذه المسرحية قد ظهرت في مصر سنة 1968 بطولة أمينة رزق ومن إخراج عبدالرحيم الزرقاني. وكانت

حدثًا فنيًّا قويًّا حزينًا كئيبًا. ويعتبر النقاد أن هذه المسرحية هي أروع ما أبدع الشاعر الإسباني.

ويقال أعظم ما أبدعه فنان في القرن العشرين، وهي آخر أعمال لوركا قبل أن تغتاله قوات فرانكو وتدفنه في أرض مجهولة!

فما الذي أراد أن يقوله المؤلف وما الذي أراد أن يقوله المخرج والممثلات؟ إنه نفس الكلام: إننا لسنا أحرارًا تمامًا وإنما نحن نعيش تحت ضغوط عميقة.. ضغوط المحرمات والحرمان والقهر والحزن المفروض علينا.. فإذا انفجرنا أو انتحرنا أو قتلنا فهو الضغط الذي يولد الانفجار شظايا في كل الاتجاهات.. فهل هناك من خلاص؟

لوركا لايرى خلاصًا من تعذيب الإنسان للإنسان ـ ولنفسه قبل كل أحد!

كيف ينتحرون؟!

المخابرات الأمريكية لها دراسة عن أصحاب القنابل البشرية - أي الذين يستشهدون من أجل وطنهم. هذه الدراسة تقول: إنهم ليسوا دراويش.. وإنما هم شبان عاقلون تمامًا. وإنهم أبناء الطبقة الوسطى. وليسوا من الفقراء. ومتعلمون بل إن بعضهم قد تخرج في الجامعة.. والذي دفعهم إلى الموت ليس اليأس من الحياة. وإنما هو إصرارهم على أن هذه هي الطريقة التي يحصل بها شعبهم على استقلاله. وأن هذه هي الطريقة التي تثير العالم إشفاقًا عليهم، واعترافًا بهم، وغضبًا على أعدائهم: أمريكا وإسرائيل.

حتى الأستاذ أريل مارماري بجامعة تل أبيب قد التقى بمئات من عائلات هؤلاء الشبان. فوجد أن أسرهم متعلمة وأنها مستورة اقتصاديًا، وأن بعض الأسر غنية وأرستقراطية. وأنهم جميعًا من المتعلمين والمثقفين. ولم يجد أسرة واحدة تستنكر ما فعله أبناؤها. وإنما كل الاستنكار والاحتقار لطغاة إسرائيل مثل شارون وغيره.

وقد تساءل الناس: كيف يقوم متعلمون مثقفون أغنياء بقتل أنفسهم هكذا؟ وكان الجواب أنهم مثل الجنود الذين يذهبون إلى المعركة بكامل قواهم العقلية لكي يموتوا من أجل الوطن..

ولا أحد يتهمهم بالجنون ولا الدروشة.. وإنما بالبطولة وإنكار الذات.

وفـي دراسـة للمخـابرات الأمريكية عـن المعتقلين فـي سجن جوانتـانـامو أن جميع المحـتجزين متعلمون. وأن السعوديين منـهم من عـائلات أرستقراطيـة، فـهم لايشكون من فقر أو قلق على مستقبلـهم أو أنهم جهلة لايعرفون مـاذا يـريـدون. بل لاحظوا أن جمـاعات (القـاعدة) تتكون من أسر صغيرة، كل أسرة تضم خمسة أو سبعة من الإخوة المتـحـابين المستعدين للموت فداء لبعضـهم بعضًـا، سبيلاً إلى القضـاء على العدو الأمريكي والإسرائيلي!

حتـى الفدائيون اليـابـانيون الكـاميكاز كـانوا رومـانسيين يقرأون الشعر والفلسفة الألمـانية. وأنهم أبطال فـي الحيـاة وفي التـاريخ!

بل إن بعض هـؤلاء اليـابـانيين شعراء ورسـامون وموسيقيون، وكـان الموت فـي سبيل الوطن أعز أمـانيـهم.

الزعيم اليمني أحمد محمد النعمان ظهرت له مذكرات على شكل حوار مع د. على محمد زيد بعنوان (مذكرات أحمد محمد نعمان ـ سيرة حياته الثقافية والسياسية) من منشورات مدبولي في 260 صفحة. وقد كشفت خفة دمه وروحه المتمردة وشجاعته وثورته على الإمام أحمد، وعلى ثورة الرئيس السلال. وكان الرئيس عبد الناصر قد أودعه السجن مع عشرات غيره من زعماء اليمن!

وكنت ألتقي بالأستاذ النعمان كثيرًا وكان يقول شعرًا وينسبه إلى واحد اسمه الزبيري. وكان شعر الزبيري هذا على لسانه في كل المناسبات. وقد ظننت أن الزبيري شخصية خيالية حتى جاء معه. وقدمه لي هكذا: «أسطورة الشعر اليمني. شاعرنا الزبيري»!

ولم تظهر خفة دم الأستاذ النعمان إلا في مؤتمر الأدباء في بلودان: وقد رجاه الأستاذ يوسف السباعي ألا يهاجم الإمام. وكان النعمان يقول: مشانق علقت.. وكان يوسف السباعي يصرخ: في عرضك يا أستاذ! وكان النعمان يقول: يا سيدي هذه تقاليد، فكل شيء يبدأ بالمشانق..

ثم يعود يقول: كان في اليمن خمسة من القراء قتل الإمام أربعة ولم يبق سواي!

وقال أيضًا في إحدى الندوات: هناك نوعان من الشعر في اليمن: شعر في مدح الإمام وشعر في رجاء عفوه ـ وكذلك في عهد عبد الناصر.

وأذكر أنني كنت مسافرًا على ظهر الباخرة الفرنسية «ماريشال جوفر» عندما فوجئت باليمنيين خرجوا من بطن السفينة محتجين على ما كتبته عن الأستاذ النعمان - مع أنني كنت أداعبه. ولكنهم استنكروا هذه المداعبات!!

وفي السجن تفجرت ينابيع شعر الغضب على الرئيس جمال عبد الناصر. فقال:

حظروا عليه بكاءه وأنينه ... لا يشتكي منها ولا يتوجع
حظروا عليه صلاته وكتابه ... ليظل في جثمانه يتلدع

وقال:

ونحن في سجنكم بخير ... لا جوع لا عري ولا مخافة
فأكملوا فضلكم علينا ... بالشمس والجو والنظافة
صبوا على رأسه رمادًا ... وما تبقى من الكنافة
ثم كسروا الزير من ورائه ... وأحرقوا بعده لحافه!

واستدعاه الرئيس عبدالناصر وقدم له الشيكولاتة وطلب إليه أن يقرأ البخت الموجود بها فقرأ: عدو عاقل خير من صديق جاهل.. وطلب من الرئيس أن يقرأ هو أيضًا بخته الذي أضحك الاثنين. قرأ الرئيس: اتق شر من أحسنت إليه.

كان النعمان أستاذًا زعيمًا ظريفًا!!

في يوم واحد أعلنت الأكاديمية السويدية عن فوز اثنين بجائزة نوبل في الأدب.. واحد عن العام الماضي هو الكاتب المجري اليهودي أيمري كيرتش الذي نفد بجلده من معسكرات التعذيب النازية وأصدر كتابه الشهير عن (الحرية الهشة) ورواية (بلا مصير) ورواية (صلاة الميت على طفل لم يولد).

أما الفائز بالجائزة هذا العام فهو أديب من جنوب إفريقيا اسمه ماكسويل كيتزيه. وهو أستاذ في الأدب المقارن.. ثم خبير في البرمجيات وقد ابتدع تعبيرات للكومبيوتر.. وقام بالتدريس في أمريكا وأستراليا. وهاجر بعد أن أرهقته السلطات باتهامه بالعنصرية واحتقاره للحضارة الغربية وبعد أن أصدر روايته المشهورة (العار) وفيها اعتدى ثلاثة من الزنوج على فتاة بيضاء ابنة أستاذ جامعي.

وفي بيان أعلنه أعضاء الأكاديمية السويدية (18 عضوًا) قالوا: إن الأديب كيتزي في غاية القسوة في نقده لكل ما لا يتفق معه في الرأي. وهو شديد الحساسية لكل أشكال العنف: العنصري والديني والسياسي.. وهو لا يمل في هجومه على كل الأشكال الشاذة التي لا يتحقق لها الحرية والعدل للإنسان.

وفي كل سنة تختار الأكاديمية السويدية شخصية أدبية

لا تخطر على البال. فقد تقدم لهذه الجائزة هذا العام كثيرون يستحقونها أيضًا. ويقال إن الشاعر اللبناني أدونيس كان أحد المرشحين. ولكن الأكاديمية رأت في أديب جنوب إفريقيا أنه يحقق الشروط التي تنشدها: الشمول والوضوح والمثالية والصدق مهما كلفه ذلك. وأنه لم يكتف بالسخط على ما ليس سويا، وإنما هاجر من بلاده إلى أمريكا وإلى أستراليا. وقرر أن ينفي نفسه باختياره بدلا من أن تقوم الدولة بذلك!

ولم يكد يعلن نبأ فوزه حتى بادر رئيس جمهورية جنوب إفريقيا بتهنئة الأديب والامتنان العظيم لأديبين فازا بنوبل في الأدب من جنوب إفريقيا في سنوات متقاربة. وكانت الأولى هي نادية جردنر سنة 1991

وفي الوقت نفسه لم تطلب الدولة إليه أن يعود. وإنما يبقى الصراع على ما هو عليه.. والرابح في هذه الصفقة هو الأدب، والخاسر هو السياسة!

اليابـــان هـــي النمـــوذج

زارنـي وفد ياباني رسمي يضم جامعيًّا وكاهنًا وأحد رجال الأعمال هو السيد جيرو نيموتو رئيس مجالس إدارة شركات كبري وأكبر شركة في الدنيا. والرجل بسيط جدًّا. لايلفت النظر ولكنه يحسن التعبير عما يريده. والذي أراده هو: أنه لا وسيلة أخرى لتغيير أي مجتمع وتطويره إلا بالعلم. واليابان نموذج لذلك.

وكذلك كثير من الدول الأوروبية والآسيوية والأمريكية. وعندما يقول العلم: يعني كل العلوم النظرية والتطبيقات العملية والرياضية. وأن يشغل المعمل وقاعات البحث أهم وأعلى مكانة في أي مكان. وبس!

ولم يكن الرجل في حاجة إلى أن يذكرني بأن مصر واليابان قد بدأت كل منهما تتجه إلى الغرب بحثًا عن الأستاذ. ولكن اليابان قد قامت بأول وآخر ثورة بيضاء في التاريخ، وكان ذلك في نهاية القرن التاسع عشر، عندما أحس اليابانيون بأنهم جهلة. وأهم من ذلك أنهم يريدون أن يتعلموا. وكانوا بين أمرين: إما أن يذهبوا إلى أوروبا وإما أن يأتوا إليهم بأوروبا وأمريكا. وقبل أن يقرروا أوفدوا عشرة من شبابهم ليروا الدنيا فرأوا وعادوا.

وتناقشوا وقرروا: أن يأتوا بالخبراء من بريطانيا ليبنوا لهم السكك الحديدية، ومن ألمانيا ليبنوا لهم المستشفيات وصناعة الأدوية، ومن فرنسا ليضعوا لهم الدستور والقانون، ومن إيطاليا

ليعلموهم الرسم والموسيقى، ومن أمريكا ليقيموا لهم المدارس.وجاء الخبراء الأجانب وعلموا ألفي يابان ثم عشرين ألفًا ثم مائة ألف.

وأغلق اليابانيون أبوابهم عليهم وراحوا يعلمون أنفسهم. فكان ما يدهشنا ويدهش العالم كله.. ويكفي أن تعرف أن ميزانيات البحث العلمي في اية شركة يابانية تعادل الدخل القومي المصري مرة ومرتين!

قال لي رجل الأعمال الياباني:لا يوجد سر. ولا سحر ولا وصفة خارقة من أجل أن تتقدم مصر. السبيل هو العلم. والذي أوله علم آخره نور. واليابان تنتقل من نور إلى نور. فالعلم يقوم على المعرفة والمعرفة لا تنتهي والصبر والمنافسة والتفوق الذي لا حدود له!

ولن تتقدم الدول بعالم واحد عبقري ولا بعشرة.. وإنما بألف ألف يفرزون من بينهم عددًا من العلماء أصحاب الخيال والطموح والصبر...

فقــط: تحريــك الموقــف!

قال الشاعر القديم: والفضل ما شهدت به الأعداء.. وقد شهد الأعداء للسادات أكثر مما شهد الأصدقاء.. وأنصفته الدنيا وظلمه العرب واغتاله بعض المصريين؟!

وتجيء الذكرى الثلاثون وسط زفة إعلامية تقول: إن عبدالناصر انهزم حيًا في سنة 1967، وانتصر ميتًا في سنة، 1973. عجبي!!

آخر ما سمعت ما قاله لي أ.د. شمعون شامير سفير إسرائيل الأسبق في مصر، وكان في زيارة للقاهرة، قال لي: إن أعظم قرار اتخذه زعيم في القرن العشرين هو قرار السادات بزيارة القدس، ففي خطوة واحدة وضع نهاية لملايين الخطوات في مئات السنين.. سواء كان السلام بعد ذلك ساخنًا أو باردًا.. فهناك سلام والباقي هو عمليات تجميل!

ومنذ أيام قرأت مقالاً للمحلل العسكري زئيف شيف في صحيفة هاآرتس يقول فيه: إننا لم نحلل بعد ما حدث في حرب أكتوبر.. هذه أول غلطة. والغلطة الثانية لمخابرات إسرائيل أنهم لم يهتموا بما كان يفعله السادات ليلة حرب أكتوبر.. وهذه هي الغلطة الثانية.. وأن المخابرات لم تعرف أن السادات قد قرر أن تكون حربًا محدودة لا حربًا شاملة.. وحسابات إسرائيل أن السادات في الحرب الشاملة سوف يقع في مصيدة القوات الإسرائيلية ذات الأسلحة المتطورة جدًا.. لكن السادات أعلن لقواته أنه فقط يريد أن يحرك الموقف بضعة

كيلومترات ويتوقف.. لأنه لا يستطيع بعد ذلك أن يواجه القوات الأمريكية.. وكانت توقعاته كلها سليمة.. والسادات أيضًا أفهم سوريا أنها حرب شاملة ولم يقل لها إنها محدودة.. لأنه كان على يقين من أن سوريا لن تمشي معه كل الطريق.. لذلك أخفى عنها أنها حرب محدودة.

قال لي الرئيس السادات إنه قد قرأ قصة من الفولكلور الروسي لا ينساها، تقول القصة: إن قبائل الرعاة تجري مسابقات بين فرسانها فتنطلق الخيل مع شروق الشمس، فإذا عادت قبل الغروب فكل الأرض التي انطلقت فيها ذهابًا وإيابًا هي ملك للفارس المنتصر.. معظم الخيول تجري في أول السباق فإذا حاولت العودة سقطت من الإعياء.. وخسرت الأرض.

فلم تكن مهمة السادات في ذلك الوقت أن يستعيد أرضه.. وإنما كيف يحرص عليها وكيف يدافع عنها.. لذلك اكتفى بعدة كيلومترات كانت رد اعتبار المقاتل المصري.. ومن هذه المساحة الصغيرة استرد المساحة الكبيرة للأرض والكرامة.. وكان أمله في أن يكمل مشواره الذي أعلنه في الكنيست، لكن عرفات اتهمه وقتها بالخيانة والتصفوية وضاعت على فلسطين فرصة الفرص ولن تكون الأخيرة!

كــلام الرئيــس..

خطاب الرئيس بوش في الأمـم المتحدة (191 دولـة) استقبله الأعضاء بالتصفيق الرسمي - أي بما يليق برئيس لأكبر دولة في الدنيا. ولابد أن يلقى هذا الخطاب ما يستحقه من اهتمام ودراسة وتحليل. فكلامه من ذهب أصفر وأسود وصواريخ واحتلال.

قال الرئيس إنه ليس نادمًا على غزو العراق. وسواء وجد أسلحة دمار شامل أو لم يجد فإن المقابر الجماعية وغرف التعذيب وهتك الأعراض سبب كاف جدًا لضرب العراق. ويرى أن القيادة الفلسطينية - عرفات - قد خانت الشعب الذي من حقه أن تكون له دولة. وهو يطلب من إسرائيل أن توجد (الفرص الملائمة لتمكين فلسطين من إقامة دولتها) - أرجوك أن تتأمل هذه العبارة. فهي بيت القصيد، أي أهم ما في القصيدة. ولذلك سوف أعيد صياغتها: فعرفات خائن لشعبه. إذن هو الشخص غير الملائم لقيادة الشعب الفلسطيني الذي يحلم بالوطن. والجو الملائم هو الذي يخلو من عرفات. فإن لم تكن عبارة الرئيس تصريحًا واضحًا بدفن عرفات فهي تحريض على طرده حتى يكون الجو ملائمًا. وبعد عرفات سوف يكون الجو صراعات القيادات المعتدلة والمتطرفة في فلسطين وفي الشرق الأوسط. فهل هذه الصراعات هي الجو الملائم؟ هو فعلاً ملائم لكن لأي شيء؟ لشيء لا علاقة له بالاستقرار أو بقيام الدولة أو السلام. إذن فالرئيس بوش مثل شارون لا يريد السلام؟!

وقال الرئيس بوش أيضًا إنه من الواجب أن يخفف العرب من غلواء المذاهب والنظريات التي تدفع إلى العنف - أي أن في الشرق الأوسط مذاهب ونظريات هي وحدها المسئولة عن تفريخ وتلقين العنف. أي أنه يطلب تخفيف الجرعة الدينية في المدارس والمعاهد. وسوف يطبق الأمريكان في العراق نموذجًا للتعليم والديمقراطية، ليكون العراق قدوة للدول العربية ولفلسطين أيضًا. وهكذا نرى أن الرئيس بوش لم يكذب ولم يغير رأيه. فهو من اللحظة الأولى قد نطق صدقًا وحقًّا وقال: إنها الحروب الصليبية. ولما كان صداها واسعًا ومخيفًا عاد الرئيس وخفف من عبارته هذه. ولكنه كان يقصدها. وهو قد عاد إلى هذا المعنى في خطابه إلى العالم كله. فهي حرب من أمريكا والغرب كله ضد الإسلام. فغصن الزيتون الذي أمسكه الرئيس بوش كان غصنًا من الديناميت سوف ينفجر في كل مكان؟!

أبـادر فـأجدد إعجـابي بـالذين يكتبون للأطفـال. فعندهم قدرة فذة على التوضيح. ولكن لأنـهم يكتبون للأطفـال فلا أحـد يـدري بـهم. ولا حتى آباء الأطفال. وقد قرأت بمتعة روايات الكاتبة الإنجليزية رولنج عن مغامرات الطفل هـاري بوتر – رواية واحدة بـالإنجليزية وروايــة أخـرى بـالعربية. ولا يـهمني كثيرًا عـالمها المسحور الذي تنسجه ببراعة فوقع في شراكها مئات ملايين الأطفـال، أودعوا في حسـابها نصف مليـار جنيه. ولكن الذي همـني وأهمـني هو كيف تكتب. فليست الرواية وإنما أسلوبها.. عبارات‍ها – مفرداتـها.. حرفية التـأليف.

ولذلك صممت أن أقرأ مـا بلغني من مطبوعـات هيئة الاستعلامـات: الرادار تـأليف محمود قـاسم ورسومـات سمير عزيز.. ومنظار الكون تـأليف نعمات إبراهيم ورسوم هـاني طلبة.. والمـحميات الطبيعية تـأليف د. جمـال الدين صـالح ورسوم شريف البنـا.. وحديقة الصبـار تـأليف جميل علي حمدي ورسوم محمد فـايد.. ثم (موسوعة الطفل) تـأليف د. إسمـاعيل عبدالفتـاح عبدالكافي فـي 360 صفـحة من منشورات المجمع الثقـافي.

وعبـارتـها جميعًا سهلة ومحـاولة لتبسيط مـاهو صعب في العلوم وتصويب لبعض المفهومـات الراسخة. تقول نـعمات إبراهيم: أن السمـاء في اللغة، هـي كل مـا يعلونـا من سحـاب وغيره.. حتى سقف البيت يسميه العرب (السمـاوة) والسمـاء هـي القبة الزرقـاء. وهذا اللون

ظاهرة ضوئية، فشعاع الشمس يتكون من موجات مختلفة الأطوال. وعند دخولها جو الأرض تتعرض لظاهرة التشتت في الجو. والسبب: وجود ذرات الغاز وبخار الماء والجسيمات الصغيرة العالقة بالهواء. وبما أن الموجات الزرقاء هي أقصر الموجات طولاً، فمجرد دخولها جو الأرض تتنأثر وتملأ الجو بكميات وفيرة من اللون الأزرق. ويظهر الجو عاليًا فوقنا كأنه قبة زرقاء وكل ما يعلو فوقنا نطلق عليه لفظ سماء.

ومحمود قاسم لكي يقرب مفهوم الرادار إلى القارئ الصغير يحكي له قصة (زرقاء اليمامة) البدوية التي كانت ترى بعينيها القويتين ما لم يكن يراه أهلها. وكذلك الرادار الذي كان أهم أسلحة النصر على سلاح الطيران الألماني في الجو وفي البحر أيضًا..

أما الموسوعة فهي عن الطفل وليست له. وهي موسوعة بالفعل مفيدة وليست عسيرة الفهم على أي أحد. فإن كنت أبًا أو أمًّا أو تريد أن تكون فهذه الموسوعة مضمونة الفائدة..

جمـــال مبـــارك

حكاية: هل نحن مصريون فراعنة أو أننا عرب. والجواب: نحن عرب أو نحن فراعنة. ولكن لا أحد يقول فراعنة عرب. وهي قصة قديمة ومستعارة. وربما كان السبب في إحياء قضية من زمن أن القضية الفلسطينية استغرقتنا وأغرقتنا وصرفتنا عن همومنا.. فليكن.. إنها قضية شقيق وهموم أخ. ولن تؤدي هذه الهموم أن ننكر الأخوة أو نرفضها أو نتبرأ من علاقة الدم والتاريخ واللغة والدين والجغرافيا..

هذه القضية قد حسمها بقوة السيد جمال مبارك أمين السياسات في الحزب الوطني. فالحزب ملتزم بأننا عرب. وأن العروبة ليست جلباب أبي ولا جلباب ابني وحفيدي. إنها ليست جلبابًا وإنما هي جلد ولحم ودم وماض ومستقبل. فأساسنا هو الحضارة العربية الإسلامية. ومن أعراض التفكك أن نتساءل من نحن وما هي هويتنا.. ثم ننقسم قسمين أو ثلاثة أو أربعة.

فلا مانع من أن تكون أغلبية وأقلية ومن ديانات مختلفة ومن ألوان وطبقات. ولكن نحن جميعًا مصريون عرب– كنا وسوف نبقى.

وليس معنى أن القضية الفلسطينية تتعثر من سنوات والقضية العراقية أيضًا وتعبنا وزهقنا أننا قد تحولنا عن السلام مطلبًا وسبيلاً وأمنًا وضرورة حياة وطريقًا إلى مستقبل أفضل. فنحن يجب ألا نمل في دعوتنا للسلام العادل الشامل في فلسطين وفي العراق.

فقد مهدنا الطريق إلى السلام بدمائنا وشجاعتنا. ولن نحيد عن سلام كل العرب. ولا مجال للمزايدة.

.. فليس معقولاً بعد كل هذه الحروب وما أرقنا من دماء وأنفقنا من أموال وما لدينا من هموم أن نعلن: كفى ما كان وعلينا أن ننطوي وننزوي ونغلق الباب والشباك على مفهومنا الضيق للسلام.. مثل سلام جحا الذي يقول: يا جاري أنت في دارك وأنا في داري!!

وأخيرًا هذه العلاقة الطالعة النازلة والباردة والساخنة مع أمريكا. فقد أكد السيد جمال مبارك أن هذه علاقة قوية، فهي الدولة العظمى التي لا غنى عنها اقتصاديًا وسياسيًا. فمن غير أمريكا لا سلام في الشرق الأوسط أو لاسلام في العالم كله. ولاتزال علاقتنا بأمريكا متينة. وهم يحترمون حريتنا وتوجهاتنا ودورنا القيادي في سلام الشرق الأوسط..

وفي مؤتمر الحزب الوطني ألقيت على أكتاف المواطنين أعباء فكرية وتنظيمية ثقيلة ولابد أن الأعضاء في حاجة إلى وقت للفهم والتحليل والتنفيذ.. فهي ثوابت مستقبل مصر. ولا شيء يشغلنا عن مستقبلنا الباهر الآمن بإذن الله.

كلما تضاعف الوزن

لابد من إعادة قراءة البحث الذي نشرته (صحيفة اتحاد الأطباء الأمريكان).. فالموضوع خطير. ويهم كل إنسان في زمن الأعصاب المحترقة وحرق الدم وتعويض ذلك بالنوم

أو بالإسراف في تناول الحلوى والنشويات، وكلها تضاعف الوزن، والوزن هو مشكلة هذا العصر.. أي ألا تكون بدينًا هذه هي المشكلة!

ويرى الأطباء أهمية هذا البحث لأن له نظمًا كثيرة لإنقاص الوزن.

بعض هذه النظم عنيف وضار بالصحة. والسبب هو أن أصحاب الأوزان الثقيلة مستعجلون بعد أن سكتوا طويلاً. كما أن بعض المتخصصين يزعمون أن في استطاعة أي إنسان أن يكون رشيقًا مثل عارضات الأزياء في أسبوع، أو في أسبوعين على الأكثر، وهناك زحام على أبواب هؤلاء المتخصصين الذين يكسبون كثيرًا من برامج التخسيس المكتوبة والمسجلة على الفيديو..

ويتساءل التقرير ماذا يأكل الهنود واليابانيون وعارضات الأزياء حتى نرى رشاقة أجسامهم وخفة حركتهم! والكلام كثير والنظريات أيضًا.

وكذلك الذين طالت أعمارهم، كيف طالت ولماذا وكيف احتفظوا بالرشاقة وخفة الوزن حتى الموت!

قالت عارضة أزياء فرنسية إنها كانت ولا تزال جائعة من عشر سنوات فهي تكتفي بأعواد من الخس وحبتين من العنب وكثير من فناجين القهوة.. بالذمة من أجل ماذا تعيش؟!

وليس كل أبناء اليابان والهند في رشاقة عارضات الأزياء، ثم إن الأطعمة الهندية وكذلك اليابانية لا تروق لكثير من الراغبين في الرشاقة، ثم إنهم مضطرون إلى تناول أطعمتهم والحرص على عاداتهم في أكل الأرز المسلوق والقليل من اللحم والقليل جدًّا من الحلوى..

والتقرير يعيد ويزيد في حقيقة واحدة هي أنه في استطاعة كل إنسان أن يطبقها، وليبدأ بنفسه أولاً. النصيحة تقول: إن في استطاعتك أن تأكل ما تشتهي من كل النشويات والدهنيات والحلويات ولكن بشرط أن يكون قليلاً وبشرط آخر ألا تشعر أنك امتلأت.. انكتمت. وإنما أن تكون جائعًا بعض الشيء.. وبس!

ثم هذه الحكمة من شاعر الهند طاغور: حاول أن تنسى أنك لم تتناول طعامك بل تناوله واستمتع به لقد جربت ذلك كثيرًا واسترحت طويلاً.

الإنجليز لايجدون حرجًا في أن يعترفوا بأن أجهزة البوليس لديهم هي أسوأ ما في الدنيا، فلا ضبطت الجناة، ولا تعقبت الجريمة، ولأسباب كثيرة، في مقدمتها أن رجال البوليس يجلسون وراء المكاتب وقتًا أطول من سيرهم في الشوارع على أقدامهم أو في سياراتهم، وأن هذه كانت مشكلة أمريكا وألمانيا وفرنسا في سنة 1960 وما بعدها، ولكنهم أفلحوا في التخلص من سلبياتهم.

وفي تقرير رسمي عن الأمن العام في بريطانيا أنهم سنة 1920 كان عدد الضباط 75 ألفًا، وكان كل ضابط يواجه جريمتين، أما الآن فعددهم 130 ألفًا وكل واحد يواجه 44 جريمة! وعندي تجربة خاصة متواضعة، سرقوا حقيبتي في لندن،

ولم تستغرق عملية السرقة أقل من نصف دقيقة، فقد اتجهت إلى سفيرنا في لندن أمد له يدي لأشكره على أنه جاء لزيارتي، وعندما وجدت حقيبتي قد اختفت، ولم أجد ورائي وأمامي أحدًا من الناس، كيف؟ لا أعرف. وبسرعة جاء واحد متطوع يقول لي: لعل أحدًا من الطيارين الذين كانوا هنا قد أخذها خطأ أو عمدًا، وانطلقت غريزيًا أبحث عن الطيارين، لم أجد أحدًا، فاتجهت إلى استعلامات الفندق، طلبوا بوليس اسكتلانديارد، ومضى من الزمن الثقيل نصف ساعة، ولم يحضر أحد، ومضت نصف ساعة أطول وأثقل عندما ظهر شاب حليوة جاء يتبختر هادئًا ناعمًا، وأشاروا ناحيتي، واقترب مني

وعرفني بنفسه، وجلسنا وسألني كثيرًا عن اسمي وعنواني وكم عدد فلوسي وتذاكر الطائرة إلى سويسرا في طريقي للقاء الأديب ديرنمات، وإن كانت هناك بطاقات اعتمادات بنكية، وطال السؤال والجواب، ووجدت أنه يسألني عن أشياء غريبة ولا معنى لها، ولكن قلت لعلها أسرار المهنة الأمنية، ولا يهم مادام سوف يعيد لي كل ما ضاع مني في لحظات، وسألته ضيقًا به ومنه: في رأيك هل هناك أي أمل في استرداد ما ضاع مني؟ ويمنتهى الهدوء والجمال والرشاقة مد يده يصافحني ويستودعني: لا أمل!

وثيقة تـاريخية، خبطة صحفية، تحفة فنية، إنجـاز تـاريخي.. هذا الملحق عن الملك (فـاروق ظالمًـا ومظلومًـا) الذي أصدرتـه الأديبة سناء البيسي رئيسة تحرير «نصف الدنيا»، وإعـداد الصحفية المجتهدة سهير حلمي التي حشدت لهذا العدد مئـات الصور النـادرة ومعلومـات دقيقة وموثقة، يجب ألا تفوتك.

والـذي جاء في هذا العدد الخـاص من نصف الدنيا هو متحف للصور النـادرة لتـاريخ مـا قبل الثورة في مصر، وهذا يؤكد الصعوبـات التي واجهت الزميلة سهير حلمي في الحصول عليها من مصر، ومن خـارج مصر، ومن بقـايا الأسرة المـالكة، ولا أعرف كم عدد السـاعات التي أمضتها في رصد المعلومـات ونقلها وتسجيلها وتحريرها أو ترجمتـها.

وقد مهدت لهذه الوثيقة التـاريخية بدراسة عن مقدمـات الثورة، بمـا فيها حيـاة الملك وحـاشيته ورجـاله ومقدمـات الفساد والانحلال التي حتمت قيـام الثورة عليها.

وبـالأمس اتصلت بـالأميرة فريـال بنت الملك فـاروق من زوجته فريدة أحدثـها عن هذا السجل التـاريخي لتطلب من ابنتـها في القـاهرة أن تبعث به إليهـا، وكذلك أخوهـا الأمير أحمد فؤاد الذي قـابلته أخيرًا في معرض توت عنخ آمون في سويسرا، وفوجئت بـأنـها قد خرجت

لتوها من المستشفى بعد عملية جراحية خطيرة، أقعدتها عن الحركة، وبعد مكالمتي توفيت أختها فوزية!!

ولكن هذا لم يمنع حماسها لأن ترى كيف كانت هي وأمها وأبوها والدنيا عندما كانوا صغارًا.

ولم يكن الملك فاروق خائنًا لمصر، وإنما كان شابًّا صغيرًا تكاثر عليه الذئاب والكلاب فكان ما يستحقه، وكان ما نستحقه نحن أيضًا.

تلقيت من السيد وزير القوى العاملة الرسالة التالية:

أتشرف بالإفادة بأنني قد استمتعت بحواركم الشيق مع السيدة صفاء أبوالسعود في برنامجها الناجح المميز (ساعة صفا) يوم السبت الموافق 18 ديسمبر الماضي، وقد ورد بالحوار عبارة تمس السيد وزير القوى العاملة. وبالرغم من علمي بما تقصدونه – لأنها معلومة لدينا حيث تمت عام 1972 – ولكنكم لم توضحوا للمشاهد الكريم تاريخ هذه الواقعة والوزير المقصود بها، والتي يفهم منها أنها تقصد وزير القوى العاملة الحالي..

أكون شاكرًا للتفضل بالتوضيح والتأكيد على تاريخ الواقعة وأنها لا تمس وزير القوى العاملة الحالي، وأحمد الله تعالى أنني أعتز باللغة العربية تحدثًا منذ رئاستي للاتحاد العام لنقابات عمال مصر وحتى شرفت بمسئولية الوزارة.

وإنني إذ أنتهز هذه المناسبة لأعرب لكم عن تقديري لشخصكم.. وفقكم الله ومتعكم بالصحة والعافية.

أحمد أحمد العماوي

السيد الوزير الحالي هو الذي اشتكى مع أنني لم أقصده. وهو الذي حدد وقتًا ووزيرًا معينًا، مع أنني لم أشأ أن أذكر ذلك! ثم إن هناك عددًا لا بأس به من الوزراء الحاليين والسابقين لا يعرفون أبسط

مبادئ اللغة العربية؟ ولا أعرف كيف صورتهم أمام أولادهم.. وأمام ملايين الأطفال الذين يعرفون مبادئ النحو.. ثم إن بعض المذيعين يغلطون أيضًا.. واللافتات غلط.. وكذلك الإعلانات على الشاشة.

والمعنى.. لا مبالاة.. إهمال.. وجهل أيضًا. لقد أصبحت لغتنا غريبة علينا. ولم تعد من مفاخرنا لا هي ولا تاريخنا. وإذا كان بعض الآباء قد امتنعوا عن التدخين حتى لا يدخن أولادهم، فلماذا لا يخجل الآباء الذين لا يعرفون خبر كان وليس في نيتهم؟

فـــوق البركـــــان..

تصادف انفجار بركان في جزر هاواي عندما كنت هناك سنة 1959، وقد استأجرنا طائرة صغيرة بمحرك واحد لنلتقط الصور التي نشرتها مجلة «آخر ساعة»، وأسعدني أنني انفردت بها وأسعدني أكثر أن مجلة «لايف» الأمريكية طلبت شراء بعضها، فقد كنا أسبق في رؤية البركان والتحويم حوله وفوقه، وكنا نشعر في داخل الطائرة بحرارة الحمم البركانية لدرجة أننا خلعنا ملابسنا.. ولما هبطت الطائرة في هونولولو صرخنا.. فقد نفذت الحمم البركانية في جناحي الطائرة وعلى مسافة ملليمترات من خزانات الوقود، ولكن كنا شبابًا نريد أن نرى وننفرد بالصورة والخبر والإثارة والمتعة ثم الكتابة بعد ذلك!

وقبل ذلك بأسبوع كنت في مدينة مانيلا بالفلبين ووجدت متعة مثيرة في تناول إفطاري بمطعم في فوهة بركان خامد، وكانت الأرض ترتجف تحتنا، والناس على يقين من أن البركان الذي ينتفض من عشرات السنين لن ينفجر إلا بعد عشرات السنين!

وكانت براكين صغيرة.. براكين «عيالي»، أما الذي نراه اليوم ونقرأ عنه فهو جهنم قد خرجت من تحت الماء، فلا الماء جف ولا الدموع، وإنما زلزلت الأرض وأطلقت أمواجًا كالجبال تكتسح البحر والبر وتبلع الجزر أيضًا، وأحمد الله أنني لم أكن هناك في جزر المالديف، فقد كنت قد اتفقت مع صديقي الرئيس عبدالقيوم على

زيارته في الوقت نفسه، وتأجلت الرحلة لظروف خاصة.. كان الله في عونه بعد اختفاء عدد من الجزر في جمهوريته الصغيرة.

وقال العلماء: إن للزلزال قوة مليون قنبلة ذرية انفجرت في لحظة ولحدة فاهتزت الكرة الأرضية وأسرعت في دورانها حول نفسها بما يعادل واحدًا على مليون من الثانية!

لقد عرفنا الآن نهاية أخرى لكوكب الأرض.. فمن المعروف أن نهاية الحياة على الأرض بالابتعاد عن الشمس فتتغطى بالجليد ونموت، أو بالاقتراب من الشمس فتتبخر المياه ونموت.. أو بأن يصطدم بها جرم سماوي كبير فيسحق الأرض ويطرحها في ظلمات الكون.. أو تنفجر الأرض علينا وبنا من أعماقها، وما حدث في إندونيسيا ليس إلا «بروفة» مروعة لهذه النهاية.. والله أعلم!

نشرت الصحف أن مدينة في تركيا أقامت معرضًا لمنتجاتها. وهذا واجب كل المدن ذات الصناعات المتخصصة. أما تخصص هذه المدينة فهو البردعة والسيرج للحصان والبغل والحمار. فكرة. تمامًا كما تفعل أبو رواش والحرانية في إقامة معروضات للسجاد اليدوي. وأن تقيم دمياط معارض للأثاث وصناعة الألبان والحلويات. وتقوم مدينة أجا بالدقهلية بصناعة العصائر والمربات.. ومدينة نبروه بالدقهلية بعرض مودرن لصناعة الفسيخ والسردين في علب أنيقة نظيفة..

أو تعرض قنا صناعة الفخار والأقصر صناعة الآثار المقلدة، والتي تصدرها لكل الدول التي لاتستطيع أن تعرض آثارًا فرعونية حقيقية.

ولا توجد دولة في العالم لا تشجع مدنها على عرض أحسن ما لديها.

ثم إقامة معرض وطني لأحسن ما تنتجه كل البلاد..

وقد نشرت الصحف ووكالات الأنباء خبر معرض البرادع على أنه نكتة... لأنها شيء غير مألوف. والحقيقة أنها ليست نكتة.. وإنما هي فكرة ذكية، وفي أوروبا وأمريكا معارض لملابس الكلاب والقطط.. ملابسها الشتوية التي تتفنن فيها، والتي تباع بمئات الملايين –

فما أكثر الكلاب والقطط وعشاقها والعيادات والدكاترة البيطريين والمجلات وشبكات الإنترنت!

وقد حاولت أن أعرف شيئًا عن الكلب الياباني الذي عندي. ووجدت شبكة وكتبًا ومجلات وأطعمة وشامبو وزيوتًا ونصائح طبية وتاريخًا كاملاً.

ووجدت أشكالاً مختلفة من الملابس الشتوية وأنسبها وأجملها. والكتب والقصص التي ورد فيها اسم هذا الكلب..

وكيف أن هذا الكلب يعتبر من ألذ الأطعمة في الصين واليابان.. مع صور للكلب وللمشاهير من أصحاب الكلاب، وكذلك المواقع المتخصصة في ملابسه وأجملها وأرخصها.. وهو ليس إلا نوعًا واحدًا من هذه الحيوانات المحبوبة..

محمد علي الكبير أبو النهضة المصرية مثل طه حسين: لا يقرأ ولا يكتب! ولكن لكليهما عقلاً جبارًا وإرادة من حديد.. فقد جاء محمد علي من ألبانيا ليقفز بمصر إلى الأمام كما لم يفعل لها وبها أحد من القادة والمصلحين. وكذلك طه حسين الأعمى الذي أشرق علينا من صعيد مصر ليهدي عقولنا إلى المعرفة. وهو ابن الأزهر والسوربون. فهو الذي عرف أسرار اللغة، وعرف أسرار البلاغة والأناقة الجميلة، وهو أيضًا ابن العقل الفرنسي والنور والمنطق وبناء الجسور بين مصر وبين أوروبا ذهابًا وإيابًا.. ونحمد الله أن عشنا في عصر طه حسين والعقاد، وعند نهاية الطريق الذي فتحه ورصفه وأضاءه محمد علي الكبير الذي نحتفل هذا العام بمرور قرنين على جلوسه على عرش مصر - وكذلك فرنسا تحتفل أيضًا بمرور قرنين على تتويج نابليون لنفسه إمبراطورًا على فرنسا.

وإذا نحن قرأنا مذكرات رفاعة الطهطاوي يدهشنا أن محمد علي كان يطلب تقريرًا يوميًا عن حياة طلبة البعثات وفي مقدمتهم الطهطاوي - ولم يكن الطهطاوي مبعوثًا ليدرس وإنما ليقيم الصلاة لطلبة البعثات حتى لا تجرفهم باريس بعيدا عن العلم وعن المهمة الجليلة التي كلفهم بها ولي النعم- أي محمد علي باشا. ولا نعرف اليوم أسماء هؤلاء الطلبة الأربعين أو الخمسين الذين أوفدهم الباشا محمد علي وإنما فقط الطالب النابه رفاعة الطهطاوي الذي درس

القانون والفلسفة والأدب وترجم الدستور الفرنسي وكان أعظم داعية للعلم والنور وكان مؤمنًا وبقي كذلك. ولكنه لم ير أن الدين يتنافى مع العلم.. وللطهطاوي تحفظات واعتراضات على سلوكيات الشعب الفرنسي. ولكن ذلك لم يحجب عنه الأبهة العقلية والعظمة العلمية وحاجة مصر إلى كل ذلك!

عندما اشتعلت الثورة الصناعية سنة 1750 على شكل أفران ومواقد ينبعث منها غاز ثاني أكسيد الكربون، لم نكن نعرف أنه سوف يصيب جو الأرض بعد ذلك بقرنين ونصف قرن.. فقد ارتفعت درجة الحرارة درجتين.. وليست هذه إلا البداية. وبعد عشر سنوات سوف ترتفع حرارة جو الأرض.. ونصل إلى نقطة اللاعودة.. هذه هي الأخبار السيئة التي جاءت في التقرير الذي أصدرته أمريكا وبريطانيا وأستراليا أخيرًا..

التقرير اسمه «تحديات الجو» أي ما الذي سوف تعمله الدول الصناعية الكبرى في مواجهة هذا التحدي الهائل.. أي عندما ترتفع درجة الحرارة بعد عشر سنوات.. فإذا ارتفعت فلن تهبط.. هذا الارتفاع سوف يؤدي إلى الجفاف وإبادة المزارع وغابات الأمازون ونفوق الحيوانات وموت الإنسان أيضًا.وأخطر من ذلك أن ارتفاع درجة الحرارة سوف يؤدي إلى ذوبان الجليد في قارة جرينلاند شمالاً وفي القطب الجنوبي.. وهذا الذوبان سوف يرفع مستوى المحيطات عشرة أمتار عن معدلاتها.. والنتيجة غرق ألوف الجزر ودلتا الأنهار في معظم القارات.

ويطلب هذا التقرير الخطير من الدول العظمى أن تستخدم الكهرباء بدلاً من الفحم والخشب وغيرهما من الوقود.. وأن تعجل بذلك.. وتمت دعوة الدول الصناعية العظمى إلى ضرورة الاستعانة بالصين

والهند.. وكلتاهما مصدر رهيب لثاني أكسيد الكربون كما أن انبعاث غازات الكلوروفلوروكربون «ك. ف. ك» المتزايدة يضاعف من هلهلة غلالة الأوزون التي تمنع عنا أشعة الموت. ويقول التقرير: إن صمت الدول العظمى عن هذه الكارثة موقف لا أخلاقي.

كل يوم تقع الصحف في أخطاء لغوية ونحْوية. وأحاول أن ألفت إلى الصح، ولكن تتساقط الأخطاء.. كأنني وكأننا لم نقل شيئًا! فالخطأ المعروف أقوى من الصح المجهول. مثلاً: هل تريد هذا (أم) لا.. ونقول سواء هذا (أم) ذاك.. والصحيح هو ما قاله القرآن الكريم: هل يستوي الذين يعلمون (و) الذين لايعلمون.. أي أن الذين لايعلمون لايستوون (و) الذين يعلمون.. ونقول سواء هذا أو ذاك.. والأصح أن نقول: هذا (و) ذاك: سواء.. أو سواء هذا (و) ذاك..

ومن الممكن أن نقول: وسواء عليهم هذا (و) ذاك..وكلمة سواء: خبر مقدم.

فكلمة سواء تجيء كالخبر أو كالمبتدأ.. فلان وعلان: سواء.. سواء: علان وفلان.. ولانقول فلان (أم) علان: سواء.. وكلها كما ترى مبادئ بسيطة جدًّا يعرفها الصغار ولكن يقع فيها الكبار كل يوم مع الإصرار على الاستخفاف بها وبنا!

وأحب الكلمات إلى قلوبنا جميعًا هي مصر.. ولكننا نكره هذه الكلمة عندما ينطقها أو يشخط فيها الوزراء والساسة فهم يقولون: ميصر. أي أنهم يؤكدون أنها مصر وليس الكونغو.. ميصر الدولة والشعب وليست أي شعب آخر.. بينما مصر بفتح الميم أو بكسرها عربية فصيحة.. وليس بإضافة ياء بعد الميم مع التشنج. وفتح الميم

وكسرها صحيح.. ولكن الأخف والألطف والأحب إلينا أن ننطقها بفتح الميم وتخفيف الصاد أو بفتح الميم وليس الصاد!

وكان المصريون الذين يعملون في الإذاعات الأجنبية ينطقونها (الجيم) المعطشة، ظنًّا منهم بأن الجيم المصرية ليست فصيحة.. أو لأنهم يجاملون الأشقاء العرب الذين يعملون معهم.. أي أن سبعين مليون مصري يجب أن يجاملوا خمسة أو عشرة ملايين. أو يجب أن ينطقوا الجيم المعطشة حتى لا يعرف أحد من أي البلاد كل هؤلاء المذيعين.. وبعض المصريين أصروا على الجيم المصرية واليمنية والألمانية أي الجيم الخفيفة، وخصوصًا في الإذاعة البريطانية. وقد لاحظت أخيرًا في الإذاعة البريطانية والشبكات العربية الأخرى أنهم تركوهم ينطقونها كل واحد بلهجته.. تمامًا كما نرى مذيعات الشبكات العالمية بألوانهن المختلفة: الأبيض والأسود والأصفر..

بسبب سوء التغذية ونقص الرياضة والحالة العصبية: تصبح بدينًا. فنحن عادة لا نأكل ما هو ضروري. ونأكل في أوقات غير منتظمة. وإذا أكلنا ألقينا بأنفسنا على السرير.

فلسنا في حاجة إلى كل هذه الأطعمة التي نحشرها في المعدة. لأننا بعد الثلاثين لا نحتاج لأطعمة كثيرة. وإنما الحيوي الضروري الذي يفقده الجسم ووظائفه. فكل ما نحتاج إليه هو الصيانة. أما بناء الجسم فقد اكتمل تمامًا. وما زاد عن ذلك تحول إلى كثير من الشحم وقليل من اللحم. فعلى المائدة المصرية يوجد الأرز إلى جوار البطاطس وفي حضن المكرونة وكثير من الخبز - وكلها مواد نشوية. ونأكل الأرز والبطاطس معًا. ونغمس الخبز في البطاطس، وكلها عادات غير صحية!

أما الرياضة فنحن أقل الناس حركة. وإذا تحركنا فحركتنا غير منتظمة؛ لأن الرياضة هي الحركة المنظمة وليس من الضروري أن نقوم بحركات أبطال الملاكمة والمصارعة وكمال الأجسام ولا أن نجري جري الوحوش كلاعبي كرة القدم. ولكن القليل، عملاً بالمثل الذي يقول: قليل دائم خير من كثير متقطع! وهناك نظرية تقول: الرشاقة إرادة!

أقول لك كيف: لابد أنك تريد أن تكون رشيقًا. وإذا أردت فصمم على ذلك. وإذا صممت فأن تصبر على الجوع. والمعنى: أن تأكل كل

ما تشتهي نفسك. ولكن قليلاً. فلا تأكل الحلويات بكثرة: ففيها سكر وسمنة ودقيق!. وهي الخلايا الأولى لأن تكون بدينًا ملء هدومك وهدوم أناس آخرين أيضًا.

وفي كتاب للسيدة كارولين ميديسون تتحدث فيه عن جميلات السينما.. كلهن يقلن شيئًا واحدًا. إنهن جميعًا عشن في حرمان: فإما ملء البطن وإما الجمال والرشاقة.

وقالت لها جميلة جميلات فرنسا كاترين دنيف: إنها كثيرًا ما بكت من الجوع. وفي قصة حياة بطلة بطلات الدورة الأوليمبية نادية كومانيتشي أنها إذا تصادف وأكلت خمس ملاعق من الآيس كريم، فرض عليها المدرب أن تمشي خمسة كيلو مترات ذهابًا وإيابًا ليحترق السكر الذي زاد في جسمها. إذن: رشاقتك في يديك!

كتبت من أيام أن كلمة (برعي) لعلها مأخوذة من الكلمة الفرعونية (برعو) يعني القصر العالي.. ومنها جاءت كلمة الفرعون. أي ساكن القصر العالي.. ومثل البرعو الآن البيت الأبيض وشارع دوانينج والإليزيه.. فتلقيت رسالة من السيدة نيللي سعد تقول فيها: إذا كانت البرعو أو الفرعو تعني القصر الكبير وساكن القصر الكبير أيضًا.. فكلمة (موسى) كذلك. والقرآن الكريم يقول: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة يونس الآية 87.

ومعنى ذلك أن بيت موسى كان مسجدًا وقبلة لبني إسرائيل في مصر. فالمسجد كان معروفًا باسم (بيت موسى). وكلمة مسجد باللغات الأوروبية مأخوذة من كلمة موسى.. بالإنجليزية والفرنسية: موسك وبالألمانية موشى وفي مصر حي الموسكي أي حي المسجد.

والسيد كمال شافعي الخطيب يقول لعل كلمة برعي مشتقة من لفظ البراعة: والبرعي هو الشخص البارع الذي تجاوز حد الإتقان إلى التفوق. والبرعي هو الشخص الذي يبرع في كل شيء؟

ولكن في القاموس: برع يبرع بروعًا وبراعة فهو بارع. والمرأة بريعة أي جميلة. ويقال بارع وفارع أيضًا. والمرأة يسمونها بروع – يجوز.

ومن د. مرجريت دلاسولا من إيطاليا ولها علاقة بمصر ولها دراسات عربية وتقيم في مدينة تورنتو جنوب إيطاليا تقول: إن كلمة برعي موجودة في الفارسية والتركية ولها اشتقاقات قريبة من المعنى الذي اخترته أنا. فليس بعيدًا أن يكون البرعي أو برعي منسوبًا إلى الفرعون.

ويقول السيد عبدالرحمن عوض الباحث في علم السودانيات: بل الأرجح أنها عربية الأصل نسبة إلى (برعة مخلاف) بالطائف بالسعودية. والمخلاف معناه الإمارة الصغيرة. وفي السودان شاعر اسمه عبدالرحمن البرعي. وهناك منشدون اسمهم (أولاد البرعي).

هل من الممكن أن نتفادى اصطدام مُذَنَّب بالأرض ـ أي كتلة صخرية تدور في مكان ما حول الأرض أو حول الكواكب الأخرى وفي طريقها بعد سنة أو مائة سنة إلى كوكب الأرض؟ لم نكن نستطيع في أي وقت، ولذلك ارتطمت بالأرض أجسام فضائية كثيرة. بعضها عندما دخل الغلاف الأرضي تحول إلى بودرة تناثرت بما فيها من ميكروبات أو جراثيم في جو الأرض وماتت أو انتعشت، وانتفضت تصيبنا بأمراض لم تخطر لنا على بال. أما الآن فممكن، ولذلك سوف ينطلق صاروخ يرتطم بأحد المذنبات التي تقترب منا، ويكون هذا المذنب على مسافة 80 مليون كيلو متر. أما الصاروخ فسرعته 22 ألف كيلو متر في الماء. وسوف يكون لقوة الاصطدام خمسة أطنان من المتفجرات. فإذا اصطدم تطاير التراب لتلتقطه السفينة الأم وتحلله وتبعث بالنتائج إلى الأرض. فماذا نريد؟ نريد أن نعرف طبيعة هذه الأحجار الضالة في الفضاء، ومن أين جاءت وكم عمرها. وهل كانت أو لا تزال بها حياة.. أي نوع من الحياة؟ أي كانت فيها مياه أو بقايا مياه أو جليد؟

فهل هذا كل ما نريد؟ لا إنما نريد أن نقوم بتجربة فريدة. هذه التجربة هي: هل يمكن إبعاد هذه المذنبات عن الأرض؟ بمعنى أن نغير مسارها بعيدًا عن الأرض. فقد تعرضت الأرض كثيرًا لمثل هذه الأجسام، وأحدثت في الأرض تجويفات هائلة، ثم أبادت الحياة من

فوق سطح الأرض.. حياة النبات والديناصورات من 60 مليون سنة – وكانت الديناصورات قد عاشت وعاشت في الأرض ستين مليون سنة!

فهل هناك مذنبات تهددنا؟ هناك. وليس بعيدًا أن مذنبات أخرى في طريقها إلى الأرض من ملايين السنين. فكل أملنا أن تطول بنا الحياة مليون سنة أو عشرين مليونًا أخرى!.

الفنـــان أي الحمـــار!

الكلمات والأفعال كانت لها أصول في الاستخدام المادي، وبعد ذلك استخدمناها لمعان أخرى.. فنحن نقول رأيت الكلب.. وبعد ذلك نقول: الرأي والرؤية والرؤيا.. ونقول: نظرت إلى الشيء.. ثم النظرة والنظرية والتنظير.. وكثير من أسمائنا وصفاتنا كانت صفات للحيوانات أو أسماء لها..

فنقول مثلاً: الزجل: هو الشعر العامي، والعرب استخدموا الزجل في وصف صوت الذباب. وكلمة (دندن) والدندنة هي أيضًا صوت الذباب. وكلمة الدردح.. نقول فلان مدردح ونجعلها فعلاً أيضًا. والعرب قصدوا الناقة العجوز التي سقطت أسنانها!

ونقول: الفرفور والفرافير للدلالة على الطيور الصغيرة.

ويقول العرب: الأنيس أي الديك قوي البصر.

ويقولون الخنساء: أي البقرة الوحشية..

ويقولون العنتر: أي الذباب الأزرق.

والعوكل والعوكلة أي الأرنب..

وأبو حيان نوع من الأفاعي يعيش ألف سنة؟! ويقال في معنى اسم المفكر العربي (أبوحيان التوحيدي).. إن الحيان نوع من البلح. فقد كان أبوه يبيع البلح. ولايزال الباعة عندنا ينادون على البلح فيقولون: حياني يابلح..

والفنان: هو الحمار الوحشي.. إما لأنه يقوم بفنون من الجري وإما لأنه ينتقل من فنن إلى فنن حرًّا طليقًا!

والمناخ أي المكان الذي تنام فيه الإبل.. تناخ فيه الإبل!

والناظر: هو الثعبان الذي إذا نظر إلى عين إنسان فإنه يموت. ولقد رأيت في (معهد الرازي للسموم) بالقرب من طهران حيث يستخرجون السم من الأفاعي والعناكب والعقارب والنحل. وأشاروا إلى ثعبان يطلق سمه كالقذيفة على عين أي إنسان فيصيبه بالعمى. وقد وضعت عيني على الزجاج الغليظ من الخارج، فأطلق الثعبان سمه أمام عيني بالضبط!

وغيرها ألوف الكلمات التي فقدت معناها الأصلي..

ما الذي يريده المصريون في الخارج من القنوات الموجهة إليهم؟.. أولا أن تحدثهم عن مصر.. حالها ومالها.. وأن تملأهم فخرًا، وألا يشعروا أمامها بالخجل.. فلا نذيع البرامج التي تفضح المصريين وتجعلهم يشعرون بأنهم دون البشر.. وأنهم عندما قرروا الحياة خارج مصر، فلم يكن هربًا منها.. وإنما أرادوا أن يضيفوا لبلادهم مساحة جديدة من الأرض وعددًا إضافيًا من الناس..

فلم أندهش عندما تلقيت رسالة من السيد صالح الفقي من أمريكا تقول: إن البرامج التي يشاهدونها على الفضائيات لا تنافس القنوات العربية الأخرى، فالقنوات العربية أحسن وأجمل وأكثر تنوعًا.. بل إنه لا ينسى برنامجًا عن الطهو.. وكان المطبخ قذرًا.. وكانت السيدة التي تقدم الأطعمة الشهية – هي التي تقول إنها شهية – لم تكن ترتدي الجوانتي في يديها، ثم إن الأطباق مقرفة والملاعق والشوك أيضًا.

وكتب د. أسامة صديق مأمون خبير الطب التكاملي بالمدينة المنورة يقول: إن الألوان باهتة والصور متقطعة والمقاعد سيئة، كأنهم خطفوها من أحد المقاهي الريفية.. بينما أولاده شاهدوا قناة مغربية لم يفهموا من الكلام شيئًا ولكن المناظر جميلة أنيقة نظيفة! ومن رأيه أنه حرام علينا أن نبث القنوات المحلية على الفضائيات!

ويسألني د. عبدالواحد النادي من كندا عن المشايخ الأفاضل؟ ومن الذي يتوجهون إليه بالكلام والوعظ والإرشاد؟.. ومن هو المستمع الذي يفهم ما يقولون؟

ومن د. وداد نورالدين حسني من ليون بفرنسا: إن مذيعات التليفزيون يجب أن يكنَّ على قدر من الشياكة.. والشياكة هي البساطة.. لماذا لا ينظرن إلى الفضائيات العربية - جميلات أنيقات وفي غاية البساطة.. أو إلى القنوات الأمريكية والأوروبية؟

وأرى أن الحق مع المصريين في الخارج..

صحيح من المسئول عن هـؤلاء الذين أقاموا لأنفسهم عروشًا وتجرأوا بالفتوى في كل شيء، ولم يجدوا من يسحب العرش من تحتهم... إما لأنهم لا يعترضون على ذلك، وإما لأن الأمر لا يعنيهم.

والصحف والمجلات تفسح مكانًا لأصحاب الآراء الخنفشارية؛ أي الكلام الفارغ الذي لا هو قرآن ولا هو حديث، ولاهم قد يبلغون هذه الدرجة الرفيعة من المعرفة.. فالفتوى أعلى مراتب العلم!

وقد حدثنا رائد التنوير رفاعة الطهطاوي في كتابه (تخليص الإبريز) أنه عندما وصلوا إلى ميناء مرسيليا سنة 1826 أدخلوهم (الكرنتينة) أي الحجر الصحي، وتساءل بعض العلماء هل الحجر الصحي حرام أو حلال.. الذين قالوا إنه حرام كانت حجتهم أن هذا اعتراض على مشيئة الله.. أي أن المرض هو القدر وهو مشيئة الله.. ولذلك فالعلاج حرام!

وفي نفس الوقت ظهرت رواية (عمال البحر) للأديب الفرنسي فكتور هوجو، وفيها يقول: إن الأطباء عندما اخترعوا البنج، اعترض عليه بعض رجال الدين، وقالوا نفس الشيء، كيف لا نتعذب كما تعذب السيد المسيح؟!

أي أن قتل الألم كفر؟!

وهم الذين يعترضون اليوم على استخدام الموبايل - لأنه مصدر للفتنة والإغراء والإفساد، فهو حرام!

ودخول دورة المياه بالقدم اليسرى حرام.. ووضع العطور حرام.. لأن بها كحولاً - مع أن التحريم لشرب الكحول وليس لاستخدامه في صبغة اليود لمعالجة الجروح!

تقول د. نرمين أحمد السلحدار من إيطاليا إنها قرأت عن تحريم الروج الأسود والأزرق ففي ذلك تشويه للجمال الذي خلقه الله؛ أي أنهم لا يحرمون الروج الأحمر الذي يبرز ملامح المرأة وفتنتها للرجل؟!

ويقول بلدياتي د. منير سعد الدين الغمراوي من مدينة جراتس بالنمسا إنه في عجب من أمرنا - كيف نعترض على التطرف الديني، ولا نعترض على الذين ينشرون التطرف في الصحف وفي التليفزيون.. يقول: شيء عجيب تنشرون التطرف فإذا آمن به الناس وضعتموهم في السجون. لماذا لا تضعون هؤلاء الأدعياء - والله فكرة!

البــن فــي عروقــه!

من 200 سنة نحن نشرب القهوة بانتظام وفي مصر عرفنا الشاي مع قدوم الفاطميين.. قد أتى به الطلبة المغاربة إلى الأزهر. وفي أوروبا كانوا يرون المرأة التي تشرب الشاي أو القهوة أو تدخن – امرأة غير مهذبة. ولكن أحدًا لم يعرف لماذا أصبحت للقهوة هذه الشعبية حتى جاء العالم الألماني رونجه واكتشف مادة في البن اسمها الكافيين هي التي تنبه الجهاز العصبي.. ثم في سنة 1838 اكتشف العلماء أيضًا أن نفس المادة موجودة في الشاي وفي الكوكا والكاكاو!

ومن المصادفة أن تظهر القهوة مع الثورة الصناعية في أوربا التي دفعت إلى عمل أكثر وساعات أطول. والفضل في إطالة ساعات العمل يرجع إلى البن.. ويرجع أيضًا إلى اختراع المصباح الكهربي. فقد كان العمل قبل ذلك مرتبطًا بشروق الشمس وغروبها.. فجاءت الكهرباء وأطالت النهار وكذلك القهوة.. ولم يعد لنا ارتباط بالشمس شروقًا وغروبًا ولا بالليل والنهار..

وقد قيل عن الروائي الفرنسي العظيم بلزاك إن البن وليس الدم هو الذي يجري في عروقه فكان من عادته أن يملأ إناء كبيرًا بالقهوة ويضعه إلى جواره وهو يكتب. ولا أحد يعرف كم فنجانًا يشربه في اليوم، قيل خمسون وقيل مائة. وهو صاحب العبارة الشهيرة: لولا القهوة لتأخرت الحضارة الغربية مئات السنين!

وعلى الرغم من تحذيرات الأطباء من ضغط الدم عاليًا وواطئًا فقد ظللنا عشاقًا للمقاهي الفرنسية نشعر بالانتعاش والشفافية إذا شممنا رائحة البن الفرنسي.. بل إننا نتسلل إلى أحشاء المقاهي.. نمتلئ برائحة البن أي باليقظة المركزة، ثم نجلس أمام المقاهي نخلط البن بالأكسجين.. وفي منتهى السعادة!

وإذا سافرنا إلى باريس كانت المقاهي من أهدافنا.. حيث كان يجلس إليها وفيها الفلاسفة الوجوديون: سارتر وسيمون دبوفوار والفنان بيكاسو والموسيقار برامز والمطربة اديت بياف..

وفي القاهرة وقفنا أمام البن البرازيلي عشرات السنين!

والحكمة: أن أموت منتعشًا أفضل من أن أعيش مغمى عليَّ!

هـناك عراف تونسي اسمه حسان الشربيني. وهو الذي توقع مقتل الأميرة ديانا والزعيم الديني أحمد ياسين والموت الغامض لياسر عرفات.

والجديد أنه يتوقع النهاية نفسها للرئيس محمود عباس وسقوط واغتيال شارون أيضًا!

والرجلان يعرفان هذه النبوءة البشعة، ولابد أن أناسًا كثيرين ينتظرون هذه اللحظة على الجمر ويتمنون لها أن تتحقق! وربما كان ذلك هو السبب في مضاعفة الحراسة حول الرجلين. وقد كانت هناك محاولة لاغتيال محمود عباس. وفشلت والحمد لله.

وعندما اعتدى صدام حسين على الكويت رحت أقلب في نبوءات العراف الفرنسي نوسترادموس. وكتبت، وكنت أول من نقل أوصاف وصفات صدام حسين وبلده وموقف الدول منه.. ثم عندما اعتدت أمريكا على العراق، رجعت إلى نوسترادموس ونقلت وكتبت..

وقبل ذلك فوجئت بعرافة إسرائيلية اسمها مريام وليامسون تتوقع نهاية الرئيس السادات في سنة 1981. وتحيرت كيف أنقل للرئيس هذه النبوءة. وقلت له. وكان رده أن الأعمار بيد الله وأن الموت يدركنا ولو كنا في بروج مشيدة.. وأنها خطى كتبت علينا. ومن كتبت عليه خطى مشاها.. ومن كانت ميتته بأرض، فليس يموت في أرض سواها ـ كما قال أبو العلاء المعري!

يعني لا فائدة من تحذير الرئيس، واتصلت بوزير الداخلية النبوي إسماعيل الذي قال لي: أنا غلبت مع الرئيس فقد نبهته كثيرًا. ولكن لا فائدة!

وقد زرت مريام في بيتها في حيفا. وكان زوجها مديرًا للأمن. وجاءت إلى القاهرة في طريقها إلى أمريكا. وجمعت بينها وبين المهندس سيد مرعي الذي قدمته لها على أنه طبيب مهاجر إلى كندا. فقرأت كفه وفنجانه وقالت له ما أحزنه على مهرة جميلة ماتت بعد أيام..

أعوذ بالله من هؤلاء العرافين إذا كان الضحية واحدًا ممن نحب!

وقد عانيت وكذلك الصحفي الكبير مصطفى أمين من نبوءات العراف محمد جعفر!

مرتبـــات الأساتـــذة!

الأستاذ الكبير.. تعليقًا على ماجاء في عمودكم اليوم عن مرتبات هيئة التدريس فأنا أعترض على زيادة هذه المرتبات.. على الرغم من أنها هزيلة.. ولكن حتى لو تضاعفت عدة مرات فلن يتغير سلوك وانتظام عمل الأساتذة لأنه لا يوجد نظام عمل ولا من يقوم بأي عمل.. وبالضبط مثل مقولة زيادة بنديرة التاكسي على أمل تشغيل وإنصاف صاحب التاكسي.. وذلك لن يحدث!!!

محمود يوسف أبو العلا

أستاذ أمراض التخاطب

طب عين شمس

ياسيدي العزيز كان عندي أمل كبير في أن هذه الصورة الحزينة الأليمة سوف تنفرج أساريرها ويبتسم لنا الزمان ويضحك على ماضينا الهزيل في علوم الطب والأبحاث العلمية. ويكون من نتيجتها أن يظهر قصر العيني وكليات طب أخرى على قائمة الشرف في الدنيا وساعتها نقول: عندنا. ولدينا.. لقد بحثنا ودرسنا وأضفنا كما أضاف الأطباء المصريون والعرب القدامى إلى الطب العالمي.. بل ما قدمه لنا الدكتور بول غليونجي عن عبقرية الطبيب المصري ابن النفيس في العلاج والجراحة يجعل رءوسنا أعلى من الهرم.

ولكنك يا دكتور ترى أنه حتى لو زادت (البنديرة) فلن يتحسن أسلوب سائق التاكسي ولن نجيء بتاكسيات جديدة.. ثم إن الراكب لا أمان له وكل الخوف على صحته وحياته..

ويرى الصديق د. محمود يوسف أبو العلا أن المشكلة هي مشكلة السلوك الذي لا يعجبه، والنظام المفقود.. مادام لا سلوك ولا نظام فمن أين يجيء التقدم إلى الصفوف الأمامية من أي مجال علمي ؟.

ود. محمود يوسف أدرى مني طبعًا. والذي يعرفه يجعله متشائمًا هكذا. ولي أصدقاء وأقارب كثيرون وكلهم أطباء.. والصورة أمامهم ووراءهم أسوأ من ذلك كثيرًا، فلا أعرف إن كان المطلوب معجزة أو ما هو أكبر من المعجزة. إننا تقدمنا في مجالات كثيرة، فما الذي يمنعنا أن نجعل الخطوة إلى أعلى أوسع قليلاً.

إننا نستطيع. وكل ما نطلبه من أنفسنا هو: الجدية والانضباط والصبر – جدية الدولة وانضباطها وصبرنا عليها!

الســاري والكــاري..

في رحلتي حول العالم سنة 1959 بدأت بالهند. وكتبت ما أغضب الحكومة والشعب وهاجمتني الصحف. ووجدتها مناسبة لكي أهرب إلى سيلان (سريلانكا). لأبحث عن العشرين عامًا التي أمضاها عرابي باشا ورفاقه في هذه البلاد. وبعد ذلك بعشر سنوات عدت لزيارة الهند. ووجدتها مناسبة أمام التطور العلمي والفني للهند، أن أعتذر. واعتذرت. وبعد ذلك بعشر سنوات ذهبت لزيارة الهند.. وأشدتُ بالتطور الهائل في الإلكترونيات والبرمجيات والصناعات الدقيقة والتقدم السينمائي والاكتفاء الذاتي في القمح والمحاصيل الأخرى ـ رغم أن عدد السكان صار مليارًا..

فمن الصعب ألا تقع في غرام الهند ذات الحضارة والديانات والعلوم والفنون والآداب..

ولم أندهش عندما ذهبت أخيرًا إلى محلات لافاييت في باريس. وتوقفت عند جناح للفساتين والبلوزات ذات الألوان البهيجة: وأعجبتني. واشتريت. ثم سألت عن الاسم الغريب لمصممي هذه الأزياء. فقالت البائعة الأوكرانية: إنها من الهند!

فرجعت أتأمل. إنها من الحرير. أما الخطوط فهي مثل الساري بالكاري ـ أي لها شكل الساري الهندي ولون الكاري الأصفر الفاتح والغامق والمخلوط بالأحمر ـ وهي الألوان الموضة هذا العام. نفس

الألـوان التي وجدتـها عند دار (مـارينا ريـنالدي) و(مـاكس مـارا) ـ وهذان التوءمان موجودان معًا في السعودية وفي مصر. وربمـا في بلاد عربية أخرى..

وقرأت في مجلة (الموضة) الفرنسية أن الـهنود قـادمون. وأنـهم قد تـأخروا كثيرًا. ولكنـهم كـانوا يدرسون ويبـحثون ويقـارنون ويفتشون.. ثم تشجعوا. وكـانت هـذه الـغزوة لمهرجـانـات الموضـة والأذواق العـالمية.. نـجحوا ؟ الجواب: نعم..

قلت للدكتور عوض تـاج الدين وزيـر الصحة: إن مندوبك في باريس ليس له نظير – أقصد د. هـاني هندي مستشارنا الطبي، وكان هذا هو رأي الوزير، وعدد من الـوزراء قد انضموا إلينا في الإطراء عليه...

وقد ذكرني الوزير أنني جئت إليه بعد تعيينه وزيرًا بيوم واحد، مع الصديق اللواء رفعت مطاوع الأمين المساعد لمجلس الشورى، وقلت له: أتمنى، وغيري أيضًا، أن تمد للدكتور هـاني هندي ليبقى في موقعه خادمًا أمينًا ومعاونًا مخلصًا لكل المرضى المصريين، ووافق الوزير وشكرته، ثم كررت ذلك أكثر من مرة، فهو رجل كفء لا لأنه يتكلم الفرنسية فقط، وإنما لأن لديه صفات أخرى كثيرة، وهي البساطة وسعة الصدر واليقظة، وأنـك تجده في أي وقـت، جاهزًا لمساعدة الذين في باريس والذين في القاهرة!

ود. إسماعيل سلام هو الذي اختار بلدياتي هـاني هندي، فقد سأله في مقابلة شخصية: هل لك واسطة؟ فقال: أبدًا.. أنا جئت بنفسي وقد تعلمت في المدارس الفرنسية.

وأعجب به إسماعيل سلام، وعينه فورًا، ولما تعاملت مع هـاني هندي شكرت د. إسماعيل سلام على حسن الاختيار، وكان سعيدًا لذلك، وكلما امتدحه المصريون ذهابًا إلـى باريس وإيـابًـا، شعر إسماعيل سلام بأنه فعلاً أحسن الاختيار، ولما عرفه د. عوض تـاج

الدين شخصيًّا وسمع الإعجاب به من الكثيرين قرر أن يطيل بقاءه في باريس عامًا بعد عام، فشكرًا له على ذلك...

وقد سألني د. عوض تاج الدين عن المؤتمر الذي انعقد في باريس لمرضى الكبد، وقال لي: إن معظم هذه المؤتمرات تساعدها شركات الأدوية، فهذه الشركات تعمل على نشر الكلام عن هذا المرض، وتخويف الناس منه، وفي هذه الأثناء تتقدم بأدوية جديدة ضد الأدوية القديمة...

فقلت له: **الله** معنا... فالدواء من عند الدكاترة والشفاء من عند **الله**!

أيـــن النكـــت؟!..

حتى النكت، لقد كنا مصنع النكت في الشرق الأوسط، ولا تكاد تجلس إلى شقيق عربي إلا يقول لك: مرة واحد صعيدي.. هاها. أما الآن فالنكت التي تجيء على الموبايل كلها من لبنان أو من السعودية. فأين ذهبت النكت المصرية؟ وأين صانعوها؟ والنكتة هي المنتقم المجهول.. إنها سلاح واحد لا تعرفه أراد أن يسخر من السلطة ومن القوي ومن الغني ومن البخيل والجبان، فأطلق النكتة.. أي هذا العيار الناري!

ولأن شركات المحمول قد ساهمت إلى حد كبير – أو يجب أن تساهم – في إطلاق النكت التي تتسلمها فنبعث إلى أصدقائنا.. والأصدقاء يبعثون وينقلون نكتًا مقابل نكت.. وكلها مكالمات وكلها مكسب لشركات المحمول!

وربما – وأقول ربما – كانت هذه النكت قد جاءت من أحد المواقع على الإنترنت لصحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية على موقعها العربي مئات النكت من كل البلاد العربية.. وأقول ربما!

ويبقى السؤال وأين ذهب الذين يسخرون وينكتون؟ هل نحن راضون عن أنفسنا؟ هل لم يعد هناك شيء يستحق السخرية؟ هل نحن سعداء تمامًا أو أننا لم نعد قادرين على الضحك والإضحاك؟ هل تركنا هذا لمسارح الضحك والفرفشة؟!

ومن الغريب أن النكت اللبنانية هذه تسخر من جميلات لبنان المطربات هيفاء وهبي ونانسي عجرم وأليسا..

وإذا كانت النكت ظاهرة نفسية اجتماعية سياسية، فانعدام النكت ظاهرة أيضًا.

زمان ونحن صغار كنا ندور ونلف ونضحك بصحبة الصحفي الكبير كامل الشناوي، وهو وحده مصنع متحرك وإذاعة متنقلة للنكت والقفشات الذكية. وكما أن الضحك يغسل الهموم ويجلو القلب ويخفف الوزن ويطيل العمر.. فلابد أن لدينا شعورًا عميقًا خفيًا بالرفض لكل ذلك. ولكن لماذا؟!

العالم كله يتحدث عن أزمة المياه اليوم وغدًا. وكيف أننا بعد غد سوف نصبح مليارًا من البشر تجف شفاههم وألسنتهم عطشًا. ولكننا في مصر عندما نفتح الحنفية ينزل الماء بوفرة. إننا نؤمن بأن هذا طبيعي. وأنه ليس من شأننا أن ننشغل بالماء، وإنما الدولة وحدها. وهذا هو الغلط. فالدولة توفر لنا الماء بشرط أن نحسن استهلاكه، إن الأمم المتحدة تنبه كل الشعوب بأن أزمة وجفافًا لابد أن تصيب الكرة الأرضية.

يقول د. وليد الحسيني من روما: لقد وقف شعر رأسي عندما قرأت في هذا المكان منذ أسابيع ما كتبه د. أنور العدل عميد آداب المنصورة عن تلوث المياه في شمال الدلتا حتى صارت البحيرات مقبرة - وكنت أظن أن إخوتي عندما يصفون يبالغون. ولكن مع الأسف هذه هي الحقيقة المحزنة ولابد من عمل.

يقول مهندس زراعي علي حسن عطيوة خبير استصلاح الأراضي بإدارة الموارد المائية: أضيف إلى ما كتبه هنا الصديق د. محمد سلامة عن تجاربهم في سلطنة عمان بشأن المياه الجوفية.. وقد ضرب مثلاً 157 فدانًا مسطحات مائية أنشأتها القرى السياحية.. ولكن أضعاف هذه المساحة ملاعب للجولف، لماذا لا نشترط أن تروى هذه المساحات الهائلة بمياه الصرف الصحي المعالجة. وأن نشترط بناء محطة معالجة في المدن الجديدة؟!

ومن أستاذ الكيمياء الحيوية د.سليم واثق نور الدين – بوسطون – أمريكا: أقرأ في المجلات الزراعية هنا، فأجد أنهم يتحدثون بمنتهى الجدية عن المياه.. وأنظر إلى أنهارهم وقنواتهم وكلها تتدفق ماشاء الله.. وأندهش ما الذي أزعج هؤلاء الناس، ولم يزعجنا نحن. هم عندهم الكثير. ونحن عندنا القليل وهم يخافون على الكثير، ونحن لا نخاف من القليل الذي يتناقص.

أما المعنى فهو أننا بلا وعي مائي وبلا تفكير علمي. وشعارنا: أحيني النهاردة وموتني غدًا.. وهذا ما سوف يحدث!

هــواء المــدن: قاتـــل

الناس الذين يموتون تحت عجلات السيارات أقل كثيرًا جدًّا من الذين يموتون بسبب عادم السيارات، هذه حقيقة علمية جاءت في تقرير أطباء أمراض الصدر المعقود في برلين، ويرى الأطباء أن ذرات العادم كلما صغر حجمها، كان ذلك أقوى من قدرة جهاز المناعة في الجسم أن يحول بينها وبين الرئتين ـ والأغشية المخاطية في الأنف والقصبات الهوائية.

وتقول إحصائية رسمية أيضًا: إن عادم السيارات والذرات التي تخرج من احتكاك كاوتش السيارات هي المصدر الرئيسي لكل متاعب الرئتين حتى الموت، وإنها قد أنقصت عمر الإنسان الأوروبي تسعة أشهر، ومن المتوقع أن تنقصه عشرة شهور، وكلما نقص حجم ذرة العادم عن عشرة «ميكرومتر» كان خطرها مؤكدًا ـ الميكرومتر واحد على مليون من المتر..

والخطر المؤكد يوميًا يجيء من هذه الذرات التي تتطاير بألوف الملايين من وقود الديزل والزفت في الشوارع.. ولذلك لابد أن يجد العلماء حلاً للوقود والفلاتر التي تستخدم وكذلك تحسين نوعية الكاوتش..

وفي مؤتمر برلين أعلن البروفيسور جرينبرج أن قراءة التحليلات الدموية لعشرة آلاف شخص في إحدى المدن، والعدد نفسه في إحدى

القرى، يؤكد أن عادم السيارات أكثر كثافة في الرئتين عند سكان المدن، فإذا أضفنا إلى هذا الهباب دخان السجائر ودخان المصانع وبخار المطابخ والفنادق يمكننا أن نعرف أي جو فاسد صنعه الإنسان لنفسه وهو يدري ذلك تمامًا..

وقال أيضًا: إننا وقعنا في غلطة علمية تداركناها الآن، لقد كنا نقيس خطورة العادم بعدد الذرات الصادرة عن السيارة، ولكن اكتشفنا الآن أنه ليس مهمًا عدد الذرات، وإنما المهم جدًا هو عدد الذرات الصغيرة جدًا التي تعشش في الرئة مخترقة أجهزة المناعة مما يؤدي إلى الالتهابات المزمنة والأورام السرطانية، ويطالب المؤتمر كل شركات السيارات بتزويدها بمرشحات وفلاتر لالتقاط هذه الذرات الصغيرة!

فالمرض لا يجيء من خارجنا، وإنما يجيء منا.. من سلوكنا.. من استخفافنا وسوء تربية الصغار الذين يدخنون ومن الكبار الذين لم يفلحوا في أن يكونوا قدوة حسنة لأولادهم.. وكما أن الموت جاهز، فالحياة أيضًا!

أيـن الوعـي المائـي؟

مع الاحتفال بيوم الماء العالمي يجب ألا ننسى أن هناك دولاً لا تجد الماء.. أو الذي تجده قليل.. قليل لأنها لا تجده، أو قليل لأنها تبدده، أو لأنها تلوثه. فنصيب الفرد في الكويت عشرة أمتار مكعبة في السنة وفي قطر 94 وفي السعودية 118 والإمارات 58.

وهناك دول عندها وفرة من الماء مثل أيسلندا وكندا والكونغو والجابون.. أما الدول التي لا تشكو من نقص الماء مثل مصر ولبنان والسودان فهي تشكو من أن مياهها ملوثة: سامة.. مميتة! والأمم المتحدة تحذر العالم من أنه بعد خمسين عامًا سوف يشكو العطش سبعة مليارات من البشر!

وإذا كانت سفن الفضاء حائرة بين الكواكب وأقمارها بحثًا عن نقطة ماء أو قطعة جليد. فلأنها تريد أن تعرف إن كانت هناك أو من الممكن أن تكون هناك حياة. فالله يقول: وجعلنا من الماء كل شيء حي..

ولكن الذين عندهم الماء لا يفكرون في يوم سوف يكون الماء عزيز المنال.. إما بالجفاف وإما بالسفاهة في الاستهلاك وإما بتسميم المياه. وإما باختلاط ماء الري بماء الصرف. وكل هذا موجود في مصر من شمالها إلى جنوبها وفي شمالها أكثر.

والخبراء قلقون على صحة مصر. وخائفون مما سوف يحدث قريبًا. فلا يوجد عندنا وعي مائي.. لا نقتصد في الماء ولا نحرص على نظافته.

والحل ليس عفو الله وكرمه ورحمته.. وإنما الحقيقة المؤلمة هي اللامبالاة والبلادة و (الأنا مالي) وقل: يا باسط.. والساكت عن الظلم: شيطان أخرس – 70 مليونًا من الشياطين!

فلوسنــا الورقيــة: فضيحــة!

..من أ.د محمد عبد القوي زهران أستاذ البيئة النباتية بكلية علوم المنصورة يذكرني بأنني كتبت من شهور عن النبات شديد التحمل للملوحة والنامي في المستنقعات الملحية في مصر، والذي تمكن هو بفضل الله وبعد أبحاث حقلية وتجارب معملية في مصانع الورق الأهلية بالإسكندرية من استخدام المحصول الخضري لهذا النبات في إنتاج ورق لا يقل جودة عن ورق البنكنوت- أليس هذا الإنجاز العلمي غير المسبوق في مصر يستحق اهتمام المسئولين؟ وسألني إن كان يكتب إلى المصريين في أمريكا عن هذا الاختراع.. أو أبعث إلى د. فاروق العقدة مدير البنك المركزي لاستخدام هذا النبات كمادة خام لإنتاج ورق الفلوس المصرية.

أما عمدة سلمنت محمد محمود حسين سالم فقد أرسل لي صورًا بشعة للجنيه المصري المبهدل والمهلهل والفضيحة، ويقول: كانت مراتي بتشتري بيه فستان.. صبح لا يودي ولا يجيب باكو لبان.. معلهش يا مصر بكره الحال يتعدل.. ونشتري بالجنيه فدان.

يضيف المهندس جورج فؤاد أن حال جواز السفر المصري لا يقل سوءًا عن أوراقنا المالية. فليس معقولاً أن يصدر جواز السفر مكتوبًا بخط اليد والأيـدي كثيرة والخطوط صغيرة وكبيرة حسب جهة الإصدار ولعل د. فاروق العقدة ينظر إلى جواز السفر كما نظر إلى البنكنوت المصري الذي هو أسوأ ما في السوق- ويناشدنا أن ننظر

إلى جوازات سفر أمريكا وكندا وسريلانكا وبنجلاديش وكل الدول العربية!

سوف تجيء مرحلة أخرى يستخدم فيها الناس كروت الضمان بدلا من الأوراق المالية. وهذا هو المتبع في كثير من الدول الأوروبية، وقد كان الأمريكان يندهشون جدًّا عندما يجدوننا نستعمل الدولارات من فئة العشرة أو الخمسين ويرون في ذلك جهلاً وجرأة! كيف لا نخاف من سكاكين اللصوص!

ماذا جرى لمصر.. ماذا جرى للشعب المصري.. للمعلم المصري.. للتعليم المصري.. لساسة مصر الذين هم وزراؤها. ماذا جرى للعقل المصري.. ومن متى نحن مخدرون هكذا.. ولماذا.. وإذا كان هذا حالنا فمتى يتوقف الانزلاق والانحدار والانحلال واللامبالاة بأنفسنا وبغيرنا..

هل ما نحن فيه قديم ازلاً. يعني هل المصريون هكذا طوال ألوف السنين من القهر والاحتلال الأجنبي لعقولنا ونفوسنا وأحلامنا وماضينا وحاضرنا.. ألم نكن في وقت ما شيئًا مذكورًا؟ كنا وكان بيننا مفكرون وساسة وعلماء. فأين ذهب علمهم. ومن الذي وأد تاريخهم ونضالهم؟ هل المقابر هي رمز الحياة في مصر؟ فليس من قبيل المصادفة أن تكون أهم معالمنا هي الأهرام أعظم المقابر في التاريخ. صحيح هي مقبرة. ولكنها معجزة هندسية معمارية فلكية؛ كما أن القنبلة الذرية مقبرة مئات الملايين. وكلمة الموت لا تقلل من عظمة الأهرام والقنابل الذرية.

ومهما قلت أنت فليس من حقك أن تعدم شعبًا. وأن تقول: مفيش فايدة.. مفيش أمل.. ربما كان مفيش فايدة في جيل أو جيلين.. ومفيش أمل في هذا العصر أو هذه الحكومة أو هذا الحزب.. ولكن جيلاً واحدًا ليس كل عمر مصر، وحكومة واحدة ليست حكومة أبدية ولا الحزب قاعدة سرمدية.. وكلها أشكال وأدوات لإدارة الحكم. أشكال

قديمة وأدوات بالية.. ولكن لا تزال الحياة أقوى من الموت. فنحن نعرف أن الموت نهاية كل حي. ولكننا نأكل ونشرب ونكافح كأننا نعيش أبدًا وهذا هو تحدي الحياة للموت، والأمل لليأس، والغد لليوم والأمس..

إذن.. لابد من بداية.. لابد أن نبدأ بالذوق أو بالقوة.. أن نفتح الأبواب المغلقة أو ننسفها أو نهدم عاليها فوق واطيها.. فإن لم نكن قد عرفنا الثورات فهذه فرصتنا. ولكن ماذا يحدث لثورة في العلم والعمل؟ لا أحد يسأل العواصف عندما تهب إن كانت ستبدأ بالقصور أو الأكواخ أو الأشجار أو الأعشاب!

نقول كمان: إن التكرار في بلادنا لا يعلم حتى الحمار. نقول كمان. كلنا قرأ وعلم أنني قدمت للرئيس مبارك أخطر تقرير في القرن العشرين عن إصلاح التعليم في أمريكا. التقرير اسمه (أمة في خطر) قدمته للرئيس في بيته وترجمناه في مجلة (أكتوبر). وقرأه الرئيس وأعجبه. ولم يضن به على وزرائه. وأعطاهم إياه وقرءوا وذكروه في خطبهم السياسية والفنية. وأثبتوا بذلك أنهم تسلموه وتصفحوه. وكان الله يحب المحسنين. فكل الخطب كان معناها: جاء التقرير وتسلمناه وهذه توقيعاتنا دليل على ذلك!

ولم يقل واحد من الوزراء ما الذي يمكن عمله في مصر ونحن بشر كالأمريكان واليابانيين والصينيين. وعندنا كبرياء وعندنا بلدنا. ونريد لها كل الخير. أما الذي فعلوه فنعرفه. أما الذي فعلناه فلا قيمة ولا ثمرة له. ولا صوت ولاصدى ولا طريق ولا نهاية ولا بداية.

إن التقرير الأمريكي مختصر بسيط جدًا. بساطة الزرار الذي تنفجر به القنبلة الذرية وينطلق به الصاروخ إلى الكواكب.. فالزرار بسيط جدًا، ولكن الأبحاث استغرقت مئات السنين لتجعله كذلك. ففي ثانية واحدة تشتعل الدنيا. ولكن هذه الثانية اقتضت من العلماء مئات السنين.. فالتقرير بسيط: روشتة صغيرة لحل مشاكل كبرى.. ليس المهم أن تكون صغيرة وإنما المهم أن تكون وراءها قوة هائلة لها هدف عظيم. من المؤكد انها تسعى إليه.. وقد سعت وحققت..

هل هناك أصغر من كلمة (كن) إن الله إذا أراد أن يقول لشيء كن فيكون.. فالكلمة صغيرة والإرادة هائلة والقوة عظمى.. فأين نحن من الكلمات الصغيرة؟! إن كل كلماتنا كبيرة ضخمة فخمة وهي بنفس الدرجة جوفاء. توقفنا حيث كنا. وانعدم الزمن: لا ماضٍ ولا حاضر ولا مستقبل!

النجـــاة هـــي الهــــرب!

أنقل عن الباحث العلمي الأمريكي ذي الدم الخفيف مايكل أندرسون: سألوا الأمريكي ما رأيك في الذي أعلنته الجامعة الصينية؟ قال: لا بأس.. والإنجليزي قال: ممكن، والألماني: معقول.. والياباني: فعلاً نحن في حاجة إلى مزيد من العلم.. والفرنسي قال: كنت أظن أننا أفضل كثيرًا.. والكندي قال: كنت أعتقد أن فرنسا أحسن منا كثيرًا.. والإيطالي قال: سوف نكون أفضل.. إلخ.

وسألت أنا عددًا من الأساتذة المصريين. ثم تلقيت خطابات كثيرة تعرب عن أسفها وحزنها العميق على أن هذه حالنا وصورتنا في الدنيا.. ومعظمهم قال: لم تكن مفاجأة.. فنحن قد درسنا في أمريكا ونعرف مستواهم العلمي ومستوانا أيضًا.

ومن أجاب «لا» عن السؤال وإنما رأى السبب في بلوانا: الأعداد الهائلة من الطلبة الذين لم يتعلموا شيئًا في المدارس، وجاءوا إلى الجامعة ليكونوا أكثر جهلاً.. ومن قال: ليس الطلبة فقط وإنما هيئات التدريس التي لا تعرف بعضها بعضًا ولا يعرفون الطلبة.. أعداد كبيرة وأجور صغيرة وهذا ما يدفعنا إلى الهرب من مصر.. وقد هرب وسوف يهرب كثيرون.

وجاءتني رسائل من مئات المصريين في الخارج وكانوا قبل ذلك في الداخل وكان القرار هو النجاة.. والهرب خير وسيلة لتفادي

العذاب في مصر.. ويتمنون لو استطاعوا أن يساعدوا لأنهم يتمنون لبلادهم كل نجاح وفلاح.. ولكن كيف؟ بمنتهى الصراحة كم هو مرتب الأستاذ الجامعي بعد أن ينكسر وسطه ويضعف نظره ويثقل سمعه؟ ملاليم.. هل يستطيع أن يعيش وإذا عاش، هل يستطيع أن يشتري كتبًا، وإذا اشتراها هل يستطيع أن ينفق على أسرة وأولاد.. فما الحل عنده.. إنه لا ينتظر حلاً من أحد.. إنه يبحث عن عمل آخر.. إضافي.. أو إذا كان طبيبا فلابد من عيادة.. فهي التي تنفق على حياته الجامعية والعائلية.. أو الحل الأمثل: اهرب ياسعد فقد هرب سعيد.. إلى أية جامعة في الخارج!

استيفــن هوكنــج..

كنت أمشي في شارع أكسفورد في لندن. تعبت في الطلوع والنزول في المكتبات. وقررت أن أتناول أي طعام. واستأنفت الدوران والدوخة بين الكتب. وأحسست أنني تعبت. في هذه اللحظة مررت على محلات سلفريدج فوجدت عند الباب كائنًا عجيبًا. إنه إنسان مشرق الوجه والعينين بلا ذراعين ولا ساقين. ولم يطلب مساعدة من أحد. على أساس: أنك كلك نظر. وأدهشني ما رأيت. هذا بعض إنسان مع ذلك له ابتسامة جميلة وحيوية عظيمة. وأنا بساقين وذراعين وفي حالة قرف ويأس. والله يجب أن أخجل من نفسي. ومنذ يومين قرأت أن أعظم علماء الفيزياء في العالم د. استيفن هوكنج (36 سنة) أستاذ الرياضيات بجامعة كمبريدج.

منذ أربعين سنة أصيب بشلل في الجهاز العصبي الحركي.. ثم أصيب بمرض أفقده النطق. واخترعوا له جهازًا معقدًا يساعده على إطلاق أصوات ويقوم الجهاز بتحويلها إلى كلمات.. هذا المشلول المقعد على كرسي له عجلات قدم لنا أجمل وأروع كتاب في الفيزياء هو (تاريخ موجز للزمن) من أجمل وأسهل وأبدع ما قرأ أي إنسان ليست له ثقافة علمية واسعة. وقد كسب من ورائه الملايين ودفعه إلى تطليق زوجته الأولى وأولادها الثلاثة وتزوج الممرضة التي اخترع زوجها الجهاز الذي يعتمد عليه في التعبير.

وأخيرًا مرض الأستاذ هوكنجز. واخترع له الأمريكان جهازًا يطلق أشعة حمراء على عضلات وجنتيه. وحركة الوجنتين تتحول إلى كلمات وكذلك بريق العينين.. وقد تهجم عليه مجهولون حطموا ذراعيه وفخذه وأصابوه في دماغه ورفض أن يذكر للبوليس من هم المعتدون عليه.. وإن لم يكن مثل هذا الأستاذ العظيم الذي أصيب في أعز ما يملك يبعث على الخجل عند كل إنسان أقوى وأقدر على التعبير، فهو صورة رفيعة للإرادة التي لا يقهرها مرض.. إنها إرادة عبقرية!

التطهير: ضحك!

من المناظر المألوفة في (أخبار اليوم) زمان أن نجد مصطفى أمين وعلي أمين ورخا وصاروخان جالسين معًا. وعلى وجوههم هموم الدنيا. فإذا انفتح الباب نظروا إلى الداخل يريدون أن يقفلوا الباب في وجهه أو يلقوا به من النافذة. ماذا يعملون؟ نحن نعرف. إنهم يفكرون في النكت والصور الكاريكاتورية التي سوف تنشر غدًا وبعد غد. وهم في حالة تكشير. والسبب: أن صناعة النكتة عمل شاق جدًّا. وأن تركيب النكتة السياسية والاجتماعية متعب. وليس أصعب من إضحاكك وليس أسهل من إيلامك. دبوس يكفي. ولكن لكي تضحك هذا عمل هندسي إبداعي..

فأنت تضحك على نفسك وعلى غيرك. وأستاذنا العظيم أرسطو هو الذي قال: إن تطهير النفس يجيء عن طريق الضحك.. إضحاكك على نفسك. إحراجك أمام الغير. وبهذا الطريق وحده يمكن علاجك وشفاؤك أيضًا..وذهب رخا صاحب الخطوط الانسيابية الجميلة وشخصياته التي تعلقت في ذاكرة مصر والعالم العربي.وكذلك الفنان الأرمني ألكسندر صاروخان. لولا أن بنت صاروخان (سيتا صاروخان) تذكرنا بوالدها الرسام البليغ.ونحن غلطانون في حق صاروخان.. وجاءتني رسالة منها تقول إن مجلتي (نصف الدنيا) و(البيت) قد صورتا كل مخلفات صاروخان. ولكن سيتا صاروخان تطمع في حادث أهم. ومعها حق. وقد تحدثت مع الفنان الكبير مصطفى حسين

نقيب التشكيليين وتحمس جدًا.ووعد بأن يتصل بابنة صاروخان وأن يقيم له معرضًا إحياء لذكراه واعترافًا بفضله على الكاريكاتير السياسي في مصر والعالم العربي..

وأذكر.. حكيت لصاروخان أنني من أشد المعجبين بالغناء الأرمني - رغم أنني لا أفهم كلمة مما يقولون. فما كان من صاروخان إلا أن طلب إلى حفيدته أن تسجل لي عشرات الأغاني الأرمنية الشجية الحزينة الصوت والأداء والموسيقى.. وهذه هي قمة الفن البليغ.. إنه يهزك ويبكيك وأنت لا تعرف كلمة واحدة مما يقال..

إن فنانًا كبيرًا مثل صاروخان(1898 ـ1977) يستحق حفاوة تليق به وبنا أيضًا!

تغيــر الــذوق العــام

تحب الأغاني الجديدة؟ أنا أحب بعضها. تمامًا كالأزياء الشابة. أحبها أيضًا. هل أرتديها؟ طبعًا لا. ولكنها صورة من فكر العصر.. من ذوق هذا الزمن.. من لغة الشباب وخياله وطموحه. قد لا يعجبك. لا يهم. ولكن يعجبهم. تمامًا كما أنهم لا يعجبون بما كنا نفكر فيه ونعيش من أجله.

وما نراه قبيحًا يرونه جميلاً. وما نراه جميلاً لا يرونه كذلك، ليس بيننا أحد لا يحب أم كلثوم وعبدالوهاب وفريد وعبدالحليم وصباح وشادية ونجاة.

ونندهش جدًا كيف أن لا صبر لهم على أغنيات أم كلثوم. وكيف أننا لا نطيق سماع أغنيات الدلع والإثارة!

مثلاً في الأفراح والليالي الملاح لنا شكوى - نحن الجيل الأقدم - أن الموسيقى عالية عاوية تصم الآذان. ولكنهم لا يرون ذلك ولا جدوى من محاولة تركيب كاتم للصوت لكل الآلات الموسيقية.. وهذه اللحظة ينكشف فيها مزاجنا ومزاجهم.. وكما أنهم ليسوا على حق فنحن أيضًا.

وإنما هناك فارق في الذوق والتذوق وكثير من أساليب الحياة الفنية والاجتماعية.. ولسنا على صواب دائمًا، وليسوا على خطأ أيضًا.

يعني هل تحب الأغاني الجديدة؟ الجواب: نعم أكثرها. وهل تغنيها؟

أحيانًا وأضحك على الكلمات وعلى المعاني. هل تقول عند سماعها: الله يا هيفاء يا إليسا يا شيرين يا روبي؟ الجواب: أحيانًا. والشبان أيضًا؟ نعم.. أرتاح لعمرو دياب وإيهاب توفيق ومصطفى قمر والحلو وغيرهم..

ولكن لماذا؟ لأنني لست المقياس للذوق في كل زمان. ولست المقياس الوحيد للسلوك الاجتماعي. فكما أنني لا أستطيع أن أرقص وأتنطط كما يفعلون فأنا أيضًا لا أستطيع أن أجاري الشبان في شطحاتهم ونطحاتهم. ولا أمشي معهم كل الطريق. بعضه فقط.

سألني التليفزيون: هل إذا جلست وحدك وتريد أن تستمع إلى أغنية فهل تفضل أغنية لأحد هؤلاء الشبان؟ والجواب: لا قطعًا. وإنما أم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم. لأنهم الأقرب والأعمق والأصدق والأقدر على مخاطبتي وتحريكي..

سؤال هل لو كانت أم كلثوم في جمال هيفاء وهبي – قلت:

لا تكمل.

نحمد الله أنها ليست كذلك وإلا لجاء رجل فرش لها الأرض دولارات واختارها زوجة وقصف عمرها الغنائي!

ثــورة علــى الأميــر!

الصحف البريطانية تسأل الشعب: من الذي يحب كاميلا زوجة الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا؟ كثيرون قالوا:

لا نحبها. وأنا لا أحبها. ولا أعرفها. ولا يهمني إن تزوجت الأمير أو غيره. ولكن النساء يرين فيها نموذجًا عاليًا للصبر. فقد صبرت عشرات السنين أملاً في أن تتزوج الأمير. فهي التي نصحته بأن يتزوج الأميرة ديانا بعد أن رفضته أختها الكبرى. وهي التي كانت تبعث له الزراير الذهبية لقمصانه وعليها الحرف الأول من اسمها واسمه.

ولما سألته ديانا قال إنها كاميلا. كيف؟ قال إنها تحبه وقال إنه أيضًا يحبها. وكانت الأميرة قد أنجبت له ولدين. ولكن اعتراف الأمير كان تصريحًا لها بأن تلعب بذيلها كما فعل دائمًا فلعبت بذيلها وتهورت وارتمت في أحضان من لم يرحموها.. كلهم فضحوها ويهدلوا ولديها والأسرة المالكة. وكان انتقامها شنيعًا. وكان انتقامهم أبشع - قتلوها. ما في ذلك شك.. وتحاول كاميلا الزوجة الثانية مع الزوج الثاني أن تمشي في نفس الخط الذي سارت فيه ديانا. والذين لا يحبونها يتمنون لها نفس النهاية..

ومصرع ديانا زلزل ملايين القلوب وحشدها ضد الأمير وأمه والأسرة المالكة والنظام الملكي. ويوم رأى الناس ابنها الصغير يبكي في جنازتها ورأوا أن والده يحاول إسكاته تمزقت القلوب عليه وعلى

أمـه.. بينما كانت كاميلا وبناتها وأولادهـا يعدون الساعات على نهاية الحداد والشروع في مراسم الـزواج والانقضاض على ثروة أغنى رجل في بريطانيا وأكثرهم بخلاً: الأمير تشارلز!

وكنت أول من قال إن المخابرات البريطانية هي التي اغتالت الأميرة – قلت ذلك في أكثر التليفزيونات العالمية. وما من ورقة مطبوعة إلا نقلت هذا الرأي الذي جاء مبكرًا جدًّا. وأثبت الوقت الذي مضى أنها فعلاً مخابرات بريطانيا وفرنسا معًا.وإذا كان الناس لايحبون كاميلا قيراطًا، فهم يكرهون الأمير تشارلز 24 قيراطًا ويتوقعون أن ينتقم الأمير وليامز أكبر ولديهما.. أن ينتقم لأمه من أبيه أو من زوجته. فهل أحد يحبها ويحبه؟ لا أحد!

أكذوبة وفضيحة!

إحدى الفضائح الأمريكية هزت الشعب وجعلته يفيق من هوس وجنون ونشوة البطولة الوهمية. ففي أحد برامج التليفزيون مثل برنامج من سيربح المليون ظهر شاب واحد أجاب عن كل سؤال يخطر ولا يخطر على البال.. مثلاً ما هي سرعة المذنب الفلاني؟ بسرعة يكون الرد.. في أي يوم خلق الله العالم؟ المسلمون يقولون يوم الجمعة.. خلق الله العالم وخلق آدم وأنزله إلى الأرض وأماته يوم الجمعة.. فيكون الرد: بل يوم الأحد لعشرة أسباب.. ويقول الأسباب.. سؤال: كم ساقًا للنملة البيضاء؟ وكم ساقًا للنمل في جزيرة سومطرة؟ ويكون الرد.. وسؤال: كم جنيهًا كانت في جيب الأميرال ولسون عندما قتل ووضعوه في الخمر حتى لا تفسد جثته؟ يقول.. وسؤال: ما هي آخر كلمة قالها نابليون للبنت الصغيرة التي أحبها في جزيرة سانت هيلانة؟ يقول.. في أي يوم وأية ساعة مات العالم العظيم دارون؟ يجيب.. وعندما التقى الشاعر العظيم جيته والموسيقار العظيم بيتهوفن: ماذا كانا يقولان عند اللقاء وعند الوداع؟ يجيب..

وإمعانًا في زلزلة المجتمع الأمريكي والتفاف الناس حول التليفزيون وزحام الإعلانات.. كانوا يقدمون هذا الشاب يوميًا.. ويقال: إن عددًا من أساتذة الكيمياء والفيزياء والفلك والتاريخ والأدب قد أعدوا له هذه الأسئلة.. وكانوا يضاعفون لهذا الشاب المكافأة الخيالية.. والأمهات ينظرن ويتوحمن على العبقرية!

وسؤال أخير لكل حلقة: ما هو عدد الكلمات التي استخدمناها في حوارنا هذا؟ ويجيب.. ويصرخ من وراء الكاميرا أناس كثيرون قاموا بإحصاء عدد الكلمات!

وفجأة ظهرت الفضيحة.. وهي أن الذي يعد البرنامج هو الذي وضع له الأسئلة والأجوبة لكي يقتسم معه المكافأة!

فالمعد عبقري في النصب.. والضيف عبقري في التمثيل.. أكذوبة كبرى صدمت الآباء والأمهات.. وعندنا عشرات البرامج تسأل وتعطي الجوائز وتقوم بتشريد الخيال والطموحات وتنحرف بهما عن أي مسار له قيمة علمية أو تفسير تاريخي.. وهذه البرامج تضاعف عند الناس الإيمان بالمعجزة والحظ.. وليست لها أي قيمة علمية.. فإن لم يكن ذلك استخفافًا بالناس فهو نصب عليهم!

عالـم الحيـوان: متعـة!

متعة مؤكدة أن تشاهد عالم الحيوان. فهي أسهل طريقة لفهم سلوك الإنسان لأنه كان حيوانًا ولايزال.

فمن المشاهد الغريبة أن تجد طائرًا صغيرًا أحس بالفيل يمشي إلى جواره. فجأة نجد هذا الطائِر نفخ نفسه ونفش ريشه فصار أكبر حجمًا. وهو لا شيء بالمقارنة بهذه الفيلة الضخمة. ولكنه يحمي البيض الذي تحته. ولا يكف عن الصياح والرقص والقفز.. وتهديد الحيوانات الضخمة القادمة وحتى عندما يجيء صقر ويخطف البيض فإنه يظل يطير قريبًا من الصقر ويهدده مع أن الصقر يستطيع أن يبتلعه في ثانية!

رأيت غزالاً جميلاً يقفز في السماء ويهبط ويسبق الضباع والسباع. ولكن رأيت أحد الضباع يقترب لكي يخطف الوليد الذي نزل إلى الدنيا من ساعات أما الأم فكانت في حالة جنون تهاجم وتضرب بساقيها. وهي محاولة مميتة لها. ولكنها لا تتوقف. وقد تموت قبل أن يموت صغيرها. ولكنها غريزة الأم التي تحمي صغيرها وتعميها عن الحقيقة. وهي أنها لا قدرة لها على ذلك.

ورأيت القطة الأم قبل أن تنطلق تتصيد العصافير طعامًا لصغارها فإنها تغطي جسد الصغار بلعابها. فلا تترك جزءًا. وتعود وتجد صغارها كما تركتها. فماذا فعلت؟ إن لعابها سام تمامًا حتى لا يقربها النمل ولا النحل ولا القردة.. بل رأيت القردة لا تكاد تمد

لسانها حتى تصرخ. أو حتى يغمى عليها.. ويقال إن لسان الأم في دفاعها عن أولادها ينقط سمًا زعافًا. فهي ليست في حاجة إلى أن تمضي الليل والنهار في حماية الصغار دون طعام فيموتوا وتموت.. لقد سلحتها الطبيعة بما هو أقسى من السكين والرصاص.

ورأيت الغراب المكسيكي يبني لنفسه عشين.. واحدًا يضع فيه البيض، والثاني يضع فيه الصغار. أما الصغار فقد لف على مناقيرها خيوطًا تجعلها لا تنادي الأم فتسمعها الطيور الجارحة.. أما العش الآخر فقد وضع فيه بيضًا. البيض من حجر. فإذا جاء طائر يكسر البيض تنبهت الأم إلى الخطر فأخفت صغارها تحتها!

سبحان الله ما أعظم حكمته!

اسأل الشبـان. سوف يرد عدد كبير منـهم يقول لك: لابد أن أهـاجر!

ومعنى ذلك أنه قرر أن حياته هنـا غير ممكنة. مع أنه لا درس ولا أكمل تعليمه، ولا رأى كيف الحياة والعمل خارج مصر. ولكنه قرر اختيار مكان أحسن من مصر، وأي عمل مهما كان متواضعًا أفضل من أي عمل في مصر مهما كان رفيعًا؟! فمن أين جاءت كل هذه المعلومات، والتي صارت قرارات لأحلام لم تتحقق بعد؟ جاءت من الانطباع العام لما يحدث في بلادنا. لما فيها من خلل وسوء إدارة وفساد وعجز الدولة بكل قوانينها عن إصلاح ذاتها وتقويم اعوجاجها ومعاقبة من كان السبب!

وجواب آخر: أريد أن أتزوج!

دون أن يفكر في صعوبة الحياة الزوجية والأعباء المتعاظمة للحياة معًا ـ هو والزوجة والأولاد. ودون مساعدة من أحد. يعني أن الشاب الذي وجد عملاً متواضعًا يريد أن يكون له بيت. كيف؟ وأن ينفرد بزوجته وأولاده؟ بكم؟ إنه لا يسأل. وإذا سأل فإنه لا يفكر كثيرًا. وهو لا يسأل كيف الحياة في الخارج وكيف العمل. وما الذي يستطيعه هو وزوجته. لا يسأل. إنه يريد أن يتزوج والسلام.

وكأن كل الذين يقولون وتنشره الصحف والتليفزيون من أن الدولة قررت وخططت لحياة أفضل ومسكن أرخص ووظيفة لكل

عاطل - كأنها لم تقل.. أو أنها قالت ولكن أحدًا لايصدق. فالذي تقوله اليوم قد قالته من عشرين وثلاثين وخمسين عامًا. وكأنك يا أبو زيد ما غزيت. أو كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا.. وبدلاً من ضياع الوقت على الأوهام فلابد من السفر إلى أي مكان. لأن أي مكان أحسن من مصر!!

وقد أعطيت أذني كثيرًا وطويلاً لعدد من شباب الجامعات. قالوا وسمعنا. وقرروا واندهشت. واندهشت أكثر عندما وجدت أن حواري معهم جاء متأخرًا جدًّا. فهل قرارهم خاطئ؟

التاريخ أكذوبة يكتبها القوي ويفرضها على الضعيف، ولذلك فلابد من إعادة كتابة التاريخ في ظروف يكون فيها المؤرخ أكثر حرية.

وهناك ثلاث مدارس في كتابة التاريخ، مدرسة «ما قال لي وقلت له»، وهو أن يروي المؤرخ حكايات وروايات عن زعماء ماتوا وشبعوا موتًا، ولأنهم ماتوا وهو الحي فالمؤلف يقول ويعيد ويزيد كما يحلو له.

وهناك مدرسة «يا عوازل فلفلوا»، ويكون الهدف من كتابة التاريخ أن يقول ما يغيظ أتباعًا لزعماء آخرين كأن يكون ناصريًا فيحكي ما يضايق محبي السادات، أو يكون من أنصار السادات ويغيظ أنصار عبدالناصر.

فما الذي يجعل الناس يصدقون ما يسمعون؟ لا شيء إلا ثقتهم التامة في هذا المؤرخ، هذا هو الشرط الوحيد لأن يلقى كلامه آذانًا صاغية، وعقولاً واعية.

أما المدرسة الثالثة فهي الأكثر احترامًا وأكثر جفافًا وأقل متعة وتسلية، وهي المدرسة الموضوعية؛ أي التي تعتمد على الوثائق التاريخية المعتبرة، فهذا الباحث هو الصورة النموذجية لما يجب أن يكون عليه المؤرخ، ولكن هذا الصادق الغلبان لا يلقى ما يستحقه من الاهتمام لأن دمه ثقيل.

وفيلسوف الحضارة الألماني اشبنجلر يرى أن هناك نوعين من المؤرخين، واحد هو الوثائقي الذي يجمع ويكدس ويحشد.. والمؤرخ الثاني هو المؤرخ النحلة الذي يمتص رحيق الأحداث من هنا وهناك، وفي النهاية يقدم عملاً فنيًا جميلاً لذيذًا.. ويرى اشبنجلر أن التاريخ الوثائقي اسمه «التأريخ» بالهمزة.. أما الثاني فهو التاريخ من غير همزة.

ونحن عادة لا نسأل إن كان من حقك أن تكون مؤرخًا. تمامًا كما أننا لا نسأل أحدًا إن كان من حقه أن يجلس إلى منصة الإفتاء ويقول في الدين والدنيا.. ولكن من الممكن أن نسميها مدرسة «لكن من يقرأ ومن يسمع»، أي مدرسة لا يسمعها ولا يقرؤها أحد.. ومادام لا يسمعك ولا يقرؤك أحد، فقل ما بدا لك.. وأنت قلت وأنا وكل الناس نمشي ملكًا - كما تقول أم كلثوم - على جثث الزعماء والأبرياء!

إجـــازات بـــلا عمـــل!

إصلاح الفساد، كالفساد نفسه ليس له أوان. فالفساد ينتعش في أي وقت. وعلاجه في أي وقت. ولا علاقة للصوص بمواعيد القطارات وغروب الشمس وشروقها، وبين رئيس الوزراء المقبل في مصر.

وكما أن القانون لا يأخذ إجازة، فكذلك الجريمة ليست لها عطلة أسبوعية ولا سنوية.. ولكننا في مصر نعطي لكل شيء إجــازة.. وإجازاتنا كثيرة وطويلة.

مع أننا لا نستحق هذه الإجـازات لأننا لا نعمل. وإحدى هيئات الإحصاء في مصر أعلنت صادقة أننا نعمل في اليوم الواحد أقل من عشر دقائق.. والباقي هنكرة وسندوتشات وقراءة الصحف بالنسبة للرجال. وبالنسبة للنساء: تقميع البامية والتريكو والتليفونات.. حتى العقل يأخذ إجازة والضمير أيضًا.

ولذلك تستطيع وأنت في مكان عملك أن تلاحظ أن الذين يعملون قليلون والذين يمهيصون كثيرون. وهم الذين يتقدمون كل الصفوف ويحتلون المراكز، والمعنى: تعمل كثيرًا تكسب قليلاً، تهيص كثيرًا تكسب كثيرًا – وهي عبارة تدل على منتهى اليأس.

وفي جلسة بين الأصدقاء المصريين والعرب. دار الكلام حولنا، وكان معنى الكلام أننا لا ندري بمصر ومستقبل مصر. ولا أظن أن مصر بهذا السوء، وأن السماء قد ابتلعت شمسها وقمرها فلا صباح

ولا مساء ولا أمل.. وكانت جلسة مظلمة ظالمة. ولكننا اعتدنا على ذلك. على أكل لحم مصر نيئًا. وعلى أن نكون ضحايا أنفسنا. ونشكو من الذين اعتدوا علينا وتآمروا على قتلنا. مع أننا، إن لم نكن القتلة، فقد ساعدنا على ذلك.

ولأن الفساد والانحلال شائك وقديم، فاليأس أيضًا. ولأننا آمنا بأن الفساد مثل البقع في جلد النمر، لا يغسلها ماء ولا يزيلها صابون، فكذلك كان التشاؤم من أي حل. وإنما نحن ننتظر المعجزة. والمعجزة أن يجيء شخص لا نعرفه، فإذا جاء حمل عصا موسى وشق البحر فسارت وراءه كل الأفاعي.. إلى موتها.. ولكن موسى جاء مرة واحدة. وانتهى عصر الأنبياء والمعجزات وبدأنا عصرنا بأيدينا وعقولنا وإرادتنا وإصرارنا وغضبنا وثورتنا لكي نحقق المعجزة.

الأرملـــة الســـوداء!

أسموها الأرملة لأنها عاشت بعد موت زوجها. ولكن هناك فرقًا في التسمية بين واحدة يموت زوجها وواحدة تقتل زوجها..

اسمها (الأرملة السوداء). وهي سوداء ليست حدادًا على أزواجها الواحد بعد الآخر. ولكن هي سوداء لأن أزواجها يحبون هذا اللون. والأرملة السوداء هذه عنكبوت شرس. فلا يكاد الذكر يمضي في عملية التلقيح حتى تهجم عليه وتقطعه مائة قطعة. وتدفنه وتبيض فوقه حتى إذا فقس صغارها وجدوا طعامًا سائغًا: أبوهم. هل هي مجرمة لأنها قتلت زوجها.. وهل هي مجرمة لأنها بدلاً من أن تلقي به في أي مكان ادخرته لصغارها. فهي مجرمة لزوجها رحيمة بصغارها. وهل هي تدري ماذا فعلت. إنها الغريزة أن تستسلم للذكر وأن تطعم صغارها بأسرع طريقة!

وتفعل نفس الشيء مع كل الذكور من أجل الصغار. وواضح هنا أن دور الذكر في استمرار الحياة تافه جدًّا فالأنثى قتلت ذكرًا وأضافت عشرين في كل مرة!

وقد استطاع بعض العناكب في ملايين السنين أن يكون لهم دروس مستفادة. فلا يكاد الذكر يعلو الأنثى حتى يلفها وبسرعة هائلة بخيوط متينة فتكون عاجزة تمامًا عن الحركة وتنشب أنيابها في الهواء، ومما يضاعف أعباء هذه الأنثى القوية أن تمزق الخيوط ثم تسعى لادخار الطعام لصغارها وتضعه في مكان أمين.. وفوقه

تبيض.. وتنطلق بحثًا عن ذكر آخر.. إن كثيرًا من البشر يحسدون هذه العناكب.. النساء عندها أسباب للحسد والرجال أيضًا.. فالنساء يردن قتل الأزواج والأزواج يريدون وضع هذه الخيوط على ألسنة الزوجات..

شيء عجيب اكتسبه العنكبوت المكسيكي. وهو أنه يشترط قبل اللقاح أن تكسر الأنثى مخالبها. ويقوم بمكافأة الأنثى بعملية جنسية طويلة.. وتموت بعدها الأنثى - وأما البيض الذي في داخلها فيفقس وحده ويجد جسد الأم طعامًا سائغًا - إنها عجائب المخلوقات وحكمة استمرار الحياة!

الكلمـــات ومعانيهـــا!

وأنا أقرأ أتوقف عند بعض الكلمات الفصحى وأقارن بينها وبين كلمات عامية شبيهة بها. نحن نقول: ازيك.. ازيكم يعني كيف حالكم؟

والأصل هو كلمة (زي) أي ملبس.. والسؤال ازيك.. أي مازيك.. ما الثوب الذي ترتديه اليوم.. كيف حالك؟

ونقول وكانت بينهما مناءرة.. ربما كان الأصل هو المناقرة.. كما تفعل الديوك عندما تنقر بعضها البعض.. وهي تتخانق.. وتتضارب بالأقدام والأجنحة والمناقير.. أو ربما كانت من كلمة أخرى هي: نأرت الناس.. أي ثارت وغضبت.. فهي منائرة.. غضب وثورة بعضهم على بعض.

ونقول: النسيلة أي الجزء الصغير من القماش أو من الخيط.. والصحيح أن نقول: نثيلة..

وكلمة منديل.. قال لي أستاذي المستشرق الألماني باول كراوس. إنها مأخوذة من كلمتين لاتينيتين: مانو – أي يد وتيلا يعني نسيج.. أي نسيج اليد. وهذا واضح في المرادف الإنجليزي لكلمة منديل (هاند كرتشيف) ولكن وجدت أن كلمة المنديل خرجت من كلمة الندل.. ومعناها اتساخ اليد أو الجسم. فيقال: مندل يديه أي مسح القذارة في قماش.

والقاموس يعلق على ذلك بأنه تخريج غريب وغير مألوف.. هنا فقط يكون التفسير اللاتيني هو الأنسب..

وفي كلامنا العامي نقول: راح يستأفني كل يوم.. حتى ضقت به.. أو لولا أنه استأفني صباحًا ومساء.. ليس أنا وحدي إنما كذلك أبي وإخوتي..

والكلمة لها أصل فصيح هو: استقفاه أي ضربه على قفاه.. جاءه من الخلف.. أو طارده.. أو ظل يجري وراءه وكانت كلماته صفعات على قفاه..

وكلمة (كويس) يعني حسن.. يعني أوكي.. ربما كان أصلها كلمة (كيس) بتشديد الياء وكسرها.. فالإنسان الكيس هو العاقل، هو الحكيم.. وكويس معناها الموافقة على تصرف أو قرار عاقل - أرجو أن يكون كويس هو تعليقك على هذا الذي قرأت!

أقـــرب بيـــت!

سفير ألمانيا مارتن كوبلر احتفل بالصحفي الألماني فنتفور لأنه أمضى خمسين عامًا في القاهرة.. وكان نموذجًا رفيعًا محترمًا للصحفي الذي أحب مصر وأحبه المصريون.. عرفته لطيفًا رقيقًا مجاملاً.. إذا سافر جاء يحدثني، وقبل أن يسافر أيضًا.. ولأنه لم يترك مكانًا في العالم العربي لم يذهب إليه فله أصدقاء في كل مكان.. وحياته في مصر تبعث على الإعجاب.. فهو يتكلم المصرية بطلاقة.. وهو يعرف كل من يمسك قلمًا في مصر والعالم العربي.. والذين يعرفهم هم أصدقاؤه.. ولم يغضب أحدًا.. لأنه قال كل شيء بعبارة مهذبة.. ولم يحدث في الشرق العربي حادث واحد لم يقم بتغطيته.. ولابد أن مجلة دير شبيجل ـ أي المرآة ـ التي يعمل بها سوف تضع على رأسه تاج التفاني في العمل والصداقات الواسعة.

ونحن معًا آخر الصحفيين الذين تحدثوا إلى الرئيس السادات.. لم نلاحظ أن شيئًا واحدًا قاله السادات أو أشار إليه يشير في الوقت نفسه إلى أن الرجل قد شارف نهايته.. لقد كان كلامه عاديًا وكان متحمسًا وكذلك فنتفور.. ورضينا عن اللقاء وما قاله الرئيس وما قلناه.

وفي يوم فوجئ فنتفور بي في حالة غريبة. الصابون على وجهي وورائي واحد يحمل شنطة وواحد آخر يحمل جاكتتي.. إيه الحكاية؟ لقد كنت في صالون الحلاق (محمود) وانقطع النور ولم أجد بيتًا أقرب من بيت فنتفور لأكمل حلاقة لحيتي ورأسي.. وظللنا نضحك على هذه الحادثة.. ولم يكن هناك حل آخر!

التعليـــم الجـــاد!

د. مجدي أبـوريـان رئيس جامعة المنصورة، عاد مبهورًا من الصين.. فقد ذهب مع 18 رئيس جامعة إفريقية إلى الصين لمدة ثلاثة أسابيع، ليشاهدوا كيف تطورت.. كيف أنها تفوقت ولكن لم تجد وسيلة للتطور واللحاق بالدول العظمى إلا باستعارة أساليبها في التعليم والاقتصاد الحر والاهتمام البالغ بالتعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد.

صحيح من حق كل من حصل على الثانوية العامة أن يدخل الجامعة، بشرط أن ينجح في امتحان القبول.. وهم يختارون20 من المتفوقين يتعلمون مجانًا.. والباقي لابد أن يدفع المصروفات.

وقد وجدت الصين حلاً لمشكلة تمويل التعليم الجامعي، فالدولة تدفع الثلث والطلبة يدفعون الثلث والجامعات الأهلية تدفع الثلث الباقي.. والمدن الجامعية بما فيها من مطاعم وخدمات تتولاها شركات متخصصة مقابل مبلغ من المال.. والجامعات تعمل 24 ساعة، والطلبة ينامون في المدن الجامعية.. وهيئات التدريس لها بيوت ملحقة بالجامعات.

خرجت الصين من القمقم الكبير واتجهت إلى الدنيا الواسعة فغزتها بالمنتجات الرخيصة.. ولكن في الوقت نفسه تزحف منتجاتها الدقيقة وتنافس.. والدولة الوحيدة في الدنيا التي عندها أمل عظيم في كل شيء هي الصين.. وقد تنبه إلى ذلك فلاسفة

الحضارة من مثل الفيلسوف الألماني اشبنجلر والمؤرخ البريطاني توينبي.. بل إن نابليون في القرن التاسع عشر حذر العالم من التنين الصيني، إذا صحا من سباته الطويل.. وقد صحا وكانت صحوته مصدر أرق لكل الدول الأخرى، وطريق الصين إلى القمة هو: التعليم المتطور، وما قامت به جامعة شنغهاي من اختيار لأحسن جامعات الدنيا في سنوات2003 و4 و5، كان دليلاً على أن الصين هي التي تقدم لجامعات الدنيا تقويمًا علميًا لمسارها.. الصين هي التي في يدها الميزان وعلى كل دول العالم أن تكون عند حسن ظن الصين - تصوروا؟!

وبمقارنة نتائج الاختيار في السنوات الثلاثة الماضية، أعلنت كثير من الجامعات حرصها على أن تتقدم.. وأن يجيء ترتيبها أعلى وأفضل.. وقد حدث أن تغيرت مواقع الجامعات في سلم العظمة العلمية..

والمعنى الوحيد الذي لا معنى غيره: لكي نسمو ونصعد ونتفوق.. علينا بالتعليم الجاد والتعليم المضيء ليس في الصين، وإنما في الغرب!

وعند ذكر الصدمات التي أيقظت الأمـم صدمة: غرق الأسطول الروسي في أوائل القرن الماضي، والذي أغرقه الأسطول الياباني، ولم يكن أحد يتصور أن دولة مجهولة قادرة على ذلك.. وكان النصر الياباني إعلانًا مدويًا لميلاد دوله جديدة.. أو إعلانًا بأن الدولة الجديدة قد ولدت وترعرعت سرًا، وهذا الانتصار هو أول شهادة ميلاد بالصوت والصورة.. وكان سحقها للأسطول الأمريكي في بيرل هاربور بعد ذلك تأكيدًا لميلاد يتجدد صدمة بعد صدمة.

ونحن لا نعرف ماذا حدث في اليابان. ولكن فقط مما ذكره الأمريكان بعد ذلك فنشاط اليابان سري تمامًا. ولكن الذي عرفناه هو أنهم قرروا أن يعيشوا وأن يتقدموا وهم يعرفون تمامًا الطريق إلى ذلك.

وبرغم ما أصاب اليابانيين فإنهم بسرعة راجعوا أنفسهم.. وعالجوا أنفسهم وابتلعوا دموعهم، ولعقوا جراحهم ووقفوا ولم يتوقفوا. وتحدث الأمريكان عن (المعجزة اليابانية).. والمعجزة معناها أن كل الظروف المحيطة باليابان وكل المصائب التي لحقت بها، لم تكسر ظهرها ولا حطمت دماغها، ولا أطفأت شعلة الإبداع ووهج التحدي عند الشعب الياباني. وإذا كان الدستور الياباني - الأمريكاني قد أضعف سلطات الملك المقدس، فإن في اليابان ملوكًا أكثر قداسة.. هم أصحاب رءوس الأموال الذين اتخذوا قرارات مقدسة

وأن اليابان هي بلد الشمس الطالعة، وأنهم الشمس التي يجب أن تشرق على الدنيا لكي يرى العالم إبداعات اليابان الصناعية التي تغزو كل الأسواق بما فيها أمريكا وكان لهؤلاء الملوك ما أرادوا!

إن ميزانية البحث العلمي والتطوير والإبداع التي أعلنتها الشركات اليابانية لا يتصورها العقل.. إنها أعلى مما رصدته أمريكا.. ولكن ليست أعلى مما رصدته سويسرا و كوريا الجنوبية.. وكلها بمئات ألوف الملايين سنويًّا!

الفهـــــــرس

فوق فوق! 3

لولا السادات 5

أن يموت اثنان! 7

حوارات نجيب محفوظ 9

تراب تراب الفلوس! 11

يوجع القلب فقط! 14

كارثة وفضيحة أيضًا 16

لماذا موهبة؟! 18

لا يزال الحاجز النفسي 20

إسرائيل: حلم صهيوني 22

ولم أرسل خطابًا! 24

مجرم.. عبقري! 26

أرملته السجينة 28

لا نعرف معنى لهذا 30

كلهم: حسن كامي! 32

هكذا قال أرسطو! 34

هديـــة فرنســا لنــا.. 36
الأخطــاء النحويـــة لا! 38
لأنـــه قتـل فـــأرًا! 40
أمريكـا دخلـت الحـرب! 42
أسـرع ولكـن ببــطء 44
لـم يهـرش بعـد ذلك! 46
ســوء الاستخـــدام 48
كـل شـيء بسرعـــة! 50
كيـف يقـرف نفسـه! 53
إنـــه قـد نســي! 55
ولكـن القـات أفضـل! 57
الإدارة: أضعـف ما لدينـــا! 59
عرفـات هــو المشكلـة! 61
لســت وحـــدك! 63
مقهـــى للبكـــاء! 65
إنهـا الفلـوس والجنـس 67
التغييــر ضــرورة! 69
كلمـــة عذبتنـــي! 71
ترعاهـم الدولـة 73

إنهـا حماتـه! 75
إلا حجـر رشيـد 77
لا أحـد يعـرف! 79
حتـى لا ينكسـر ظهـرك 81
الفراعنـة أولاً 83
قريـة مقطوعـة! 85
واللـه أعلـم! 87
فلوسنـا قـذرة! 89
أنـا – ألـف مـرة! 91
وراء كـل عظيـم: ابنتـه! 93
حيوانـات تمـوت مـن أجلنـا! 95
هنـا أعـز أصدقائـي! 97
الرحمـة بالحيـوان 99
الشراء: غريـزة المـرأة! 101
إنهـم لا يقـرأون! 103
ولكنـه حكـم العالـم 105
والـرب واحـد 107
لغتنـا الركيكـة 109
بعـض مـا شاهـدت! 111

أكثـــر مـــن جريمـــة! 113
لولاهــــــا! 115
كـــلام فـــي كـــلام! 117
جنـــون اليهـــود! 119
اليهـــود وراءه دائمًــــا! 121
د. الجنـــزوري 123
إسماعيـــل ســـلام 125
التعليـــم أولاً 127
لا يجـــدون القـــدوة 129
بطولـــة طفـــل 131
قالهـــا الجبرتـــي 133
كتـــاب يهمـــك 135
مصـــورة هتلـــر 137
ليـــس الديـــن! 139
اذهـــب إلـــى حديقـــة الحيـــوان 141
سلامـــة النـــاس! 143
مفلـــس تمامًـــا! 145
إنهـــا المنشطـــات 147
بـــلاش طبيبـــات! 149

أوهـــام صدقناهـــا! 151
طبيعـــة لا تتغيـــرا! 153
..إلا هـــذه المدرســـة! 155
اللغـــة العربيـــة.. 157
إنهـــا حكايـــة طويلـــة.... 159
موسيقـــى موتســـارت 161
مـن أجـل صحتـــك 163
ولا نحتـــرم القانـــون 165
القبـــلات ممنوعـــة! 167
حـــرب الميـــاه.. 169
حظـك مـن السمـــاء 171
النحـــو مشكلـــة! 173
لا أعـوذ باللـه مـن أنـــا! 175
التاريـــخ فـــي زجاجـــة 177
الإلـــه يانـــوس.. 179
شكـــاوى العلمـــاء 181
كلهـــا ضـــارة 183
شكـــاوى أخـــرى! 185
هـــذه هـــي البدايـــة 187

أكاذيب تاريخية 189

حقيقة مفزعة 191

العلوم للأطفال 193

أيام حسني مبارك 195

لذلك هربت 197

ميزانية البحث العلمي 199

شاعر وطبيب 201

المدخل إلى الديموقراطية 203

والشعب لم يرد! 205

في النار يغني! 207

العنف يولد العنف 209

عفريت في المدينة 211

مفتاح الشخصية 213

كلمة (أحسنت) 215

كبائر بوش الصغير! 217

أغنيات تغريك 219

كلمته واحدة 221

المريخ أوضح 223

معرفة رأي الناس 225

ورد النيـــــل 227
طريـــق العلميــن 229
زرايـــر بنطلونـــه 231
أهـــلاً بـالحميـــر 233
الابـــن الأكبـــر 235
كيـــف يجـــيء النـــوم؟ 239
كيـــف يلعـــب؟ 241
العنـــف أبـــو العنـــف 243
وصايـــة جديـــدة 245
أنـــا هويـــت 247
هيـــلاري كلينتـــون 249
شـــارع الضبـــاب 251
لمـــاذا أقامـــوا المعـــرض؟ 253
صدمـــة أخـــرى 255
.. إلا بـالعلـــم 257
يـــوم: بلا سيـــارات! 259
عالـــم إلا قليـــلاً! 261
العـــدل الضعيـــف 263
قطـــاع الطـــرق الجـــدد 265

بهدلة العراق 267
ليس الإسلام! 269
كلها معلومات قديمة 271
المدفع ضرب! 273
أمراض الماء 275
إلا كراهية اليهود! 277
الحقوا: إنه يشتمنا! 279
وحدي مع الآخرين! 281
قلة أدب زمان! 283
لا أحد أقوى منها! 285
مطلوب عملاق جديد! 287
الملكة السعيدة 289
عظمة بوجوفتش 291
ذكرى الجبرتي 293
إعلان فوق الكنيسة! 295
ثروت أباظة 297
فئران بالملايين 299
لسنا أحرارًا 301
كيف ينتحرون؟! 303

الزعيم أحمد النعمان 305
اثنان في الأدب 307
اليابان هي النموذج 309
فقط: تحريك الموقف! 311
كلام الرئيس 313
أدباء الأطفال 315
جمال مبارك 317
كلما تضاعف الوزن 319
بوليس بريطانيا 321
فاروق مظلومًا 323
لا يعرفون العربية 325
فوق البركان 327
ردعة الحمار 329
ذكرى نابليون 331
عندما يذوب الجليد 333
كلمة مصر 335
هذه الأطعمة لا نحتاجها 337
معنى الفرعون 339
هذه المذنبات 341

الفنان أي الحمار! 343

ومعهم الحق 345

المرض حلال! 347

البن في عروقه! 349

نبوءة بموت السادات 351

مرتبات الأساتذة! 353

الساري والكاري 355

هاني هندي 357

أين النكت؟!.. 359

الماء في خطر! 361

هواء المدن: قاتل 363

أين الوعي المائي؟ 365

فلوسنا الورقية: فضيحة! 367

الحياة أقوى! 369

أمة في خطر! 371

النجاة هي الهرب! 373

استيفن هوكنج 375

التطهير: ضحك! 377

تغير الذوق العام 379

ثــورة علــى الأميــر! 381
أكذوبــة وفضيحــة! 383
عالــم الحيــوان: متعــة! 385
وكلهــم قــرروا! 387
كيــف يفســرون التاريــخ؟ 389
إجــازات بــلا عمــل! 391
الأرملــة الســوداء! 393
الكلمــات ومعانيهــا! 395
أقــرب بيــت! 397
التعليــم الجــاد! 398
اليابــان: مثــل أعلــى 400

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ
أنيس منصور

(أ) ترجمة ذاتية:

1 – في صالون العقاد.. كانت لنا أيام.

2 – عاشوا في حياتي.

3 – إلا قليلاً.

4 – طلع البدر علينا.

5 – البقية في حياتي.

6 – نحن أولاد الغجر.

7 – من نفسي.

8 – حتى أنت يا أنا.

9 – أضواء وضوضاء.

10– كل شيء نسبي.

11– لأول مرة.

12– شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13– الحائط والدموع.

14– وجع في قلب إسرائيل.

15– الصابرا (الجيل الجديد في إسرائيل).

16– عبد الناصر – المفترى عليه والمفتري علينا.

17– في السياسة (3 أجزاء).

18– الدين والديناميت.

19– لا حرب في أكتوبر ولا سلام.

20– السيدة الأولى.

21– التاريخ أنياب وأظافر.

22 – الخالدون مائة – أعظمهم محمد (ﷺ).

23– على رقاب العباد.

24– ديانات أخرى.

25– وكانت الصحة هي الثمن.

26– الغرباء.

27– الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28– عزيزي فلان.

29– هي وغيرها.

30– بقايا كل شيء.

31– يا من كنت حبيبي.

32– قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسري فريدريش ديرنمات:

33– رومولوس العظيم.

34– زيارة السيدة العجوز.

35– زواج السيد مسيسبي.

36– الشهاب.

37– هي وعشاقها.

** للأديب السويسري ماكس فريش:

38- أمير الأراضي البور.

39- مشعلو النيران.

** للأديب الفرنسي جان جيرودو:

40- من أجل سواد عينيها.

** للأديب الأمريكي آرثر ميللر:

41- بعد السقوط.

** للأديب الأمريكي تنسي وليامز:

42- فوق الكهف.

** للأديب الأمريكي يوجين أونيل:

43- الإمبراطور جونس.

** للأديب الفرنسي يوجين يونسكو:

44- تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسي أداموف:

45- الباب والشباك.

** للأديب الإسباني أرابال:

46- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

47- الحنان أقوى.

48- من أول نظرة.

49- طريق العذاب.

50- ألوان من الحب.

51- شباب.. شباب.

52- مذكرات شاب غاضب.

53- مذكرات شابة غاضبة.

54- جسمك لا يكذب.

55- الذين هاجروا.

56- غرباء في كل عصر.

57- أظافرها الطويلة.

58- هموم هذا الزمان.

59- زمن الهموم الكبيرة.

60- الحب الذي بيننا.

61- عذاب كل يوم.

62- كيمياء الفضيحة.

63- كل معاني الحب.

(و) دراسات علمية:

64- الذين هبطوا من السماء.

65- الذين عادوا إلى السماء.

66- القوى الخفية.

67- أرواح وأشباح.

68- لعنة الفراعنة.

(ز) نقد أدبي:

69- يسقط الحائط الرابع.

70- وداعًا أيها الملل.

71- كرسي على الشمال.

72- ساعات بلا عقارب.

73- مع الآخرين.

74- شيء من الفكر.

75- لو كنت أيوب.

76- يعيش.. يعيش.

77- الوجودية.

78- طريق العذاب.

79- وحدي.. مع الآخرين.
80- ما لا تعلمون.
81- لحظات مسروقة.
82- كتَاب عن كتب.
83- أنتم الناس أيها الشعراء.
84- أيها الموت.. لحظة من فضلك.
85- أوراق على شجر.
86- في تلك السنة.
87- دراسات في الأدب الأمريكي.
88- دراسات في الأدب الألماني.
98- دراسات في الأدب الإيطالي.
90- فلاسفة وجوديون.
91- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

92- حول العالم في 200 يوم.
93- بلاد الله خلق الله.
94- غريب في بلاد غريبة.
95- اليمن ذلك المجهول.
96- أنت في اليابان وبلاد أخرى.
97- أطيب تحياتي من موسكو.
98- أعجب الرحلات في التاريخ.
99- ماذا يريد الشباب؟
100- الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

101- مدرسة الحب.
102- حلمك يا شيخ علام.
103- مين قتل مين؟
104- جمعية كل واشكر.
105- الأحياء المجاورة.
106- سلطان زمانه.
107- العبقري.
108- كلام لك يا جارة.
109- فوق الركبة.
110- هذه الصغيرة (وقصص أخرى).
111- يوم بيوم.
112- إنها الأشياء الصغيرة.
113- إلا فاطمة.
114- القلب أبدًا يدق.

(ي) المسلسلات التليفزيونية:

115- حقنة بينج.
116- اتنين.. اتنين.
117- عريس فاطمة.
118- من الذي لا يحب فاطمة؟
119- غاضبون وغاضبات.
120- هي وغيرها.
121- هي وعشاقها.
122- العبقري.
123- القلب أبدًا يدق.
124- يعود الماضي يعود.

(ك) كتب (مقالات):

125- ثم ضاع الطريق.
126- النجوم تولد وتموت.

127– هناك أمل.
128– أحب وأكره.
129– الحيوانات ألطف كثيرًا.
130– مصباح لكل إنسان.
131– أتمنى لك.
132– لعل الموت ينسانا.
133– اقرأ أي شيء.
134– ولكني أتأمل.
135– حتى تعرف نفسك.
136– الحب والفلوس والموت.. وأنا.
137– نحن كذلك !!
138– اللهم إني سائح.
139– كائنات فوق.
140– تعال نفكر معًا.
141– آه لو رأيت !
142– النار على الحدود: لعبة كل العصور.
143– انتهى زمن الفرص الضائعة !
144– هناك فرق.
145– الرئيس قال لي.. وقلت أيضًا – الجزءان الأول والثاني.
146– يا نور النبي.
147– وأنت ما رأيك؟
148– حضارة الإوز والبقر.
149– حلمنا الجميل.
150– ضاع الجيل ضاع.
151– قالوا (الجزءان الأول والثاني).
152– وآخرتها.
153– من أول السطر.
154– أظافرها الطويلة.
155– القلب لا يمتلئ بالذهب.
156– تكلم حتى أراك.
157– الذي خرج ولم يعد.
158– ليلة في بطن الحوت.
159– والله زمان يا حب.
160– أجيال من بعدنا.
161– قلبك يوجعني.
162– شمعة في كل طريق.
163– أكثر من رأي.
164– معذبون في كل أرض.
165– تعالوا نفكر.
166– معنى الكلام.
167– اللعب غريزة منظمة.
168– في انتظار المعجزة!
169– وأنا اخترت القراءة.
170– من أجل عينيها.

(ل) الترجمات القصصية:

171– رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكي أرفنج والاس.
172– (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.
173– (لو كنت مكاني) للأديب السويسري ماكس فريش.
174– (قصص مورافيا) للأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.

175– (الجلد) للأديب الإيطالي كورتسيو ملبارته.

176– (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكي جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

177– الفلسفة الوجودية الألمانية ـ لإميل تسلر.

178– الفلسفة الوجودية الفرنسية – لجان جاك رسو.

179– معنى العدم عند هيدجر وسارتر – لجانيت أردمان.

180– مسرح العبث الفرنسي – لإتيان ماريبو.

181– الفيلسوف الروسي برديائف – لفيكتور لوزتسيف.

182– من كيركجورد إلى مارسيل – لأنطوان بابيف.

183– سيمون دبوفوار تلميذة رصينة – لفرنسواز روسلان.

184 – رسائلها إليه ـ لفرنسواز روسلان.

185– فاشلون لكن نبلاء – لجان ماري روار.

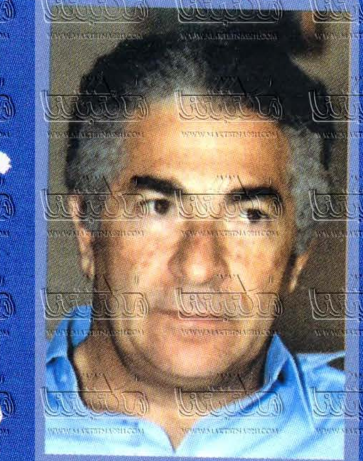
186– ما الميتافيزيقا؟ – لمارتن هيدجر.

187– الوجودية فلسفة إنسانية – لجان بول سارتر.

188– فلسفة حنا أرنت – تلميذة للفيلسوف الألماني مارتن هيدجر – لآدم برجشتاين.

189– كروتشه فيلسوف الحرية – لإيزابيلا دلورنتس.


علم النفس العلاجي
كتابنا القادم
الدكتورة إجلال محمد سري
أستاذ الصحة النفسية - قسم علم النفس
كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
عالم الكتب
القاهرة



تعالوا نفكر

من الذي أفسدنا؟

من الذي جعلنا نؤمن بأن كل ناجح غشاش، وكل غني لص.. وأن الإنسان يجب أن يكون له أكثر من عمود فقري.. عموده الفقري و(الواسطة).. فلا نجاح ولا فلاح ولا مستقبل لمن ليس له (ظهر).. لمن ليس (واصلاً) موصولاً مسنودًا.. للذي لا يفتح مخه؟!

من الذي أقنعنا بأن مصر (أم الدنيا).. وبما أننا أولاد مصر فنحن سادة الدنيا.. دون أن نسأل أنفسنا عن معاني هذه الكلمات الكبيرة؟!

فاليابان وكوريا الجنوبية والملايو وسنغافورة والهند والصين يؤكدون: أنه لا توجد معجزة وإنما يوجد سر الكون كله فوق أكتافنا هنا.. ففي هذا الدماغ الصغير تتولد شرارة الإبداع وتتواصل مسيرة العبقرية الإنسانية.. ولكننا في ضجيج الهتافات والمظاهرات والمشاحنات.. بالروح بالدم نفديك يا أي إنسان.. نسينا أن لنا رءوسًا وعقولاً!!

فالبداية فوق كتفيك.. ثم لا تحدثني عن أبيك وأجدادنا!

أنيس منصور







6 221133 341547
www.nahdetmisr.com